

كلماتى مع الخالدين

الدكتور
محمود حافـــظ
رئيس مجمع اللغة العربية

مجمع اللغة العربية – القاهرة
١٥ ش عزيز أباظة – الزمالك
١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م



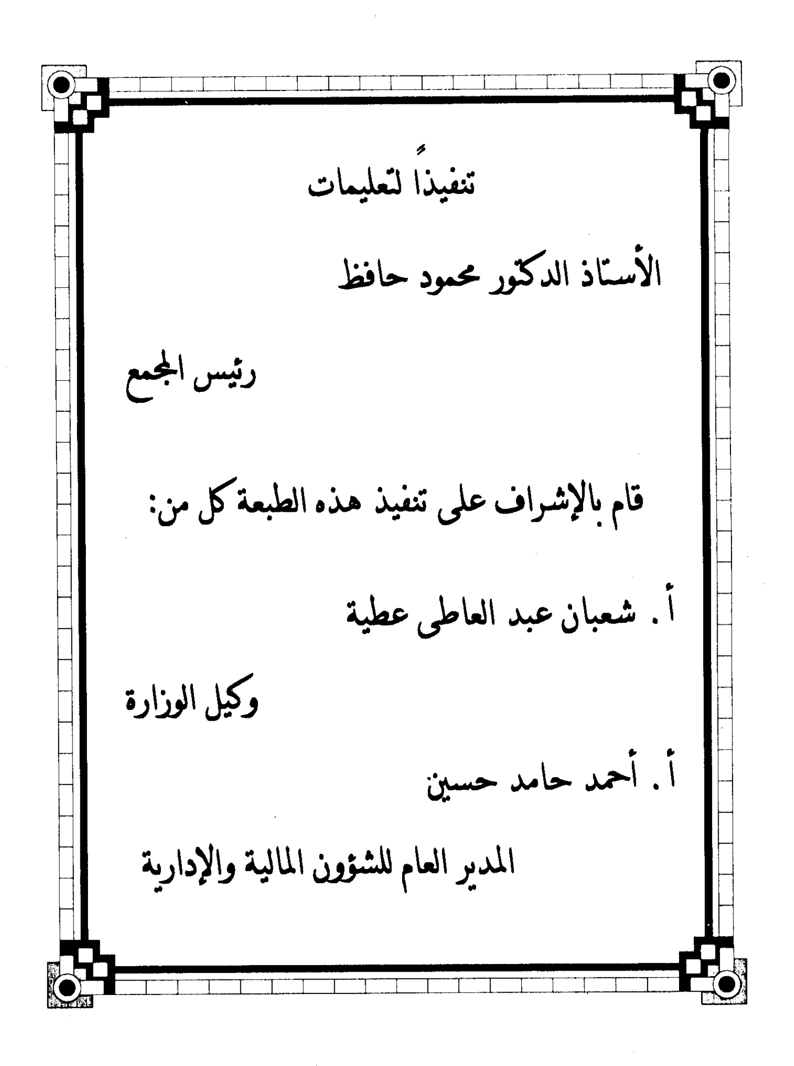
شكر وتقدير

يطيب لى أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل **شعبان عبد العاطى**، وكيل الوزارة، الذى جمع بجهد موفور ومقدور مادة الكتاب، والأستاذ الفاضل **أحمد حامد**، المدير العام للشئون المالية والإدارية، الذى وضع بلمحة فكرية صائبة عنوان الكتاب.

كما يطيب لى أن أتوجه بجزيل الشكر إلى السيد الفاضل **شعبان عيسى أبو العلا**، كبير الباحثين بالمجمع، والسيد **مجاور سيد مجاور**، المحرر الأول بالمجمع، والسيد **حسين عبد السلام خاطر**، المحرر الثانى بالمجمع، على ما قاموا به من جهد موفور ومقدور فى مراجعة مادة هذا الكتاب وتجاربه وإخراجه على الحاسب الآلى بالمجمع فى صورة نهائية لائقة.

الدكتور محمود حافظ

رئيس المجمع



تنفيذاً لتعليمات

الأستاذ الدكتور محمود حافظ

رئيس المجمع

قام بالإشراف على تنفيذ هذه الطبعة كل من:

أ. شعبان عبد العاطى عطية

وكيل الوزارة

أ. أحمد حامد حسين

المدير العام للشؤون المالية والإدارية

فهرس المحتويات

تصدير

هذا كتاب يحوى بين دفتيه كلمات ألقيتها فى مؤتمرات مجمع اللغة العربية وفى مناسبات أخرى مجمعية شملت موضوعات علمية ولغوية وثقافية تشغل اهتمامات اللغويين والمثقفين ومن يحرصون على ريادة اللغة العربية وتقدمها وتطورها.

ومن بين هذه الموضوعات التى عنى بها المجمع عناية كبيرة موضوع قضية التعريب ونقل العلوم إلى اللغة العربية فى التعليم العالى والجامعى بوصفها قضية قومية وثيقة الصلة بكياننا القومى والعربى.

يضم هذا الكتاب نبذة ضافية عن الأعمال العلمية والإنجازات المجمعية لعدد من العلماء الأعلام الذين شرفوا بعضوية المجمع، ودورهم فى النهضة العلمية والثقافية وما أضافوا إليه من خبرتهم اللغوية.

وقد رأيت فى نشر هذه الصفحات الناصعة الوضاءة لأعمالهم وإنجازاتهم وفاءً لما قدموه للعلم وللمجمع وحفزًا لشباب العلماء فى أن يقتدوا بهم ويسيروا على نهجهم فى العطاء الفياض والعمل المثمر البناء.

وعلى الله قصد السبيل

دكتور محمود حافظ



أولاً
المحاضرات العلمية



كلمة حفل الاستقبال عضوًا بالمجمع (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

صدق الله العظيم

سيدى العالم الجليل رئيس المجمع وشيخ المجمعيين:

سادتى العلماء الأجلاء أعضاء المجمع:

سـيداتى وسـادتى:

لم يَدُر بخَلَدى فى يوم من الأيام أن أنال هذا الشرف العظيم الذى أنعمُ به اليوم والذى طالما هفت إليه قلوبٌ، وتطلعت إليه آمال، أو أحظى بهذه المكانة العزيزة التى تستمد عزتها وقدرها مـن شـرف الانتـساب

(*) أقيم حفل الاستقبال فى يوم الاثنين غرة شهر ربيع الآخـر سـنة ١٣٩٧هـ ، الموافـق ٢١ من مارس سنة ١٩٧٧م؛ مجلة المجمع، العدد (٣٩).

بهذه المكانة العزيزة التى تستمد عزتها وقدرها من شرف الانتساب إليكم، وإلى مجمعكم العظيم، مجمع الخالدين.

ولكن هذه مشيئة الله ثم مشيئتكم إذ حبوتمونى هذا الشرف وتفضلتم بفيض من سماحتكم فأفسحتم لى مكانًا فى هذا المجمع الموقر كعبة العربية وحصنها الحصين، وإنى لا أكاد أجد الكلمات التى أعبر بها أصدق تعبير عما يجيش بصدرى من مشاعر الوفاء والامتنان والعرفان لاختياركم إياى عضوًا بهذا المجمع، فأشكركم أخلص الشكر وأعمقه على هذه الثقة الغالية التى طوقتم بها عنقى، وأعاهد الله وأعاهدكم على أن أبذل قصارى جهدى لخدمة أغراض هذا المجمع وتحقيق رسالته مترسمًا خطاكم سائرًا على هديكم... والله المستعان وهو نعم المولى ونعم النصير.

كما أوجه الشكر جزيلا وصادقا إلى أخى العالم الجليل الأستاذ الدكتور محمود مختار الذى نعمت بصحبته وزمالته فى رحاب الجامعة ومحراب العلم قرابة أربعين عامًا، كان خلالها مثلا رفيعًا للأستاذ الجامعى خلقًا وعلمًا، وللعميد الذى يسوس أمور كليته بالحنكة والاقتدار.

شكرًا له على كلمته الكريمة الذى استقبلنى بها وقدمنى إليكم وعلى ما أسبغ علىّ من فضله وما أضفاه على شخصى من ثناء مستطاب هو أجدر به منى.

سيدى الرئيس.... سادتى:

إن الإنسان ليشعر حقًّا بالزهو والفخار حين يؤذن له بدخول هـذا المجمع العتيد، أو هذا الصرح الشامخ من صروح العربية التى تسطَعُ فى سمائه هذه النجوم الوضاءة، ويشمخ بهذه الصفوة من عمالقة اللغة والعلم والأدب.

هذا المجمع الذى حمل لواء العربية شامخًا ساطعًا فـى الخـافقين والذى بَهَرَنا بإنتاجه العظيم عبر خمسة وأربعين عامًا من عمره الزاهر، بهرنا بجهوده البارزة فى إعلاء لغة القرآن وفى الكشف عـن طاقاتهـا المبدعة الخلاقة وتطويعها لمقتضيات العصر فى مختلف العلوم والفنون، والبحث عما فى بحرها الزاخر من الدرر واللآلئ ـ بهرنا بكل ذلك وهو لا يزال يؤدى رسالته العظيمة كما لم يؤدها مجمع من قبل، حتى أضحى بهذه الخلفية الرائعة نسيج وحده بين الهيئات اللغوية والعلمية لا فى مصر وحدها بل على الصعيد العربى كله.

ولا أعدو الحقيقة أيها السادة الأعلام إذا قلت إنى - وقـد عـشت أكثر من أربعين عامًا معلمًا ومحاضرًا فى رحاب الجامعة ومحدثًا فـى العديد من المؤتمرات والاجتماعات العلمية فى مصر والخـارج - مـا تهيبت موقفًا كالذى أقفه اليوم بين أيديكم، وكيف لا أتهيَّب هذا الموقـف وأمامى هذه القمم الشامخة من جهابذة اللغة وهذه الصفوة الرائـدة مـن

أساطين العلم والأدب والذين بلغ بهم المجمع هذه المكانة الرفيعة التى يتسنمها اليوم، وأسبغوا عليه من العلم والفضل ما جعله أكبر مركز إشعاع لغوى ينشر نوره الوضاء فى كل رجا من أرجاء العالم العربى.

فلا غرو أن تكون عضويةٌ بهذا المجمع أمنيةً عزيزة المنال تظل تراود أفئدة المتطلعين إليها، والراجين فى تحقيقها سنوات وسنوات حتى يحظوا بها، وينعموا بهذا الشرف العظيم، شَرَفِ الانتساب إلى مجمع الخالدين.

ولا أعدو الحقيقة كذلك إذا قلت إنى لم أسعد بسنوات من عمرى كتلك التى قضيتها خبيرًا بهذا المجمع أتفيأ ظلاله وأترَع من نبعه اللغوى كؤوس العلم والمعرفة، وكانت تبهرنى كل يوم هذه اللغة الجزلة المعطاءة التى تزخر بكل ما نبتغيه من معان ومصطلحات، وهذه الثروة اللغوية الهائلة المليئة بآلاف الدرر من المرادفات والمقابلات، مما ينهض دليلا على قوة هذه اللغة وثرائها وشمولها واتساع آفاقها وقدراتها الفائقة على استيعاب التطور الذى نشهده فى هذا العصر فى شتى قطاعات العلم والمعرفة.

وإن كنت قد سعدت بهذه السنوات خبيرًا فى لجنة علوم الأحياء والزراعة وأضفت إلى معارفى الكثير فإنى قبل ذلك سعدت أيضًا بسنوات ثلاث فى صحبة عالم جليل أُشرب حُبَّ اللغة وجمالَها، هو الأستاذ الدكتور أحمد عمار، قضيتها معه فى ترجمة أحد المعاجم العلمية

ونقله إلى اللغة العربية. تعلمت منه الكثير وكنا مع زملاء لنا نتلهف إلى أيام اللقاء كل أسبوع؛ نجلس إليه ونأخذ عنه. وكان حقًّا مجلسًا يفيض لغة وأدبًا وعلمًا ما كنا لنميل عنه إصبعًا إلا لنميل إليه ميلا، وهكذا مرت السنوات الثلاث وقد أغدق علينا خلالها من علمه وفضله زادًا كبيرًا.

سيدى الرئيس... سادتى الأعضاء:

فى أواخر الثلاثينيات من هذا القرن نبتت حركة مباركة بكلية العلوم بجامعة القاهرة مستهدية بهذا المجمع العظيم الذى كان قد سلخ من عمره بضع سنوات ــ نبتت حركة لترجمة المصطلحات وتعريبها فى مجال علوم الأحياء وخصوصًا فى علم الحيوان كان رائداها المغفور له الدكتور محمد ولىّ، من أشد المتعصبين للتدريس فى الجامعة باللغة العربية وقد أعجبنا به إعجابًا كبيرًا، ومازلنا فى كلية العلوم نذكر له محاضرته الرائعة وعنوانها " العربية لغة العلم" ، التى ألقاها عام١٩٣٣م بالمجمع المصرى للثقافة العلمية ونشرت فى كتابه السنوى الرابع، والتى فنَّد فيها حجج الذين يدعون أن العربية لا تصلح أن تكون لغةً للعلم، ودعا فيها إلى التوسع فى حركة الترجمة والتعريب والنحت والاشتقاق، كما دعا إلى التدريس باللغة العربية بالجامعات وقد ناشد ــ رحمَه اللهُ ــ فى هذه المحاضرة مجمع اللغة العربية، وكان فى مراحل إنشائه الأولى، أن يتوجه نحو تدعيم الثقافة العلمية العربية وجعْلِ اللغة العربية لغة العلم حقًّا، إلى أن قال من فرط حماسه: " ولا يكون هذا إلا إذا تشيد المجمع على أساس هذا المبدأ ودقَّ قلبه بما يبعثه فيه من الجد واليقين وسرَتْ

نفحات هذه النهضة العربية فى دمه، فتخللت جميع أجزاء جسمه، فأصبح علميًّا عربيًّا فى الشكل وفى الجوهر، وأملنا فى هذا المجمع كبير وثقتنا فيمن يقومون عليه عظيمة " ، وليت العمر قد امتدَّ به حتى اليوم ليشهد الإنجازات الرائعة التى قام بها المجمع فى هذا السبيل.

وقد قمنا معه حينذاك وخلال سنوات عدة بترجمة بعض المصطلحات فى علم الحيوان وتعريبها واستخدامها فى التدريس لطلبة الجامعة، وتأليف بعض الكتب فى هذا المجال باللغة العربية، وترجمة كتب أجنبية إلى العربية؛ وكان يشد أزرنا فى هذا السبيل أستاذٌ جليلٌ هو الدكتور كامل منصور، أحد الرواد الأوائل فى علم الحيوان ومُرسى قواعده فى مصر. ومضينا فى هذا الطريق مستمدين العون من عمل هذا المجمع العظيم، وما قام به السلف الصالح من معاجم، وعلى رأسها معجم الدكتور محمد شرف، ذلك العالم العملاق الذى أنجز بمفرده عملا عظيمًا يعتبر حتى اليوم قمة فى الأداء والاستقصاء.

وحين أُنشئ الاتحادُ العلميُّ المصرىُّ عام ١٩٥٥م كشعبة من شعب الاتحاد العلمىِّ العربىِّ برياسة العالم الكبير المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف ــ طيب الله ثراه ــ نشطت حركة تعريب المصطلحات العلمية وترجمتها، وإيجاد المقابلات المناسبة لها، وقاد هذه الحركة العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر، ودفع بهذه المصطلحات إلى المؤتمرات العلمية العربية التى عُقدت فى مصر وفى بعض البلاد

العربية الشقيقة بمعاونة جامعة الدول العربية.

كل هذه الجهود المتواضعة والتى كان لى شرف الاشتراك فى جميع مراحلها استمدت جذورها من عمل هذا المجمع العظيم وانبثقت من رغبة جامحة تعتلج فى صدورنا للتدريس والتأليف باللغة العربية لطلبة الجامعات؛ إيمانًا منا بأن الطالب يستوعب المادة العلمية بلغة قومه بدرجة أعلى بكثير مما لو تلقاها بلغة أجنبية، وقد قام على ذلك بجامعاتنا الدليل تِلْو الدليل.

ولا أرانى ياسيدى الرئيس وسادتى الأعضاء فى حاجة إلى القول إنه إذا كانت حركة التعريب العلمى والنقل إلى اللغة العربية وإحياء التراث العلمى العربى قد خَطَتْ خطوات فسيحة إلى الأمام فى ربع القرن الأخير، وظهر العديد من المعاجم العربية فى الوطن العربى وخرجت آلاف المصطلحات فى مختلف العلوم والفنون إلى النور؛ فإنكم أيها العلماء الأعلام من خلال هذا المجمع العظيم ومؤتمراته وقيادته الرشيدة قد قمتم وما زلتم تقومون بالدور الرئيس فى هذه الحركة المباركة التى تزداد اتساعًا وازدهارًا مُحققةً أهدافَها العُظمَى بالغة غاياتها النبيلة بإذن الله فى نشر التعليم باللغة العربية، وإعلاء شأن هذه اللغة ودحض الفرية التى يرددها بعض المتربصين بها، من أنها تقصر أحيانًا عن الوفاء بمطالب العلم الحديث والإيقاع السريع الذى نشهده فى هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمى.

ويطيب لى فى هذه المناسبة أن أستعير ما سبق أن قالـه عنهـا زميلى الأستاذ الدكتور محمود مختار من أن " مصر العربيـة الحديثـة حين دخلت عصر العلم والتكنولوچيا كان من حسن الطالع أن وجدت لغة العلم والتكنولوچيا أداة طيعة فى ركابها، تمهد لها الطريق وتـوفر لهـا مقومات السير فيه، وطرقت لغة العلم الحديث كل أبواب النـشاط حتـى أصبحت على حد تعبير الأسـتاذ الكبيـر الـدكتور إبـراهيم مـدكور، رئيس المجمع " لغة نعيش معها فى الحقل، والمنزل ونرى آثارهـا فـى المصنع والمتجر، يرددها الأطفال فى مدارسهم ويُعنَى بها الـشباب فـى جامعاتهم، ويسجلها العلماء فى دراساتهم وبحوثهم". ومن حـق المجمـع علينا – نحن العلميين – أن ندين له بالفضل ونعترف له بالـسبق وبُعـدِ النظر؛ فقد أحسن بالفعل منذ نشأته وكأنه كان يقرأ صحف الغيـب بمـا سيكون للغة العلم والتكنولوچيا من شأن فى حياتنا العلمية والتكنولوچيـة، فأورد لها نصًّا صريحًا فى لائحته يقول بأن: " من أهم أغـراض هـذا المجمع أن يجعل اللغة العربية وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقـدمها وملائمةً على العموم لحاجات الحياة فى العصر الحاضر".

وقد قطع المجمع شوطًا بعيدًا نحو تحقيق هذه الغايـة، ولا أكـون مبالغًا إذا قلت إنه يجتاز فى هذه الآونة عصره الذهبى.

سيدى الرئيس .. السادة الأعضاء:

من التقاليد الكريمة التى أرساها هذا المجمع الموقر أن يتحدث العضو الجديد عن سلفه، وقد شاء اللهُ أن أشغل المقعد الذى كان يشغله المغفور له الأستاذ الدكتور مراد كامل، العالم الجليل الذى نذر حياته للعلم والبحث، وأنفق عمرَه غوّاصًا فى بحار المعرفة، أتقن عددًا كبيرًا من لغات الشرق والغرب قديمِها وحديثِها فأطلَّ بها على ثقافاتٍ متعددة ونهَلَ كثيرًا من نبعها الفياض، وملأ صدره بعطرها وشذاها فكان موسوعيًّا بكل معنى الكلمة. وقلَّ أن يكونَ له ضريبٌ فى عدد اللغات واللهجات التى حذقها. وقد ظلّ فى محراب هذا المجمع عضوًا بمجلسه سنين عدة، وخبيرًا بلجانه طوال ربع قرن، يعطيه ويجزل له العطاء ويسهم فى نشاطه بعلمه الغزير وبحوثه اللغوية العميقة.

عرفت الفقيد قرابة خمسة عشر عامًا حين تزاملنا فى عضوية المجمع العلمى المصرى، وكنا نقوم على شئونه فى الأمانة العامة وكثيرًا ما التقينا وعرَفَ كلٌّ منا الآخر عن قرب.

وُلدَ الفقيدُ فى عام ١٩٠٧م، وتلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى مدارس الفرير والمارونية والمدرسة التوفيقية، ثم التحق بكلية الآداب بقسم اللغة العربية واللغات الشرقية بجامعة القاهرة، وتخرج فيها عام ١٩٣٠م، ثم أوفدَتْهُ الجامعةُ فى بعثةٍ إلى جامعة توبنجن بألمانيا الغربية، فحصل على دبلوم فى اللغة اللاتينية وآدابها عام ١٩٣٤م، وعلى دبلومٍ آخر فى اللغة اليونانية وآدابها فى العام نفسه. وفى العام التالى (١٩٣٥م)

نال الفقيد درجة الدكتوراه، ثم واصل دراسته بعد ذلك ونال درجة دكتوراه الأستاذية من الجامعة نفسها عام ١٩٣٨م، وعاد بعد ذلك لينخرطَ فى سلك هيئة التدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة، وظل يَرْقَى مدارجَ السُّلَّمَ الجامعى حتى أصبح أستاذًا ورئيسًا لقسم اللغات السامية بالكلية، ولمع لمعانًا كبيرًا وتألَّق فى المحيط العلمى واللغوى، وتلقفته هيئات كثيرة تبتغى علمه وخبرته. وعندما أعيد إنشاء مدرسة الألسن عام ١٩٥٢م انتُدِب عميدًا لها، فأرسَى قواعدها قوية متينة، وساس أمورها بمهارة وحكمة، ونهض بها نهضة مباركة طوال ست سنوات متصلة.

وقد أتقن الفقيد لغاتٍ عدة؛ ومن بين اللغات التى كان يؤلف ويتحدث بها الألمانية والإنجليزية والإيطالية والإسبانية. أما اللغات التى تدخل فى نطاق تخصصه فكانت منها البابلية والأشورية والكنعانية والفينيقية والحميرية والحيثية واللغة المصرية القديمة واللغة القبطية بلهجاتها المختلفة واللغات الأثيوبية، وكان يتحدث اللغة الأمهرية بطلاقة. وبالإجمال فقد بلغ عدد اللغات واللهجات التى كان يعرفها الفقيد نحو خمس وأربعين لغة ولهجة، أتقن عددًا كبيرًا منها.

وكان ــ رحمه الله ــ ذا باعٍ طويلٍ فى البحث والاستقصاء والنشر والتأليف؛ فقد بلغ عدد مؤلفاته نحو مئةٍ وسبعين بحثًا تناولت مجالات عدة منها اللغويات، والآداب العالمية، ودراسة

المخطوطـــات وتحقيقهـــا، والبرديـــات والنقـــوش والفنـــون القديمـــة والحديثة، ودراسة الأديان وتاريخ الـــشرق وحـــضارته فـــى العـــصور القديمة والوسيطة والحديثة، وسِيَر العلماء، والمعاجم.

كما ألف عدة بحوث قيمة بالمجمع نشرت بمجلته منهـــا: " علـــم الأصوات نشأته وتطوره" ، "الزمن فى الكيمياء عند العـــرب" ، " اللغـــة العربية لغة عالمية". كما أدلَى بدلوه سنين طويلة فى أعمال لجنة المعجم الكبير ولجنة اللهجات ولجنة الفنون، وقد عين الفقيد عضوا بالمجمع عام ١٩٦١م.

ولمكانة الفقيد العالمية، اختِيرَ عضوا بالأكاديمية الألمانية للآثـــار ببرلين عام ١٩٥٩م، وعضوًا فخريًّا بالمعهد التـــشيكوسلوفاكى لدراســـة الآثار المصرية بجامعة كارل ببراج عام١٩٦٥م، وأستاذا مـــدى الحيـــاة بجامعة فرايبورج بألمانيا، وأستاذًا زائرًا بجامعة انزبروك بالنمسا عام١٩ ٥١م.

كما مُنِحَ الفقيدُ أوسمةً رفيعةً عدة ، تقديرًا لأعماله العلمية واللغوية من أثيوبيا وألمانيا الغربية وإيطاليا، وكذلك أسهَمَ الفقيدُ بجهود مرموقـــة فى كثير من الجمعيات والهيئات العلمية المصرية التـــى عرفَـــتْ قـــدْرَه وشرُفَتْ بعضويته، ومنها المجمع العلمى المـــصرى (١٩٥٠م)، ومعهـــد الدراسات الشرقية (١٩٥٤م)، ومعهد الدراسات القبطية، وجمعية الآثـــار

القبطية.

كما مثَّلَ الفقيدُ مصرَ وجامعةَ القاهرةِ فى الكثير من المؤتمرات والاجتماعات العلمية الدولية.

وفوقَ كلِّ هذا، فقد كان ـ رحمه الله ـ على خلق كريم، هادئ النفس، وديع القلب، حلو المعشر، عرَفَهُ الكثيرون صديقًا وفيًّا مخلصًا محبًّا للخير، كما حباه الله بديهةً حاضرةً وذكاءً حادًّا وقريحةً وقَّادة.

سيدى الرئيس... سادتى الأعضاء:

لا يمكننى فى هذه العجالة أن ألمَّ بمناقب المغفور له الدكتور مراد كامل وأعماله الخالدة، فقد جاء ذكرُها تفصيلا فى كتب المجمع عند استقباله وعند تأبينه، وكلها نماذجُ رائدةٌ من العمل العلمى واللغوى الرائع الذى يعكس عبقرية هذا العالم الفذّ المعطاء والذى ينهض دليلاً ناصعًا على عظمة الخالق حين يهب العِلْمَ والحكمةَ من يشاء.

تغمَّدَ الله الفقيدَ بواسع رحمته، وأجْزَلَ له الثواب جزاء ما قدَّم لوطنه وللإنسانية من علم ينفع المؤمنين.

اللغة العربية
فى خدمة علوم الأحياء(*)

منذ أكثر من ألف عام تألقت فى سماء الأمة العربية نهضة علمية إسلامية بلغت أوجها فى عصر الخليفة المأمون (٧٨٦ ــ ٨٣٣م) حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم، ويترجمون الكتب الإغريقية والسريانية والفارسية، وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية، وقد حمل لواء هذه الحركة العلمية العارمة التى امتدت بعد ذلك بضعة قرون عدد من العلماء العرب الأعلام قاموا بأروع الإنجازات العلمية وكتبوا أعظم المؤلفات والموسوعات وأضافوا إلى هذه التراجم الكثير من مبتكراتهم، مما جعل بعض المنصفين من المؤرخين يعترفون بأنه لولا أعمال هؤلاء العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الأوربية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية طويلا.

(*) انظر التعقيبات على البحث فى محاضر جلسات مؤتمر الدورة الخامسة والأربعين (جلسة الثلاثاء ٧ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٩هـ، الموافق ٣ من مارس سنة ١٩٧٩م).

كان ذلك العصر عصرًا ذهبيًّا بالنسبة للغة العربية لغةً للعلم، زخرت بآلاف المقابلات والمصطلحات والمأثورات فى مختلف فروع العلم التى تناولها العلماء العرب بالدراسة، وبرزوا فيها، وعلَّموا غيرهم، وأخذ عنهم علماء عصر النهضة الأوربية ما شاء لهم أن يأخذوا من هذا المَعِين الزَّاخر بالمعارف العلمية والإنسانية، ولو أنهم كثيرا ما تناسوا فضلهم.

وكانت علوم الأحياء من بين هذه العلوم التى أَوْلاها العلماءُ اهتمامَهم دراسة وبحثًا وتأليفًا باللغة العربية، مما كان له أبعد الأثر على الأجيال المتعاقبة التى جاءت من بعدهم عبر عدة قرون، وما زلنا – نحن المشتغلين بعلوم الأحياء – حتى اليوم نترع من نبعهم الفياض وأسفارهم الجزلة المعطاءة كؤوس العلم واللغة والمعرفة، تبهرنا فيها تلك الثروة اللغوية الهائلة فى علوم النبات والزراعة والحيوان والحشرات.

ففى كتاب الشفاء لابن سينا (ولد فى ٣٧١هـ/٩٨٠م) الذى يقع فى أكثر من عشرين مجلدا، وكُتِب فى فترة تعدُّ من أزهى عصور الحضارة العلمية والإسلامية وترجم إلى اللاتينية واللغات الأوربية، تناول الشيخ الرئيس – فى بعض فصوله – دراسة النباتات الشجرية والعشبية والزهرية والفطرية والطحلبية. وذكر الأجناس المختلفة من النبات والأنواع المختلفة من الجنس الواحد، وكذلك الآراء والنظريات حول تولد النبات والأنوثة والذكورة فيه، كما تكلم عن الثمار فى النباتات المختلفة

وعن التطعيم وعن ظاهرة المسانهة فى الأشجار والنخيل، وذلك بأن تحمل الشجرة سنة حملا ثقيلا وسنة حملا خفيفا أو تحمل سنة ولا تحمل أخرى.

وفى الجزء الخاص بالحيوان وصف رائع لمختلف أنواع الحيوان والطير؛ وعن الحيوانات المائية يقول ابن سينا: إن منها ذات ملاصق تلزمها كأنواع من الأصداف، ومنها متبرئة أى متحررة الأجساد مثل السمك والضفادع، واللاصقة منها التى لا تبرح كالإسفنج، كما تكلم عن العظام والغضاريف والشرايين والأوردة والأغشية والأعصاب، وتناول بإسهاب التشريح المقارن والأجهزة الداخلية فى الحيوانات المختلفة ومنها الطيور والأسماك.

وفى كتاب الحيوان للجاحظ (أبى عثمان عمرو بن بحر ٧٧٥ ــ ٨٦٨م) وهو سفر ضخم فى سبعة أجزاءٍ دراسةٌ موسوعيةٌ قَلَّ أن يكون لها ضريب فى ذلك الزمان، اتسمت بالسعة والشمول والدراسة الحادة الدقيقة، وقد طوع الشيخ اللغة المنثورة لمقتضيات الوصف العلمى على أروع صورة، وعنى باختيار اللفظ ليعبر عن سلوك الحيوان أدق تعبير كما ظهرت فى كتابته القدرة على التمييز والبراعة فى الوصف، فتراه فى مقدمة الكتاب يقسم الحيوان إلى فصيح وأعجم، فالفصيح هو الإنسان والأعجم هو الحيوان.

ثم يستطرد ويقول: من الحيوان الأعجم ما يرغو وينغو وينهق ويصهل ويشمخ ويخور ويبغم ويعوى وينبح ويزقو ويصفر ويهدر ويوصوص ويوقوق وينعب ويزأر ويبح ويكش.

والكتاب فى فصوله المختلفة ملىء بمباحث عدة عن تقسيم الحيوان ومميزات كل قسم وعن تكوين البيضة من الفروج وعن بيض الطيور وعن بناء العش ورعاية الأبوين للصغار وعن الطيور وأنواعها، كما تناول بالدراسة الكثير من الحشرات كالذباب والنحل والزنابير والفراش والخنافس والجراد، كما تحدث عن سمك القرش والقرد والخفاش والأفاعى وحيوانات أخرى كثيرة وَصَفَ حياتها وطبائعها. وكان يسجل مشاهداته على سلوك الحيوانات من واقع التجارب التى يجريها عليها حيث كان يضعها تحت ناقوس زجاجى ويرقب حركتها وسلوكها؛ كما كان يقوم بتشريح الحيوان ليستجلى أجهزته الداخلية؛ وكان الجاحظ بذلك العلم الموسوعى والتجريبى رائدا له مكانته فى هذا المجال.

ومن أروع ما كتب فى علم النبات باللغة العربية منذ أكثر من ألف سنة كتاب النبات للدينورى (أحمد بن داود أبى حنيفة، المتوفَّى سنة ٢٨٠هـ/ ٨٩٥م) والملقب بشيخ النباتيين العرب الذى أخذ عنه علماء النبات الذين جاءوا من بعده، وكان مرجعًا لكثير من دراساتهم وبحوثهم، فقد وصف مئات النباتات وصفًا دقيقًا مشيرًا إلى استعمالاته ومواطن نموه وحياته، وكما يقول الدكتور منتصر: لعل كتاب النبات

للدينورى - ويعنينا منه الجزء الخامس - لم يصنف مثلـه فـى اللغـة العربية حتى عصره، وفيه أسماء النباتات مصنفة على حروف المعجـم، وقد اعتمد فى روايته على المصادر العربية الأصيلة. وكتاب آخر فـى علم النبات يثير الإعجاب حقا هو "*الجـامع لـصفات أشـتات النبـات للإدريسى*" (محمد بن محمد بن عبـد الله الأندلـسى الحـسينى الـشهير بالإدريسى)، الذى ولد عام ١٠٩٩م فى أواخر القرن الخامس الهجـرى وعاش ثمانين عامًا. ويقع الكتاب فى جزأين ضمن الجزء الأول (٣٦٠) ثلاث مئة وستين نباتًا، كما اشتمل الجزء الثانى على مـا يقـرب مـن (٣٠٠) ثلاث مئة نبات تنتهى بانتهاء حروف المعجم، وقد وصفها وصفا رائعًا ووصف منافعها وخواصها وحقق أسماءها بلغات مختلفـة، وأورد هذه الأسماء باللغات السريانية واليونانية والفارسية والهندية واللاتينيـة، وذكر أنه أضاف إلى قائمته النباتية أنواعًا أغفلَهـا مَـن سـبقوه مثـل التمرهندى والقرنفل والمحلب وغيرها.

وفى كتاب المخصص لابن سيده (أبى الحسن على بن إسـماعيل النحوى المتوفى عام ٤٥٨هـ وعمـره سـتون سـنة)، ذلـك الكتـاب الموسوعى الذى يقع فى سبعة عشر جزءًا والـذى كتبـه إبـان القـرن الخامس الهجرى بلغة عربية أصيلة يعنينا ما جاء فـى بعـض أجزائـه خاصا بالحيوان والنبات، ففى الجزء السادس تكلم عن الخيل وصـفاتها وفى الجزأين السابع والثامن تناول بالوصف والدراسـة الإبـل والغـنم والماعز والطيور والنحل والنمل والعناكب والسباع وغيرها من أنـواع

الحيوان وأشار إلى حياتها وعاداتها وألوانها وأمراضها، ثم تكلم في الجزء العاشر والجزء الثانى عشر عن الكلأ والشجر والعشب والحنظل والبصل ونبات القطن وبعض العقاقير وغيرها. وقد عنى بالأوصاف الدقيقة للأعضاء فى الكائنات من حيوانية أو نباتية، والكتاب ذو قيمة علمية ولغوية للدارسين لعلم الشكل أو الهيئة فى مجال علوم الأحياء.

وإبان القرن السادس الهجرى كتب البغدادى (موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف ٥٥٧ – ٦٢٩هـ) كتابه المعروف "*الإفادة والاعتبار*" فى الأمور المشاهدة والأحوال المعاينة فى أرض مصر، وقد وصف فيه الكثير من حيوانات مصر ونباتاتها، وكان وصفه دقيقا فى بعض الأحيان مع قدرة فائقة على المقارنة والاستنتاج.

وفى القرن السابع الهجرى أَلَّفَ ابن البيطار (أبو محمد عبد الله أحمد ضياء الدين الأندلسى الملقى ٥٧٥ – ٦٤١هـ) إمامُ النباتيين والعَشَّابين كتابَه الأشهر من بين مؤلفاته الكثيرة "*الجامع لمفردات الأدوية والأغذية* " ثمرة من ثمرات دراساته الواعية العلمية والعملية فى أربعة أجزاء، وقد جمع فيه من مؤلفات العرب والإغريق ومن تجاربه الخاصة كلَّ ما يتعلق بالنباتات الطبية وبعض الحيوانات التى تُتَّخذ منها عقاقير لعلاج الأمراض، وكانت طريقته فى الدراسة والإعداد لهذا العمل الكبير أن يذكر اسم النبات أو الحيوان باللغات المختلفة ثم يصف أجزاءه وصفًا علميًّا دقيقًا مستعينًا بما سبق أن قاله علماء الإغريق (أمثال جالينوس أو

ديموقراطيس أو ديسقوريدوس) أو العلماء العرب (أمثال ابن سينا أو ابن رضوان) عن منافعه وطريقة تحضير الدواء ثم طريقة الاستعمال، وقد ذكر كل ذلك مرتبًا ترتيبًا هجائيًّا، وبهذه الطريقة سرد ابن البيطار المئات من النباتات والكثير من الحيوانات، واعتمد فى حالات عدة على المشاهدة والتجربة، كما أنه كان صادقًا ودقيقًا فى النقل عن غيره من ذوى العلم والخبرة.

وفى هذا المجال أيضًا ألف القرطبى (أبو عمران موسى بن عبد الله) كتابه "*شرح أسماء العقَّار*" وقد كتب المخطوط بخط ابن البيطار، وبلغ عدد العقاقير التى شرحها القرطبى نحو (٤٠٠) أربع مئة عقار وجُلّها من النباتات وبعضها من الحيوانات التى تتخذ منها العقاقير، وقد رتب الأسماء على حروف المعجم بادئًا بالأترج (التفاح المائى) والأقحوان، ومنتهيا باليتوع (كل نبات له لبن يسيل إذا قطع) Euphorbia والياسمين.

وفى كتاب داود بن عمر الأنطاكى (توفى عام ١٦٠٠م) المعروف باسم "*تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب*"، الذى اختص أساسًا بدراسة الطب العلاجى وتحضير الأدوية والوصفات فى إسهاب استغرق سبع مئة صفحة، يعنينا منه فى المقام الأول الباب الثالث الذى تضمن المفردات والأقرباذينيات مرتبة على حروف المعجم، إذ أورد عدة مئات من أسماء النبات وعشرات من أسماء الحيوان مع

وصف شامل دقيق لها والعقاقير المتخذة منها، وقد ذكر هذه الأسماء باللغات المختلفة.

ويزخر كتاب القزوينى (أبى عبد الله زكريا بن محمد بن محمود ٦٠٥ – ٦٨٢هـ) "*عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات*" الذى كتبه إبان حياته التى امتدت سبعة وسبعين عامًا فى القرن السابع الهجرى بالكثير من المعارف عن الحيوان والنبات ووصف أنواعًا منها تعد بالمئات وبخاصة ما تتخذ منها عقاقير تستعمل فى الطب، وشملت دراساته الطيور والحشرات والأسماك والحيوانات المائية الأخرى، كما تحدث عن سلوك الحيوان وحياته وطبائعه وكيف يجمع غذاءه ويدخر قُوتَه ويصنع بيوته، وقد طبع هذا الكتاب على هامش كتاب الحيوان للدميرى وأعيد طبعه عدة مرات وترجم إلى عدة لغات.

و"*حياة الحيوان الكبرى*" لكمال الدين الدميرى (٧٤٢ – ٨٠٨هـ) كتاب فى جزأين كتبه فى القرن الثامن الهجرى زاخر بالمعلومات عن الحيوان، يقول الدميرى إنه جمعها من ستين وخمس مئة كتاب وتسعة وتسعين ديوانًا من دواوين شعراء العرب وجعله نسختين كبرى وصغرى، فى كبراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا، ورتَّبَه على حروف المعجم مُتَّبعًا الطريقة التى جرى عليها أسلافه من العلماء العرب. فبدأ بالكلام عن الأسد ذاكرًا أسماءه التى جرت على ألسنة العرب وشكْلَه وعاداته وطبائعه مستشهدا بأبيات من الشعر ونوادر وطرائف تتعلق بهذا

الحيوان، ثم يذكر أمثلة أخرى كالأربد (ضرب من الحيات) والأرضة، والأرقم (حية فيها بياض وسواد كأنه رقْم أى نقش)، ثـم يمـضى إلـى الحروف التالية معالجًا المئات من أنواع الحيوان، وقد بلغ عدد الحيوانات التى تناولها بالدراسة والاستشهاد نحو(٨٦٠) ثمان مئة وستين نوعًا، ضمَّ الجزء الأول من كتابه منها نحو(٣٨٠) ثلاث مئة وثمانين نوعًا، وضـمَّ الجزء الثانى الأنواع الباقية.

وبالإضافة إلى ما حوى الكتاب من وصـف للحيـوان وحياتـه وسلوكه وموطنه، فقد وصف الكتاب بأنه جمع ما بين أحكـامٍ شـرعية وأخبار نبوية ومواعظ نافعة وفوائد بارعة وأمثال سائرة وأبيات نـادرة وخواص عجيبة وأسرار غريبة، وبه تراجم نخبة من الشعراء والعلمـاء والفلاسفة، وقد طبعت عدة مختصرات لهذا الكتاب وترجم أكثـره إلـى اللغة الإنجليزية، وطبع فى لندن وبمباى فى عـامى ١٩٠٦م، ١٩٠٨م، كما عنى بنشره المحققون وطبع كاملا منقحًا عدة مـرات فـى العـصر الحديث.

هذه لمحة سريعة لمنجزات رائدة خالدة فى علوم الأحياء جـاءت بلسان عربى مبين، وقام بها أسلافنا من الناطقين بالضاد وجـادت بهـا قرائحهم الوقادة وعقولهم النيّرة وظلت مشعلاً وضـاءً وبحـرًا زاخـرًا بالمعرفة عبر عدة قرون إبان العصور العلمية الإسلامية الزاهـرة ومـا بعدها لغيرهم إبان عصر النهضة الأوربية.

ودار الزمن دورته وخيَّم على الأمة العربية طوال القرون الثلاثة التى سبقت القرن التاسع عشر تخلُّفٌ رهيبٌ نتيجةً لاستعمارٍ متحكمٍ جَـثَمَ على صدورها وقطَع أوصالها وانعكست آثاره على اللغة والعلوم والمعارف الإنسانية كلها، وفى القرن التاسع عشر بدأت صحوة عربية للحاق بركب الحضارة ودعوة قوية أن تعيد الأمة للغة العربية سابق مجدها، وبدأت فى مصر وكذلك فى شقيقاتها العربيات حركة فى هذا السبيل على يد عدد من المصلحين والمجددين، ومع بداية القرن العشرين نشطت حركة التعريب وجمْع المصطلحات العلمية وتحقيقها وإصدار بعض المعاجم المتخصصة. ووجدنا فى مجال علوم الأحياء عددًا من الرواد قاموا بجهود ضخمة يطيب لى أن أذكر منها "*معجم أسماء النبات*" للدكتور أحمد عيسى، الذى صدر فى شهر يناير من عام ١٩٢٦م، ولا شك أنه أنفق فيه سنين عددًا فى إعداده قبل ذلك، ويقول إنَّ مما عنى به عناية خاصة وبذل الجهد فى جمعه وتحقيقه أسماءَ النبات ومرادفاتها فى جميع العصور ومن مختلف البلدان العربية اللغة، كمصر والسودان، وبلاد العرب واليمن والعراق وسوريا وفلسطين وبلاد المغرب.. وذكر الدكتور عيسى فى مقدمة معجمه أن لغويّى العرب قد عنوا بالنبات وأسمائه ولهم فى ذلك التصانيفُ الممتعة التى زادوا عليها ما اقتبسوه من نبات الهند وفارس واليونان وغيرها من البلدان، فامتلأت أسفارهم بالعربى الفصيح والمعرب والمولَّد. وقد جمع ذلك كله فى معجمه وأراد بذلك أن يكون المعجم شاملا كل ما عرف من أسماء النبات فى المصنفات العربية مهما اختلفت جنسية الكلمة، وأن يكون المعجم

مرجعًا لتحقيق الكلمات التى أتت بها المصنفات العربية ولم تكن معروفة الأصل مقتصرًا على معرفة أسماء النبات — ولا شك أن معجم أسماء النبات لأحمد عيسى إنجاز علمى ولغوى ضخم لا غنى عنه للمشتغلين بعلم النبات أو العاملين فى مجال التعريب ونقْلِ هذا العلم إلى اللغة العربية.

وفى العام نفسه أى عام ١٩٢٦م صدر قاموس الدكتور محمد شرف فى العلوم الطبية والطبيعية ومن بينها علوم الحيوان والنبات، وقد شمل المصطلحات باللغة الإنجليزية ومقابلاتها وشروحها باللغة العربية، وقد عنى هو كذلك أشد العناية بالرجوع إلى ما كتبه الأسلاف من العرب فى هذا الشأن وما كتبه المستشرقون؛ ثم يقول إنه لم يُثبت اصطلاحا أو مفردًا بالعربية قبل أن يتثبَّت من صحته وموافقته، فإن لم يعثر له على نظير بالعربية جعل له اسما مناسبًا على نسق أسلوب العرب فى الأندلس أو عرَّب اسمَه حسب الأصول اللغوية المتبعة، ويقع هذا القاموس فيما يقرب من ألْفِ صفحةٍ ويضُم أكثر من أربعين ألف مصطلح، بينها عدد لا يستهان به من علوم الأحياء، وهو عمل علمى ولُغوى من الطراز الأول يعتبر قمة فى الأداء والاستقصاء.

ويجدر بى فى هذا المقام أيضا أن أشير إلى عملين جليلين آخرين أسهمت اللغة العربية بهما كذلك فى خدمة علوم الأحياء وهما" معجم *الحيوان*" للفريق أمين المعلوف و"معجم *الألفاظ الزراعية*" للأمير

مصطفى الشهابى، والأول صدر عام ١٩٣٢م ولو أنه يقول إنه بدأ فى جمع مادته ونشرها منذ عام ١٩٠٨م فى مجلة المقتطف. وقد تناول وصْفَ ما يقرب من ١٥٠٠ نوع من أنواع الحيوانات وصفًا علميًّا أَوْجَزَ فيه أو أَسْهَبَ حسب مقتضى الحال مشيرًا إلى اسم الحيوان فى البلاد العربية المختلفة وفى بلاد الهند وفارس، وأوضح الأسانيد التى أخذ عنها، وقد توخى الأمانة فى النقل كما يقول، وإيراد أفصح الألفاظ أولا ثم الفصيح ثم ما عرَّبَتْه العرب ثم المولَّد ثم ما عرَّبَه المولدون واسم الحيوان موضَّحًا باللغتين الإنجليزية واللاتينية.

أما "*معجم الألفاظ الزراعية*" للأمير مصطفى الشهابى فقد صدر عام ١٩٤٣م، ولكنه ظل يجمع ويحقق مادته طوال عشرين سنة قبل ذلك التاريخ. ويشتمل المعجم على تسعة آلاف لفظ فرنسى أو علمى وضع أمامها ما يقابلها بالعربية، ويقول إن من الألفاظ العربية. المذكورة ثلاثة آلاف لفظ على الأقل هى من وضعه أو تحقيقه لم يسبقه إليها أحد من أصحاب المعجمات الأعجمية العربية. وهذا المعجم غنى بألفاظ العلوم الزراعية على اختلافها كزراعة الحبوب وأبحاث التربة وزراعة البساتين وتربية الخيل والأنعام والنحل والطيور، وما له صلة بالزراعة كالحشرات والحيوانات، كما يتناول أهم الفصائل النباتية وأسماء التصنيف فى علم الحيوان والأسماء العلمية للنباتات والحيوانات الزراعية مع ذكر فصائلها بالعربية. وقد عمد فى إيجاد أصلح الألفاظ العربية إلى كتب اللغة، وأخرج منها ما له علاقة بالعلوم الزراعية من الكلم، وكذلك

فعل بكتب الفلاحة العربية واليونانية، كما راجع مفردات ابن البيطار ورسائل الأصمعى فى الخيل والنبات والشجر، وألفاظًا محققة ومصطلحات من معاجم ومصادر أخرى عدة.

هذه أمثلة فقط لجهودٍ رائدةٍ لنَفَرٍ من العلماء فى الوطن العربى فى مجال علوم الأحياء سبقتها وتَلَتْها جهود أخرى قيمة فى هذا المجال.

ولكن لعل أعظم إنجاز قومى وعربى أخذ بيد اللغة العربية وخطا بها خطواتٍ فسيحةً إلى الأمام، بل انطلق بها إلى آفاق رحبة لتواكب عصر العلم ومقتضيات التطور هو إنشاء المجامع اللغوية بالوطن العربى. ففى مصر وفى بداية الثلاثينيات عام ١٩٣٢م أنشئ مجمع اللغة العربية بالقاهرة؛ ولو أن محاولات أخرى جادة فى هذا السبيل قد سبقت إنشاءه فى مطلع هذا القرن، وسبقت هذه المحاولات دعوة إلى ذلك أيضا فى أخريات القرن التاسع عشر. وقد تحقق بإنشاء هذا المجمع أمل عزيز طالما تطلع إليه أهل العلم واللغة والأدب فى مصر ليقوم بدوره البَنَّاء نحو اللغة والحفاظ عليها وعلى أصالتها وتراثها، وليحمل على كتفيه عبء النهوض بها وتطورها وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائِمَةً للحياة العصرية المتطورة، ودراسة المصطلحات، وغير ذلك من المهام فى مختلف المجالات.

وقد اهتم العلميون بصفة خاصة بإنشاء مجمع اللغة العربية نظرًا

للدور الرئيسى الذى يمكن أن يقوم به فى مصر بل فى الوطن العربى كله فى تعريب العلم، وكذلك للعون الكبير الذى يمكن أن يقدمه لهم فى مجال المصطلحات العلمية السليمة. وقد سار المجمع فى هذين الاتجاهين شوطًا بعيدًا بنشاط ملحوظ ودفع حركة النشر والترجمة والتعريب خطوات فسيحة إلى الأمام، وشاع استعمال المصطلحات العلمية السليمة فى المؤلفات العلمية فى مجال علوم الأحياء وغيرها.

ومن بين لجان المجمع الثلاثين التى تضطلع بمختلف أنواع النشاط العلمى واللغوى والأدبى لجنةُ علوم الأحياء والزراعة التى امتد نشاطها الملحوظ قرابة ثلاثين عاما حتى اليوم(*)، توفرت خلالها على دراسة مصطلحات علوم النبات والحيوان والحشرات والوراثة وعلوم البحار والزراعة، ووضعت بحوثًا قيّمةً فى بعض هذه المجالات. وقد بلغت جملة المصطلحات العلمية فى علوم الأحياء التى درستها اللجنة ووضعت لها المقابلات المناسبة باللغة العربية وشرحت معانيها نحو عشرة آلاف مصطلح علمى، وقد نشر نحو أربعة آلاف منها ظهرت فى مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التى يصدرها المجمع كل عام.

كما حققت اللجنة مئات الألفاظ من أسماء النبات والحيوان المحولة إليها من لجان المعجمات اللغوية بالمجمع، وأضافت إليها الشروح

(*) أى فى وقت إلقاء هذا البحث : مارس ١٩٧٩م.

والدلالات فى العلم الحديث، كما وضعت بحوثا قَيّمة فى أنواع الحيتان والثعابين والألفاظ الخاصة بالنخيل، ونُشِرتْ كلها فى مجلة المجمع، كما قامت اللجنة بوضع مصطلحات التحضيرات الخاصة بالفحص المجهرى (الميكروتكنيك)، وكذلك نظرت فى المصطلحات التى أصدرتْها منظمة الأغذية والزراعة الخاصة بالبيئة النباتية وأبدت فيها رأيها العلمى، وراجعت بعضَها مراجعةً علميةً ولغوية، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به اللجنة من البحث المستمر فى أمهات الكتب القديمة التى كتبها أسلافنا العرب فى علوم الأحياء ومختلف المعاجم والمراجع، مما يساعدها فى عملها وييسر لها إنجازاتها. وأمام اللجنة حاليًّا(*) مشروع لوضع معجم وسيط فى علم الأحياء على غرار معاجم " بنجوين"، وقد اتخذ المجمع الخطوات اللازمة للسير فيه بعد أن ناقش الدوافع لهذه الفكرة التى كان قد أبداها المغفور له الدكتور محمود توفيق حفناوى عضو المجمع، وهى أن طلابنا فى المعاهد والجامعات فى حاجة ماسة إلى معجم وجيز فى علوم الأحياء والزراعة يتداولونه ويستعملون منه مصطلحات صحيحة أقرَّها المجمع، والأمل معقود أن يتم تنفيذ هذا المشروع فى زمن ليس ببعيد.

ومن أهم إسهامات اللغة العربية فى خدمة علوم الأحياء من خلال المجمع ودراساته هو وضع قاعدة موحدة للتصنيف البيولوچى، ووضع أسماء مقابلة لحلقات التصنيف المختلفة فى عالمى النبات والحيوان ، وقد

(*) فى ذلك الوقت ١٩٧٩م.

كان لإقرار هذه الأسماء من قِبَل مجمعنا أكبر الأثر فى القضاء على حيرة كانت شائعة لدى المؤلفين والدارسين، وأصبح اليوم كلٌّ اسم عربى يدل اصطلاحيا على حلقة واحدة معلومة من حلقات التصنيف على غرار الأسماء الأجنبية المقابلة لها.

وقد أقر المجمع كذلك القواعد الآتية فى ترجمته أسماء المواليد والأعيان من نبات وحيوان وتعريبها، وهو من بحث للأمير مصطفى الشهابى عضو المجمع؛ وهو ما تأخذ به لجنة علوم الأحياء والزراعة فى عملها ما أمكن.

الأولى: ترجمة الألفاظ العلمية بمعانيها هو المجال الأوسع فى حلقات التصنيف العليا، وهى الشُّعَب والطوائف والرتب، فنقول: المفصليات أو مفصلية الأرجل لشعبة Arthropoda .

الثانية: أسماء القبائل والفصائل النباتية أو الحيوانية تكون عربية أو معرَّبة على حسب اسم النبات أو الحيوان الذى تنسب إليه، فنقول: الخبازية لفصيلة Malvaceae.

الثالثة: أجناس المواليد التى ليس لها أسماء عربية تُعرَّب أسماؤها العلمية إذا كانت منسوبة إلى الأعلام مثل زهرة دهلية Dahlia من الفصيلة المركبة، وهى باسم عالم نباتى سويدى، وتترجم بمعانيها إذا أمكن ترجمتها فى كلمة عربية سائغة مثل جنس *Formica* وترجمته: نمل، وإذا لم يكن ذلك ممكنا رجَّح تعريبها.

الرابعة: لا مجال للتعريب فى الألفاظ العلمية الدالة على أنواع

النبات، لأن جميع الألفاظ أو معظمها نعوت أو صفات تترجم ترجمة فى جميع اللغات الحية فنقول مثلا خبازة مجعدة لكلمتى *Malva crispa*.

الخامسة: يوجد مجال فى الترجمة أو التعريب جميعًا فـــى الألفــاظ الدالة على السلالات والأصناف أو الضروب ، وقد أشار المجمـــع إلـــى ضرورة الازدواج أى ذكر الأسماء العلمية اللاتينية فى الدراسات العليـــا وفى حالة احتمال أى لبس.

وحيث توجد ترجمات معقولة مستـــساغة لأســـماء المجموعـــات التصنيفية الحيوانية النباتية فلا مجال للتعريب، ومن أمثلة ذلك الفقاريات والأسماك والبرمائيات والزواحف والطيور فى طوائف الحيوان، كذلك لا مجال للتعريب فى غشائية الأجنحة وحرشفيات الأجنحة وذوات الجناحين من رتب الحشرات وكذلك الزهرية وذوات الفلقتين وذوات الفلقة الواحدة وما إليها فى النبات.

وعلى أى حال، فإن لجنة علوم والأحياء والزراعة فـــى أعمالهـــا التصنيفية وغير التصنيفية أخذت على نفسها أن تقصِر التعريـــب علـــى مقتضيات الضرورة، وأجازتْه عندما يتنـــاول المـــصطلح اســـما شـــاع استعماله بين اللغات العالمية، وهناك بعض التوصـــيات حـــول أســـلوب اختيار المصطلحات العلمية ستعرض على المؤتمر الموقر تستهدى بهـــا اللجنة فى عملها، ومع ذلك فإن اللجنة حين تتصدى لترجمة مصطلح فى علوم الأحياء والزراعة أو تعريبه تدرس المصطلح معنًى ومبنًى وأصلَه

اللاتينىّ أو اليونانىّ، وتبحث عن أفضل المقابلات له، وقد ترجع فى ذلك إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة، وقد تجد مقابلا أو مأثورًا دقيقًا غير مطروق فى الكتب القديمة، فتأخذ به ليشيع استعماله، ويمـر المـصطلح بمراحل عدة من الدراسة والمناقشة والتمحيص كفيلة بـصقله وصـوغه الصياغة المثلى، وقد أقر المجمع من هذه المصطلحات نحـو(١٠٠٠٠) عشرة آلاف مصطلح باللغة العربية الفصحى أدت إلى علـوم الأحيـاء خدماتٍ جليلةً حقًّا.

ويجدر بى فى هذا المقام أن أشير إلى الجهود الرائدة البَنَّاءة التى قامت بها المجامع العربية فى دمشق وبغداد فى سنوات حياتها الطويلـة، لا سيما فى مجال المصطلحات، وكذلك إلى جهود مكتب تنسيق التعريب بالرباط والهيئات العلمية واللغوية الأخرى المعنية بموضوع المصطلحات العلمية، وأملنا كبير إن شاء الله فى المجمع الأردنىّ الوليد.

ولعل أهمَّ ما يشغل البال بالنسبة لموضوع المصطلحات العلميـة هو توحيدها فى الوطن العربى، وهو أمل طالما تطلع إليـه المـشتغلون بعلوم الأحياء والعلوم الأخرى، للقضاء على بلبلة قائمة فـى اسـتعمال المصطلح الواحد بمقابلات مختلفة فى البلاد العربية ، ونحن على يقـين أن اتحاد المجامع اللغوية - وهو يحمل على كتفيه هذه المهمة الجليلة - سيُولِيها عنايته البالغة.

ولست فى حاجة إلى القول : إنه إذا كانت حركة التعريب العلمى والنقل إلى اللغة العربية فى علوم الأحياء والزراعة قد خطت خطوات فسيحة إلى الأمام فى ربع القرن الأخير، مع ظهور المئات من الكتب والمؤلفات العربية فى هذا المجال فى الوطن العربى، فإن اللغة العربية كانت - ولا شك - المعين الذى لا ينضب والبحر الذى اغترف منه المؤلفون والدارسون آلاف المصطلحات والمقابلات التى زخرت بها كتبهم وأسفارهم ، مما ينهض دليلا ساطعًا على قوة هذه اللغة وثرائها وشمولها واتساع آفاقها وقدراتها الفائقة على استيعاب التطور المتلاحق فى شتى قطاعات العلم والمعرفة، ودحضًا للفرية التى انتشرت بين بعض المتعلمين من أن اللغة العربية تقصر أحيانًا عن الوفاء بمطالب العلم الحديث والإيقاع السريع الذى نشهده فى هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمى.

تحية إلى مجامعنا اللغوية فى الوطن العربى فى بغداد ودمشق وعمان والقاهرة، هيئات مباركة قوامة على اللغة، وتحية إلى علمائها الأعلام الذين يعملون جادين مخلصين ليعيدوا إلى اللغة العربية سالف مجدها وهُم بالِغُوه بإذن الله.

اللغة العربية فى مؤسسات
التعليم العام والتعليم العالى
ووسائل النهوض بها فى مصر (*)

تقديم:

شهدت مصر فى السنوات الأخيرة قلقا بالغا لدى المشتغلين بأمور الثقافة والتعليم فى مصر عن مستوى اللغة العربية الذى بلغ درجة من الضعف والاستهانة تبدت فى جميع مراحل التعليم العام والتعليم العالى، وأشاعت الألم والحسرة بين سدنة اللغة العربية والقائمين عليها. ولا يكاد يمر يوم دون أن تتصدى أقلاَم لمأساة اللغة العربية، فمن قائل إن مجرد إلقاء نظرة عابرة على أوراق إجابة التلاميذ وكذلك الطلبة فى الجامعات يجعلنا نقف على حال اللغة العربية فى مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا بل وفى كل مناحى حياتنا من هبوطٍ فى مستواها ومعرفة متدنية بها.

(*) نشر هذا البحث بمجلة مجمع اللغة العربية، العدد (٦٥).

وفى ربع القرن الأخير وما قبله كانت اللغة العربية هى اللغة الفصحى، وكان معتنى بها تدريسا وتلقينا وكتابة وإذاعة، وأصبح الآن بين اللغة ودارسيها والناطقين بها جفوة صارمة وحلت محلها اللغة الدارجة أو خليط بين الفصحى والعامية ــ حالٌ يجعلنا نأسى حقا ونحن نرى المستوى اللغوى والثقافى يترنح على الألسنة صباح مساء ــ ومن قائل آخر إن اللغة العربية المعاصرة بجانب ما هى فيه من محنة فإنها تعانى اليوم من أزمة حادة تتمثل فى عزلة اللغة العربية بمفرداتها وكلماتها وأصالتها عما يجرى اليوم على الألسنة فى كل مكان، فالكثير مما نأكل وما نلبس وما نتداوى به وما نستخدمه من أدوات الصناعة والزراعة ومختلف الفنون وما يقع عليه بصرنا وما تسمعه آذاننا وما تلمسه أيدينا مستورد أو مصنوع بلفظه الأجنبى، ويطلبه الناس بلفظه الدخيل على اللغة، وأصبح كل ذلك جزءا من حياتنا، وتلك هى الخطورة الكامنة التى تحدق باللغة العربية والتى تدعو اليوم إلى وقفة صارمة قبل أن تصبح اللغة العربية غريبة بيننا.

لماذا يجب الاهتمام باللغة العربية؟

لست فى حاجة إلى القول إن اهتمامنا باللغة العربية ينبع من عقيدة دينية ثم من عاطفة وطنية وقِيَم حضارية وضرورات اجتماعية؛ هى وعاء الفكر ووسيلة الاتصال والتفاهم ورابطة القومية ، هى اللسان المبين الذى حفظه الله مع الذكر الحكيم وهو الوعاء الذى يحوى خبرات أهلها وتجاربهم ومعارفهم وفنونهم ومُثُلهم العليا وسائر ضروب ما تنتجه

قرائحهم، والذى يحفظ كل ذلك من جيل إلى جيل عبر العصور، واللغة العربية إلى هذا كله الأداة الأساسية التى نستخدمها فى نقل مختلف العلوم والفنون والمعارف إلى الناشئة فى مراحل تعليمهم العام والعالى والجامعى وهى كذلك أداة نشر الثقافة بأوسع معانيها وتراثنا وحضارتنا عن طريق مختلف وسائل الإعلام، كما هى الأداة التى يستخدمها الإنسان فى تثقيف نفسه بنفسه وفى تعلمه الذاتى مدى حياته، ومن هنا تبدو أهمية اللغة العربية وأهمية تعلمها وتعليمها لا باعتبارها مادة دراسية مقررة فحسب ولكن باعتبارها محورًا أساسيًّا فى بناء الإنسان بكل جوانبه ومحورًا للعملية التعليمية فى كل مراحل التعليم ومحورا للنشاط الإنسانى فى المجتمع، وفوق كل ذلك الاعتبار الدينى، فكل شعائر الإسلام وأركانه تدعو إلى تعلم اللغة العربية، ثم كان القرآن الكريم الباعث إلى أكثر العلوم العربية الخالصة سواء العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وتشريع أو العلوم الدنيوية من نحو ولغة وبلاغة وغيرها، وقد حمل الأزهر الشريف فى مصر هذه الرسالة السامية أكثر من ألف عام.

وعن عظمة اللغة العربية وعبقريتها ما شهد به المستشرقون المنصفون فقد قال المستشرق جرونباوم فى مقدمته لكتاب "تراث الإسلام": إن اللغة العربية هى محور التراث العربى الزاهر، وهى لغة عبقرية لا تدانيها لغة فى مرونتها واشتقاقاتها، وهذه العبقرية فى المرونة والاشتقاق اللذين ينبعان من ذات اللغة جعلتها تتسع لجميع مصطلحات الحضارة القديمة بما فيها من علوم وفنون وآداب، وأتاحت لها القدرة

على وضع المصطلحات الحديثة لجميع فروع المعرفة، كما يقول المستشرق الألمانى بروكلمان الذى أرَّخ للفكر والتأليف العربيين فى العصر الجاهلى حتى الآن فى سلسلة كتبه الشهيرة "*تاريخ الأدب العربى*"، يقول إنه بفضل القرآن بلغت اللغة العربية من الاتساع مدى لا تكاد تعرفه أى لغة أخرى.

لمحة تاريخية عن اللغة العربية فى مصر:

عرفت مصر اللغة العربية بعد الفتح العربى إبان القرن السابع الميلادى (عام ٦٤٠م)، وعندما دخلها العرب كانت اللغتان القبطية واليونانية سائدتين فى البلاد، وقد استقدم الفاتحون معهم مترجمين للتفاهم مع أهل البلاد ذلك الوقت. وقد استمر الحال على هذا المنوال قرابة قرن من الزمان إلى أن صدر أمر بإحلال اللغة العربية فى الهيئات الحكومية. وابتدأت اللغة العربية تتغلغل فى البلاد مع انتشار أهلها، ووفد على مصر بعض العلماء العرب الذين كتبوا وألَّفوا بالعربية مثل ابن يونس (ولد فى مصر) فى القرن العاشر، والبغدادى فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر وغيرهما، وقد عاشت اللغة العربية مع اللغة القبطية عدة قرون فى مصر إلا أن هذه الأخيرة أخذت تنحسر رويدا رويدا بحلول أواخر القرن الثامن عشر، وكانت العربية قد استقرت وعمَّ استعمالها فى مصر كلها.

وفى أوائل القرن التاسع عشر بدأ الحكم التركى لمصر وتعصبت العناصر التركية التى تولَّت الحكم للغتهم، وتخلف تعليم اللغة العربية

وشاعت العامية حتى فى المكاتبات الرسمية، ثم جاء الاحتلال البريطانى (١٨٨٢م) وقصر اهتمامه على المرحلة الابتدائية من التعليم فتراجعت اللغة العربية إلى معقلها بالأزهر ودار العلوم. وأخذ المحتلون يحاربون اللغة ويفرضون لغتهم على مواد التعليم كله لتجذب المتعلمين بها إلى حظيرة ذوى الثقافة الإنجليزية، ورأوا أن إحلال العامية المصرية محل اللغة العربية قد يحقق مآربهم، فنادوا بذلك صراحة، وقد أثار ذلك الشعور الوطنى الذى ظل يعتمل فى صدور الوطنيين المخلصين من قادة الشعب إلى أن قامت ثورة عام ١٩١٩م وصدر فى أعقابها دستور ١٩٢٣م فأعاد سعد زغلول بجرة قلم اللغةَ العربيةَ لغةً للتعليم فى جميع المدارس الحكومية؛ ثم إخضاع التعليم الأجنبى للإشراف المصرى ومحاربة الدعوة إلى استخدام العامية ــ وتقلص بذلك نفوذ دنلوب وغيره من المستشارين البريطانيين الذين كانوا نكبة على التعليم بصفة عامة وعلى اللغة العربية بصفة خاصة.

وبدأت بعد ذلك نهضة علمية وتعليمية تمثلت فى إنشاء الجامعة المصرية عام ١٩٢٥م والتوسع فى إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد العليا، ثم صدر المرسوم الملكى بإنشاء مجمع اللغة العربية عام ١٩٣٢م فكان نصرًا كبيرًا للغة العربية والحفاظ على سلامتها والعمل على أن تكون وافية بمطالب العلوم والفنون فى تقدمها ملائمة لحاجات الحياة فى العصر الحاضر.

اللغة العربية فى التعليم العام فى مصر(*)

الوضع الحالى لتعليم اللغة العربية:

اهتمت مصر فى ربع القرن الأخير وقبل ذلك بسنوات بالتعليم العام فزاد عدد المدارس وانتشرت فى كل رجا من الأرجاء فى الحضر والريف على حد سواء. وفى العام الدراسى ١٩٨٥ - ١٩٨٦م بلغ عدد المدارس الحكومية فى المراحل المختلفة من التعليم العام ابتدائية وإعدادية وثانوية وفنية (١٧٥٨٦) مدرسة، وبلغ عدد الطلاب فى هذه المراحل أيضًا (٩,١٧٨,٧٩٢) طالبًا وطالبة. وقد تضخم عدد الطلاب فى المدرسة الواحدة إلى نحو ألفين (٢٠٠٠) وبخاصة فى المرحلة الثانوية، الأمر الذى يعوق عملية الإشراف والإدارة السليمة كما ارتفعت كثافة الفصول المدرسية حيث يصل العدد فيها إلى ستين (٦٠) تلميذا، الأمر الذى يؤثر سلبًا على العملية التعليمية ومستوى الأداء.

وتتصدر اللغة العربية مناهج الدراسة فى هذه المراحل من التعليم العام، ويقوم بالتدريس عدة آلاف من المدرسين من ذوى المؤهلات والمستويات المختلفة مما سنعرض له فى حينه، ولكن الحقيقة اللافتة للنظر فى هذا المقام أن العجز فى مدرسى اللغة العربية فى مراحل

(*) ألقيت هذه المحاضرة فى يوم السبت ١٩/٤/١٩٨٨م فى افتتاح الموسم الثقافى لمجمع اللغة العربية الأردنى بعمان.

التعليم العام عدا المرحلة الابتدائية (الإعدادى والثانوى العام والثانوى الفنى ودور المعلمين والمعلمات) طبقًا لإحصائية ١٩٨٦/٨٥م يبلغ ١٢,٧٤٢ مدرسًا ومدرسة، وذلك أيضًا له أثره وانعكاساته على العملية التعليمية.

المشكلات الأساسية فى تعليم اللغة العربية:

يجابه تعليم اللغة العربية فى مراحل التعليم العام فى مصر فى الوقت الحاضر ومنذ سنوات عدة مشكلات أو صعوبات نتناولها فيما يلى:

أولا – معلم اللغة العربية وضعف مستواه وإعداده:

على الرغم من تقدم الوسائل التكنولوجية الحديثة واستخدام المواد التعليمية المبرمجة فى تعليم اللغة إلا أن المعلم كان وما زال وسيظل أساسًا مكينًا من أسس العملية التعليمية والتربوية، ولا شك أنه يحتل قلب المشكلة أو حجر الزاوية فيها، ومن الملاحظ فى مصر أن مُعلمى اللغة العربية يتم إعدادهم فى الوقت الحاضر فى عدد من الكليات هى كلية دار العلوم وكليات اللغة العربية بجامعة الأزهر وأقسام اللغة العربية بكليات الآداب وأقسام اللغة العربية بكليات التربية، وكانت دار العلوم – وما زالت – منذ إنشائها من أهم الينابيع التى تزود التعليم العام فى كل مراحله بمدرسى اللغة العربية، وكانوا مؤهلين تأهيلا كاملا لتدريس هذه اللغة إذ كانوا مزوَّدين فى مراحل تعليمهم السابقة بأسس قوية تتمثل فى حفظ القرآن الكريم والدراسات الدينية والعربية العميقة، ولكنها فى بداية

انضمامها إلى جامعة القاهرة ـ خلافًا لما هو حادثٌ الآن ومنذ سنوات ـ كانت تستقبل طلابها من حملة الثانوية العامة من ذوى المجاميع المنخفضة فأدى ذلك إلى ضعف مستواهم فى اللغة العربية خلال تلك الفترة، وكذلك أصبح الحال بالنسبة لطلاب أقسام اللغة العربية وخريجيها فى الكليات الأخرى. ومما زاد الحال سوءًا أن الغالبية العظمى من هؤلاء الخريجين كانوا يوجهون إلى تدريس اللغة العربية دون تأهيل تربوى ودون تدريب على طرق التدريس ولكنْ – ولله الحمد – عاد إلى هذه الكلية سابق مجدها وأخذت فى الازدهار مرة أخرى.

ومن المشاهَد أيضًا ضعف إقبال الطلبة على كليات اللغة العربية وأقسامها بالجامعات المصرية وقبول أقل الطلبة مجموعًا سدًّا للحاجة كمًّا لا كيفًا ـ الأمر الذى أدى إلى عجز ظاهر فى مدرسى اللغة العربية اللازمين لمراحل التعليم العام وضعف مستواهم. وقد زاد المشكلة حدة الأعداد الكبيرة التى تعار للتدريس فى الأقطار الأخرى، وهؤلاء يتم اختيارهم من أكفأ العناصر وأكثرها خبرة، وتجدر الإشارة أيضًا إلى أن تعدد الكليات التى يتخرج فيها معلمو اللغة العربية أدى إلى عدم التناسق بين المناهج والمقررات الدراسية بهذه الكليات واهتمام أغلب هذه الكليات باللغة كلغة وعدم اهتمامها باللغة ومكوناتها كجزء لا يتجزأ من حياة الإنسان فى مراحل نموه المختلفة وفى مستوياته الحضارية المتباينة. وغنى عن البيان أن اللغة كالكائن الحى تتأثر بالبيئة والمناخ الذى تحيا فيه، وهى تنمو وتتطور فى مضمون صورها فتخشن فى ظل البداوة

وترق وتلين فى ظل الترف والمدنية، وتتأثر برقى الثقافة وتقدم العلوم والمعارف.

ثانيا – ازدواج اللغة :

وهذه أيضًا تمثل مشكلةً فى تعليم اللغة العربية، فهناك لغة التخاطب أو العامية التى يتعامل بها الناس فى حياتهم اليومية العامة والخاصة، وهناك لغة الكتابة فى معاهد التعليم وفى الكتب والصحف وغيرها من المجلات، ولا شك أن للغة التخاطب تأثيرها القوى بما تتمتع به من نفاذ وأداء وسعة انتشار وتلقائية ومزاحمة للغة الفصحى فى وسائل الإعلام، وهذه تغزو الصغير والكبير وتحاضر المتكلم فى كل بيت بل فى كل فصل من فصول الدراسة فى المدارس والمعاهد وغيرها من مجالات الحياة المختلفة.

ثالثا – مشكلات وصعوبات أخرى، وتتمثل فى :

(١) افتقار كتب القراءة إلى التدرج اللغوى والتخطيط العلمى السليم لها حتى ينتقل فيها التعليم انتقالا طبيعيًّا من خطوة إلى الخطوة التى تليها.

(٢) عدم توافر معجم لغوى حديث لأى مرحلة من مراحل التعليم العام.

(٣) عدم توافر مواد القراءة الحرة للتلميذ فى مختلف المراحل وبخاصة فى مرحلة الطفولة، ويتصل بذلك قلة العناية بالمكتبات المدرسية واختيار الكتب الصالحة والمشوقة.

(٤) ازدحام مناهج النحو بكثير من القواعد مع صعوبتها.

(٥) اضطراب المستوى اللغوى بين كتب المواد بل بين كتب اللغة العربية فى الصفوف المختلفة.

(٦) قلة الاهتمام بين مدرسى اللغة العربية وغيرهم من مدرسى المواد الأخرى باستخدام اللغة العربية الصحيحة فى تدريسهم.

(٧) قلة استخدام الوسائل والمعينات التعليمية الحديثة فى تعليم اللغة.

هذه هى أهم المشكلات أو الصعوبات التى تواجه اللغة العربية وتعليمها فى مصر فى الوقت الحاضر وتحتاج إلى تضافر الجهود وإلى إجراء الدراسات العلمية الحادة فى جميع الهيئات والمؤسسات والجامعات التى تعمل فى مجال تعليم اللغة العربية وذلك للنهوض بها وارتقائها. وتجدر الإشارة هنا إلى الدور البناء الذى يقوم به مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجامع العربية الأخرى فى هذا المجال، ويرى البعض ضرورة إنشاء مركز لتطوير تدريس اللغة العربية أسوة بمراكز تطوير اللغتين الإنجليزية والفرنسية.

اعتبارات مهمة فى تدريس اللغة العربية:

هناك أمور أو اعتبارات مهمة فى تدريس اللغة العربية وتعليمها لا تلقى العناية الكافية ويجب الأخذ بها للنهوض باللغة العربية.

ومن هذه الاعتبارات:

١- أن يستقر فى أذهان القائمين على تدريس اللغة العربية والمخططين

لمناهجها الدراسية وأهدافها أن اللغة العربية عنصر أساسى من مقومات الأمة والشخصية العربية، وأنها لغة القرآن الكريم والتراث الحضارى الإسلامى، وأنها وعاء للمعرفة بكل جوانبها ووسيلة للتفكير والتعبير، ولا تكون مجرد مادة مستقلة بذاتها للدراسة، وأن ترتبط بالمجتمع وتتفاعل معه لتكون أداة سهلة وطيّعة للتعبير عن مشكلاته وقضاياه القومية.

٢- أن يكون البدء بتعليم اللغة عن طريق نقل الطفل أو التلميذ فى المرحلة الأولى من مراحل التعليم العام نقلا رفيقا متدرجا من لغته المختلطة إلى اللغة السليمة بعناصرها الأساسية الأربعة وهى الحديث والاستماع والقراءة والكتابة، ويكون ذلك عن طريق المران والتدريب والاستخدام مع الإفادة من القدر المشترك بين العامية والفصحى ومع ترقية العامية إلى الفصحى فى تدرج وفى رفق (مثل: حنسأل تصبح سنسأل، كدا تصبح كذا، ده تصبح ذا أو هذا). ومعنى هذا أن هناك هدفين يجب العمل على تحقيقهما، أحدهما تشجيع استخدام القدر المشترك بين العامية والفصحى، وثانيهما ترقية العامية بردها فى ذهن التلميذ إلى أصولها العربية ما أمكن ذلك، وعن طريق المران أيضا ننقل التلميذ رويدا رويدا إلى التشكيلات السليمة فى اللغة الفصيحة.

٣- تنمية الميل للقراءة والاطلاع كهدف أساسى من أهداف التعليم بل وسيلة تعليم الإنسان نفسه بنفسه.

٤- ضرورة التخطيط لكتب القراءة فلها فى كل مرحلة من مراحل

التعليم العام وظيفتها؛ ففى المرحلة الأولى على سبيل المثال يكتسب التلميذ عن طريقها المهارات الأولية ثم تزاد التراكيب فى علاقاتها ومستوياتها مسايرة نضج التلميذ وخبرته، ويزداد تبعا لذلك المحصول اللغوى عند التلميذ.

٥- لابد من التنسيق بين مناهج اللغة العربية فى مراحل التعليم العام الثلاث لإيجاد تكامل دقيق يوحِّد غايتها ويراعى تدرجها ويوجِّه طريقة التدريس فيها ويحميها من التكرار، كما ينبغى أن تعكس هذه المناهج مفهوم الحياة فى البيئة وأن تترك للمدرس مجالا للتجديد والابتكار.

٦- مراعاة التنسيق أيضا فى تأليف كتب اللغة العربية للمراحل الثلاث بحيث تؤلف الكتب وحدة متصلة تحقق أهداف كل مرحلة بطريقة متوازنة من ناحية التركيز أو الإسهاب أو البساطة أو التعمق وغزارة المادة أو قلتها وتعدد الأمثلة و ندرتها، إلى غير ذلك من عناصر تأليف الكتب المدرسية، ويكون الكتاب فى كل مرحلة قادرا على جذب انتباه الطالب مثيرا لملكاته حتى يحبه ويألفه ويأنس إليه.

٧- ضرورة إيجاد تكامل بين تدريس اللغة العربية وتدريس المواد الأخرى من حيث الحرص على استخدام اللغة الفصحى فى جميع مواد الدراسة.

٨- العمل على تيسير قواعد النحو للمراحل الثلاث وكذلك الرسم الإملائى لكل مرحلة من هذه المراحل.

٩- الارتفاع بمستوى مدرس اللغة العربية وتأهيله علميًّا وثقافيًّا ولُغويًّا وتربويًّا.

اللغة العربية فى التعليم العالى والجامعى فى مصر

إذا كانت اللغة العربية فى التعليم العام قد أقلقت بال القائمين عليها وشغلتهم إلى حد كبير لما بلغته من الضعف والاستهانة فإن حالها فى التعليم العالى والجامعى هو بمثل السوء إن لم يزد عليه، ويتردى يوما بعد يوم؛ لذلك كان الاهتمام باللغة العربية والنهوض بها واتخاذها سليمة فصحى لغةً للعلم والتَّعليم فى هذه المرحلة العالية من التعليم مضاعفا.

وقد كانت مصر بين الدول العربية التى تخطت عوائق اللغة منذ أمد طويل، واستمسكت بلغتها العربية القومية فى تعليمها العالى الحديث منذ بداية إنشائه، فقد نصَّت لائحة الجامعة المصرية الأولى (الأهلية) الصادرة فى عام ١٩٠٨م على أن تكون لغة التعليم فيها " هى اللغة العربية دون سواها لتكون واسطة لنشر المعارف وترقية العلوم بين الناطقين بالضاد ولكى ترتقى اللغة العربية نفسها بهذه الوسيلة ". وقد حافظت القوانين المتتابعة لتنظيم الجامعات فيما بعد على روح هذا المفهوم حيث نصَّت المادة ١٦٨ من القانون رقم ٤٩ لسنة ١٩٧٢م المعمول به حاليًّا على أن "اللغة العربية هى لغة التعليم فى الجامعات الخاضعة لهذا القانون وذلك ما لم يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى".

ومما تجدر الإشارة إليه ومن قبيل الخلفية فإن جهود مصر في سبيل نقل العلوم الحديثة إلى العربية فى التعليم العالى بغية استعمالها فى التدريس قد بدأت منذ النصف الأول من القرن الماضى حيث عرَّبت كلية الطب والصيدلة فى عهد رئيسها كلوت بك عام١٨٣٣م ستة وثمانين(٨٦) كتابًا أجنبيًا فى عدة تخصصات لتعليم الطب والصيدلة، وبعد نجاح هذه الكتب فى مصر نجاحا يناسب عصرها وجدت سبيلها كذلك إلى تركيا والجزائر وتونس ومراكش؛ كما قام عدد من المبعوثين الأوائل بعد عودتهم من بعثاتهم بالخارج من فرنسا بالتدريس فى المعاهد العليا باللغة العربية وقدموا إلى مكتبتنا العلمية رصيدا ذا بال من معرباتهم ومؤلفاتهم منهم على سبيل المثال:

الجرَّاح محمد على البقلى الذى ألَّف كُتبًا عربية فى الجراحة، محمد الشافعى فى الأمراض الباطنية، محمد ندى فى النبات والحيوان والچيولوچيا والفيزياء، على رياض فى الصيدلة والسموم، محمد الدرى فى الأمراض الوبائية، محمد بيومى فى الحساب والجبر والهندسة الوصفية، محمود الفلكى الذى عاد من بعثته فى فرنسا عام ١٨٥٩م وتقلد بعد ذلك منصب الأستاذية فى العلوم الرياضية والفلكية بمدرسة المهندسخانه ــ وقد شارك علماء اللغة فى هذه النهضة العلمية فكان منهم خبراء وعلماء متخصصون، مثل محمد عمر التونسى مؤلف معجم الشذور الذهبية فى الألفاظ الطبية، إبراهيم الدسوقى الخبير فى مصطلحات العلوم الرياضية، رائد الترجمة إلى اللغة العربية وشيخ

المترجمين فى عصره رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ – ١٨٧٣م) فى ألفاظ الحضارة والفنون والعلوم الحديثة وغيرهم.

بعد ذلك توقفت المسيرة ونكبت مصر بالاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢م وجثم على صدرها لسنوات عدة وعزلت اللغة العربية عزلا تامًّا عن تدريس العلوم الحديثة التى فرض المستعمر دراستها بلغته ومهَّدَ لهذا الانقلاب وسايره ترسيخ لفكرة عجز العربية عن تدريس أى علم حديث وملاحقة التقدم العلمى، وقد روج لهذه الدعوة عدد من المثقفين قبيل الثورة العرابية (١٨٨٢م)، واحتدم الصراع بين حماة الشخصية القومية الذين يرون أن فى إضاعة اللغة تسليمًا للذات واستعبادًا فكريًّا وثقافيًّا ووجدانيًّا للمستعمر، وبين الدعاة إلى لغة أجنبية، وبقدر ما رفض الضمير الوطنى التخلى عن لغة الأمة والتفريط فى لسانها عَجَز عن التصدى لفرض اللغة العربية على المجال العلمى، ولكن لم يقف علماؤنا مكتوفى الأيدى أمام هذا الوضع المثير، فقامت دعوة حَمَلَ لواءها عبد الله نديم فى مجلة " الأستاذ " عام ١٨٩٢م للمضى فى تعريب المصطلحات العلمية لاستخدامها فى تعليم العلوم الحديثة، ووجدت هذه الدعوة استجابة عملية فى اجتماعٍ رأسَه محمد توفيق البكرى فى أوائل عام ١٨٩٣م ؛ وحضره عدد من أئمة الكتاب والعلماء، منهم الشيخ محمد عبده والشيخ الشنقيطى وحمزة فتح الله وحفنى ناصف، ووضعوا لائحة لمجمع لغوى علمى، وتدارسوا فى سبع جلسات عددا من المصطلحات العلمية، وفى العام نفسه ظهرت مجلة " المهندس " وقدمت تجربة عملية لكتابة البحوث

العلمية باللغة العربية الفصحى دحضًا للقائلين بعجزها فى مجال البحث والتدريس، ثم تتابعت الجهود بعد ذلك فى هذا السبيل إلى أن أنشئت الجامعة المصرية الأولى عام ١٩٠٨م.

إنشاء الجامعة المصرية:

كان إنشاء الجامعة المصرية فى تكوينها الأهلى عام ١٩٠٨م وفى تكوينها الحكومى عام ١٩٢٥م فاتحةً لنهضةٍ علميةٍ وثقافيةٍ حديثةٍ فى مصر، وكان التدريس فيها أساسًا باللغة العربية التى استعادت مكانتها مرة ثانية، وقد استدعت الضرورة فى ذلك الوقت استقدام عدد قليل من العلماء الأجانب والمستشرقين للتدريس بالجامعة فى بعض العلوم وفى الإنسانيات، ولكن كان الخريجون الأوائل من النابهين ومن العائدين المؤهلين من البعثات الدراسية الخارجية يقومون بنقل محاضرات الأساتذة الأجانب إلى اللغة العربية وتلخيصها للطلاب وبخاصة لهؤلاء الذين يتابعون دراساتهم فى العلوم الإنسانية ـ وفى السنوات التالية أخذ عدد المصريين العائدين من بعثاتهم بالخارج يزداد ازديادًا مطَّردًا، ولم يلبث هؤلاء أن تولوا مهام التدريس بالجامعة فى معظم الكليات والمعاهد العليا باللغة العربية.

ومع تطور النهضة العلمية والتعليمية، واتساعها فى مصر فى الثلاثين سنة الأخيرة أصبح لدينا فى مصر فى الوقت الحاضر (١٢) اثنتا

عشرة جامعة، ولبعض هذه الجامعات فروع إقليمية تضم عددًا من الكليات المتخصصة، وإلى أن تكتمل كلياتها ستصبح فى وقت قريب جامعات إقليمية جديدة قائمة بذاتها – ويبلغ عدد الكليات والمعاهد الجامعية فى مصر (١٧١) مئة وواحدًا وسبعين معهدًا وكلية بالإضافة إلى (٣١) واحد وثلاثين معهدا عاليا تابعا لوزارة التعليم العالى وتحت إشرافها، كما أن فى مصر الآن نحو (٢٠٠) مئتين من مراكز ومعاهد البحث العلمى، ويبلغ عدد الطلاب فى هذه الكليات والمعاهد نحو (٥٦٠٠٠٠) ستمائة وخمسين ألف طالب، وبين هؤلاء الطلاب نحو نصف المليون (٥٠٠ ألف طالب) يتلقون محاضراتهم ودروسهم باللغة العربية، ومن بين هؤلاء أيضًا عدة آلاف يتخصصون فى اللغة العربية وآدابها فى (١٥) خمسة عشر قسمًا بكليات الآداب (٢٠) وعشرين قسمًا بكليات التربية، بالإضافة إلى أقسام أخرى فى كليات البنات بجامعتى عين شمس والأزهر وكلية دار العلوم وكلية اللغة العربية بالأزهر ومعاهد المعلمين والمعلمات، وباستثناء طلاب التخصص فى اللغة العربية فإنَّ باقى طلاب الجامعات والمعاهد العليا الذين يدرسون مقرراتهم باللغة العربية يدرسونها فى علوم التاريخ والجغرافيا والآثار والفلسفة والاجتماع وعلم النفس والتربية والاقتصاد والتجارة والقانون والسياسة والفنون والإنسانيات بصفة عامة وعلوم الزراعة وغيرها، وذلك فى كلياتها ومعاهدها المعنية، ويقوم بالتدريس لهؤلاء قرابة عشرين ألفًا من أعضاء هيئة التدريس والمعيدين.

ويرى المهتمون بموضوع اللغة العربية والراصدون لحركاتها ومستواها فى التعليم العالى والجامعى فى مصر فى الوقت الحاضر أن واقع الحال يعكس صورة قاتمة تتمثل فيما يلى، وقد تردد ذلك فى مؤتمر الإسكندرية الذى عقد فى عام ١٩٨١م عن اللغة العربية وفى غيره من المؤتمرات والندوات :

ـ شيوع استخدام اللغة العامية فى المحاضرات والمناقشات ولا تستثنى من ذلك دروس اللغة العربية وآدابها.

ـ قلة الاهتمام بدراسة التراث العربى دراسة أصيلة فى فروع اللغة والأدب والنقد والبلاغة، وكذلك بالدراسات الحديثة فى هذه الميادين.

ـ تلقين القواعد الجامدة فى دراسة النحو وعدم الاهتمام بالجانب التطبيقى فى تدريسه.

ـ قلة العناية باختيار النصوص الأدبية، وبتدريس العلوم اللغوية الحديثة بفروعها المختلفة.

ـ الاعتماد كليًّا على الكتاب الجامعي المقرر فى مواد اللغة العربية وآدابها وعزوف الطلاب عن الاطلاع فى المصادر والمراجع الأصلية.

ـ عدم الاهتمام باستخدام الوسائل السمعية فى تحسين الأداء عند الطلاب.

ـ عدم الاهتمام بالندوات العلمية فى داخل الكليات والأقسام المتخصصة وعدم رعاية المواهب الأدبية واللغوية بين الطلاب، والعمل على تشجيعها.

ـ قلة الاهتمام برعاية المدرس الجامعى أو العالى المتخصص فى اللغة

العربية وآدابها رعاية علمية لرفع كفاءته من حيث ثقافته العامة ووصله بالتراث والتطور الحديث فى فرع تخصصه.

كليات ومعاهد يجرى فيها التدريس باللغة الأجنبية

من بين مجموع الطلاب الذين يتعلمون فى الكليات الجامعية والمعاهد العليا فى مصر فى الوقت الحاضر توجد نسبة تصل إلى نحو (٢٣٪) ثلاثة وعشرين من المئة من هؤلاء أى ما يقرب من مئة وخمسين ألف طالب يتلقون دروسهم حتى اليوم فى معظم المقررات الدراسية بلغة أجنبية هى الإنجليزية فى كلية الطب البشرى والبيطرى وطب الأسنان والصيدلة وكليات العلوم والهندسة والمعاهد العليا للتمريض، والعلاج الطبيعى، وهذه مسألة تشغل بال الكثيرين من علمائنا والمهتمين بأمور العلم والتعليم فى الجامعة والمعاهد، وطال فيها الحوار والجدل بين فريقين طوال نصف قرن أو يزيد منذ إنشاء الجامعة؛ فريق يدعو إلى استخدام اللغة العربية لغةً للتعليم فى هذه الكليات من منطلق واع مستنير يستشرف الآفاق الرحبة لهذه اللغة الجزلة المعطاءة، ويرى فى قوتها وحيويتها الدافقة وتراثها وشمولها قدرة فائقة على استيعاب التطور المتلاحق فى قطاعات العلم والمعرفة، ويراها أداة طيعة للتعامل مع عصر العلم والتكنولوچيا الذى نعيشه اليوم، الأمر الذى ينهض بالتعليم الجامعى ومستواه والأخذ فى الهبوط والتردى، وفريق آخر وهو قل لا كثر يناهض فكرة التدريس باللغة العربية من ادعاء ظالم بأن اللغة العربية تقصر عن الوفاء بمطالب العلم الحديث وتنأى بالدارس عن

مواكبة الإيقاع السريع الذى نشهده اليوم فى هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمى.

وقد فات هؤلاء المعارضين أن الدعوة إلى استخدام اللغة العربية تستمد جذورها من تلك النهضة الإسلامية التى تألقت فى سماء الأمة العربية منذ ألف عام ونيّف، وبلغت أوجها فى عصر المأمون (٧٨٦ – ٨٣٣ م) حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم ويترجمون الكتب الإغريقية والسريانية والفارسية، وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية، وقد حمل لواء هذه الحركة العلمية العارمة التى امتدت بعد ذلك بضعة قرون عدد من العلماء العرب الأعلام الذين كتبوا أعظم المؤلفات والموسوعات فى علوم الكيمياء والفيزياء والرياضيات والفلك والحيوان والنبات والطب والصيدلة وغيرها.

ويطيب لى فى هذا المقام أن أشيد بعمل أثلج صدور المهتمين بأمور اللغة العربية الذى صدر عن المؤتمر العشرين لاتحاد الأطباء العرب فى جلسته الختامية التى عقدت بالقاهرة فى الثانى والعشرين من يناير عام ١٩٨٨م خاصا بتعريب مناهج كليات الطب وأن يكون عام ١٩٨٨م عام بدء تعريب الطب فى كلياته المختلفة فى الوطن العربى على أن يتم ذلك تدريجيًّا فى السنوات الخمس القادمة، كما أوصى المؤتمر بأن تكون البحوث فى مؤتمر اتحاد الأطباء العرب باللغة العربية، وبمناشدة منظمة الصحة العالمية عقد اجتماع لعمداء كليات

الطب فى العالم العربى لمناقشة موضوع البدء فى عملية التعريب.

ولا شك أن هذه خطوة إيجابية على الطريق ودعوة صادقة نحو تصحيح المسار تضاف إلى ما سبق من دعوات انطلقت من العديد من المؤتمرات والندوات التى توالى عقدها فى البلاد العربية طوال ربع قرن أو يزيد، والتى كانت ولا تزال تستنهض الهمم بضرورة إسراع الجامعات العربية فى استخدام اللغة العربية فى تعليمها العالى والجامعى فى القطاعات التى لا تزال عزوفة عن هذا المطلب القومى، وذلك لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية، إذ إن الفكر الأصيل لا يخلق فى الأمة إلا إذا كانت تعلم بلغتها.

ومشكلة التعليم بلغة أجنبية فى بعض كلياتنا الجامعية ومعاهدنا العالية ذات جوانب ثلاثة تتمثل فى الأستاذ والكتاب والطالب: فبالنسبة للأستاذ فقد درج منذ سنوات بعد عودته من البعثة من الخارج مؤهلا بالدكتوراه أو حصوله عليها من جامعاتنا المصرية — درج على تدريس مختلف العلوم باللغة الإنجليزية، وتجذبه فى ذلك المادة العلمية المتاحة فى مراجعها الأجنبية، ويخشى استخدام اللغة العربية فيحتاج إذن إلى بذل جهود مضاعفة فى الترجمة والإعداد هو فى غنى عنها حين يستخدم اللغة الأجنبية، ويا ليت هذه اللغة لغة سليمة حقا. وقد زاد سوء الحال بتكدس الطلاب بالآلاف مما جعل مهمة الأستاذ بالغة الصعوبة وعجز الطلاب عن استيعاب المادة العلمية وفهمها وهضمها تماما بهذه اللغة

الأجنبية؛ ويكفى أن نطلع على أوراق إجاباتهم فى كليات الطب والعلوم والهندسة وغيرها لنرى ضعف المستوى اللغوى والعلمى فى هذه الأيام، ومع ذلك نرى عزوفا عن التدريس باللغة العربية. ومما تجدر الإشارة إليه أن الستينيات وأوائل السبعينيات فى مصر قد شهدت محاولات جادة للتدريس باللغة العربية للسنوات الأولى والإعدادية فى بعض هذه الكليات، وكانت النتائج عظيمة من حيث استيعاب الطلاب للمادة العلمية وتفهمها فى سهولة ويسر، ولكن عدل هذا الاتجاه بعد سنوات قليلة وعادت الأمور سيرتها الأولى، وكان عدمُ توافر المراجع العلمية الحديثة باللغة العربية ترجمةً وتأليفًا وتعريبا للمصطلحات العلمية أحد الأسباب فى هذه النكسة، أضف إلى ذلك افتقار المدرس الجامعى والعالى إلى التأهيل الأمثل للتدريس بالعربية السليمة بدلا من ذلك الخليط من لغة أجنبية ضعيفة متردية وعربية عامية دارجة. ويجدر بى أن أشير هنا إلى أن بين الدراسات الرائعة التى كتبها العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع الأردنى الموقر دراسة قيمة حقا فى موضوع تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالجامعة للتدريس باللغة العربية وهى دراسة جديرة بالعناية والاهتمام من القائمين على تعليمنا العالى والجامعى.

وبالنسبة للكتاب فلا تزال المكتبة العربية فى مصر فقيرة حتى اليوم فى الكتب والمراجع العلمية الحديثة المؤلفة باللغة العربية أو المترجمة إليها بكليات العلوم والطب والهندسة وبعض المعاهد، باستثناء

بعض المقررات الدراسية فى بعض هذه الكليات إذ لها كتبها بالعربية لأنها تدرس بهذه اللغة، وسبب ذلك الذى نشهده من قلة المستحدث من المراجع العلمية العربية هو العزوف عن التأليف أو الترجمة فى غيبة الحافز الذى يدفع إلى ذلك. ومردُّ ذلك أيضا إلى الأزمة التى تمرُّ بها حركة الترجمة بوجه عام. وغنى عن البيان أن الترجمة ضرورية لتحقيق التواصل الفكرى الدائم بيننا وبين العالم الغربى الذى تتقافز خطواته فى معارج الرقى والتقدم، كما أن اللغة العربية تزداد غنى وثراء بالترجمة وتتسع آفاقها بالحصيلة الجديدة التى تضاف إلى مذخور تراثها وتصبح أقدر على تأدية رسالتها فى عصر العلم والتقدم العلمى والتكنولوچى بفضل عملية التلاحم التى تضطلع بها الترجمة، ولا شك أن لكل ذلك انعكاساته الإيجابية على التعليم باللغة العربية فى جامعاتنا ومعاهدنا العالية.

والجدير بالذكر أن الترجمة قد ازدهرت فى مصر فى عصور سابقة؛ فى عصر رفاعة الطهطاوى الذى سبقت الإشارة إليه وإلى أثره العميق فى النهضة العلمية والثقافية الحديثة فى مصر، أو فى أيام "المقتطف" حين كان يحفل بمختلف التراجم العلمية والمصطلحات باللغة العربية، أو فى أيام لجنة التأليف والترجمة والنشر فى مصر والتى كانت تضم نخبة من أساطين العلم والفكر والأدب من بينهم شيخ المجمعين الأستاذ الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع القاهرة، وقد زودت هذه اللجنة على مدى ثلاثين عاما المكتبة العربية بطائفة من الكتب والمؤلفات

والتراجم، أو فى أيام المجلس الأعلى للعلوم فى أواخر الخمسينيات حين أشرف على برنامج لترجمة أمهات الكتب والمراجع فى العلوم الأساسية الجامعية؛ إسهاما فى تدريسها باللغة العربية، وهكذا فعلت مؤسسة "فرانكلين"، ومشروع "الألف كتاب" الذى نهضت به الإدارة الثقافية بوزارة التربية والتعليم فى الستينيات، ولكن من المؤسف حقا أن الكثير من هذه الكتب والمراجع الجامعية التى نقلت إلى العربية قد أهملت وطواها النسيان إذ إن عدم التدريس باللغة العربية قد وأد معظمها وأجهض الجهود المضنية التى بذلت فى سبيل إنجازها، ومع ذلك فقد شهدت السنوات الأخيرة بادرة طيبة بالنسبة للكتاب العلمى العربى وبالنسبة لاتخاذ اللغة العربية لغة للتدريس لبعض المقررات فى بعض كليات العلوم والهندسة والطب البيطرى فى بعض الجامعات والمعاهد العليا، وهى حركة مباركة نرجو لها النماء والازدهار.

وبالنسبة للطالب فقد شهدت العشرون سنة الماضية ازديادًا هائلاً فى أعداد الطلاب الملتحقين بالتعليم العالى والجامعى، ومن بينهم الذين يتلقون تعليمهم بلغة أجنبية، وامتلأت قاعات الدرس بحشود منهم؛ الأمر الذى أدى إلى ضعف بالغ فى التحصيل واستيعاب المادة العلمية وفهمها وانعدام الصلة بين الطالب والأستاذ. وكان لكل ذلك أثره العميق فى ضعف مستوى الطلاب وتكوينهم العلمى، ولو كان التدريس باللغة العربية لاختلفت الصورة وارتقى تحصيل الطلاب وارتفع مستواهم العلمى مع العمل على رفع مستواهم أيضًا فى اللغة العربية عن طريق

وضع مناهج متطورة وبرامج تعليمية لتدريس اللغة العربية وقواعدها الأساسية.

هيئات علمية ولغوية فى مصر
تعمل على النهوض باللغة العربية

تشهد مصر منذ سنين نشاطا ملحوظا من هيئات علمية ولغوية تعمل جاهدة فى صبر وأناة على اتخاذ اللغة العربية لغة للعلم وتطبيقاته، وفى مقدمة هذه الهيئات مجمع اللغة العربية الذى يقوم، من بين مهامه اللغوية والعلمية الكبرى، بمهمة وضع المصطلحات العلمية ويؤدى بذلك خدمة جليلة ومؤثرة للمشتغلين بالتعليم العالى والجامعى، وقد أنجز المجمع من هذه المصطلحات أكثر من ثلاثين ألف مصطلح علمى فى مجالات الكيمياء والطب والصيدلة والفيزيقا والأحياء والزراعة والچيولوچيا والهندسة والرياضيات والحاسبات الإلكترونية وغيرها، وذلك بالإضافة إلى علوم الأدب والفنون والعلوم الاجتماعية واللغويات وغيرها، وقد أخرج للمكتبة العربية عددا من المعاجم المتخصصة فى هذه العلوم جميعا والعلوم الحديثة بوجه خاص، وهذه المصطلحات والإنجازات تأخذ طريقها رويدًا رويدًا إلى الجامعات والمعاهد العليا وإلى كتب المترجمين والمؤلفين الذين يدرسون باللغة العربية فى بعض الكليات الجامعية، كما أنها تكون رصيدًا ذا بالٍ حين يعدل عن التدريس بلغة أجنبية لتحل محلها اللغة العربية.

ولا شك أن الذخيرة اللغوية والعلمية التى تحفل بها المجامع الأخرى للغة العربية فى الأردن ودمشق وبغداد، وهيئة التعريب بالرباط، وكذلك المعاجم العربية الأخرى مثل معجم شرف فى العلوم الطبية والطبيعية ومعجم المعلوف فى الحيوان ومعجم أحمد عيسى والأمير الشهابى فى النبات والمعاجم الحديثة الأخرى كلها تقوم بدور بارز فى تعريب المصطلحات العلمية على اتساع العالم العربى كله.

ومن الهيئات التى تعنى كذلك بهذا الموضوع الاتحاد العلمى المصرى والجمعيات العلمية فى مصر وكذلك مركز الأهرام للترجمة العلمية.

اللغة الأجنبية فى برامج التدريس باللغة العربية

إذا كنا نعمل على إحلال اللغة العربية محل اللغة الأجنبية فى التدريس لطلبة بعض الكليات الجامعية والمعاهد فليس معنى ذلك أننا نريد الانغلاق على أنفسنا، بل العكس هو الصحيح – هو الانفتاح على العالم الخارجى، على علمه ومنجزاته الحديثة فى العلم وتطبيقاته؛ ولا يتسنى ذلك إلا بإتقان لغة أجنبية كالإنجليزية أو الفرنسية نطل بها إطلالات نيرة على إنجازات العلم الحديث وآفاقه الرحبة، ولذلك وجب الاهتمام بتعلم لغة أجنبية، وليكن ذلك ضمن برامج التدريس بالجامعة، وإذا كان ذلك ضروريًا لطالب المرحلة الجامعية الأولى فهو أساسى وحتمى لطلاب الدراسات العليا. وجدير بالذكر أن الجامعات المصرية

تولى اهتمامًا فى الوقت الحاضر بتدريس اللغة الأجنبية جنبًا إلى جنبٍ مع برامج الدراسة الأخرى.

وسائل النهوض باللغة العربية فى التعليم العام والتعليم العالى والجامعى فى مصر..

مقترحات وتوصيات:

بعد أن تبين بوضوح أن لغتنا تعانى أزمة حقيقية أقلقت بال المشتغلين بأمور الثقافة والتعليم والقائمين عليها فى مصر، وبدت آثارها جلية بين جمهرة الطلاب فى تعليمنا العام والعالى ـ بعد أن تبين ذلك أولت المجامع والهيئات العلمية والثقافية واللغوية موضوع اللغة العربية ووسائل النهوض بها اهتمامًا بالغًا ، تمثل فى نداءات وتحذيرات تدق ناقوس الخطر جرت بها أقلام العلماء والكتاب، ووضحت فى العديد من الدراسات التى حفلت بها الندوات والمؤتمرات على مدى سنوات طوال، كانت أقربها ندوة تعريب لغة العلم فى التعليم الجامعى، التى عقدها الاتحاد العلمى المصرى عام ١٩٨٢م ورأسها وتحدث فيها أستاذنا الجليل الدكتور إبراهيم مدكور رئيس مجمع القاهرة ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العربية، ومؤتمر جامعة الإسكندرية عام ١٩٨١م عن اللغة العربية فى الجامعات، أضف إلى ذلك دراسات أخرى تبناها المجلس القومى للتعليم والمجلس القومى للثقافة فى مصر، وكذلك دراسات على الصعيد العربى جاءت فى أعمال المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم. وجدير بالذكر أن أنوه بذلك المعين الفياض من الدراسات الرائدة التى زخرت بها كتب مجمع اللغة العربية الأردنى وبخاصة ما سطره فى حنكة واقتدار عن موضوع اللغة العربية وتعريب التعليم العالم الأجلّ الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع والذى جاء قمة فى الأداء والاستقصاء.

وقد حفلت كل هذه الدراسات والندوات والمؤتمرات بالكثير من الآراء والاقتراحات استعنت بها فيما أنا بصدده من إعداد توصيات أنهى بها محاضرتى المتواضعة أملا فى أن تجد هذه التوصيات طريقها نحو التنفيذ لننهض باللغة العربية ونرتفع بمستواها من منطلق قومى وعلمى واجتماعى.

وبالنسبة للغة العربية فى التعليم العام نوصى بما يلى:

- ضرورة إعادة تقويم مناهج اللغة العربية ومحتواها وطرق تدريسها واختباراتها فى مراحل التعليم العام تقويما موضوعيا شاملا بما يقضى على القصور فيما أصبح عليه المستوى اللغوى والتعبيرى العربى الذى يخرج به الطلاب ويلتحقون بعده بالتعليم العالى والجامعى.
- أن يكون البدء بتعليم اللغة العربية عن طريق الطفل أو التلميذ فى المرحلة الأولى من مراحل التعليم العام نقلا رفيقًا متدرجًا من لغته المختلطة إلى اللغة السليمة بعناصرها الأساسية الأربعة، وهى الحديث والاستماع والقراءة والكتابة، والعمل الدائب على

نقل التلميذ من لغة التخاطب إلى اللغة العربية الصحيحة.

- الحرص على استخدام اللغة العربية الفصحى فى تدريس جميع المواد حتى لا يقتصر استخدامها على دروس اللغة العربية فتبدو للطلاب غريبة عنهم.
- ضرورة التنسيق بين مناهج اللغة العربية فى مراحل التعليم العام الثلاث بحيث يراعى تكاملها وتدرجها، كما يراعى التنسيق فى كتب اللغة العربية بحيث تؤلف هذه الكتب وحدة متصلة.
- العمل على تنمية الميل للقراءة والاطلاع فى التلميذ كهدف أساسى من أهداف التعليم، بل هو وسيلة تعليم الإنسان نفسه بنفسه، وإتاحة فرص الاستماع إلى مختارات من القراءة شعرًا ونثرًا وحوارًا ونصوصًا وقصصًا، مع توافر مواد للقراءة الحرة للتلميذ فى مختلف المراحل وبخاصة فى مرحلة الطفولة.
- العناية بتحفيظ التلاميذ فى مراحل التعليم العام قدرًا مناسبًا من القرآن الكريم ليستقيم لسانهم وترسخ اللغة العربية السامية فى وجدانهم، مع الاهتمام بالثقافة الدينية الإسلامية وحفز الشباب إلى دراستها.
- توجيه الجهود إلى إعداد معاجم لغوية حديثة وعصرية ومصورة ملائمة لمختلف مراحل التعليم العام وكذلك العناية بالمكتبات المدرسية واختيار الكتب المشوقة للتلميذ.
- استخدام الوسائل والمعينات التعليمية والتقنيات الحديثة فى تعليم اللغة العربية.
- توجيه الاهتمام بالخط العربى وتيسير الحروف والتقليل من صورها

بما يحفظ لها جمالها وبما لا يبعدها عن الاتصال بالتراث، وذلك للأهمية البالغة فى اقتصاديات الطباعة واقتصاديات مبادئ القراءة والكتابة.

- ضرورة تيسير قواعد النحو والصرف والرسم الإملائى وكتبها، ونشرها بين الدارسين لتجنب أخطاء التحدث والكتابة.
- الاهتمام الدائب والمستمر برفع المستوى اللغوى والثقافى والتربوى لمدرِّسى اللغة العربية فى مراحل التعليم العام ليرتفع بذلك مستوى تأهيلهم للتدريس، ويشمل هذا أيضا مدرسى المواد الأخرى.
- ضرورة العمل على إنشاء مركز قومى لتطوير تعليم اللغة العربية يدرس واقعها ويطور مناهجها وطرق تدريسها ويعنى بتأهيل مدرسيها، كما يضع سياسة تأليف الكتب والمراجع ويعمق الاستفادة من بحوث مجمع اللغة العربية واتحاد المجامع اللغوية العربية، ويضع السياسة اللازمة لترقية المستوى اللغوى لجمهرة المواطنين.
- الدعوة بأن تكون لغة الصحافة وأجهزة الإعلام المسموعة والمرئية ودور النشر هى اللغة العربية الصحيحة وذلك للقضاء على ظواهر الانحراف فى الأداء اللغوى وعلى الخروج على القواعد وتحريف الألفاظ والعبارات، وكذلك الدعوة إلى أن يهتم المتحدثون والخطباء بالحديث باللغة العربية بصفائها ونقائها.

وبالنسبة للغة العربية فى التعليم العالى والجامعى نوصى بما يلى:

ـ وضع الخطة المناسبة لتعميم استخدام اللغة العربية فى مرحلة التعليم العالى والجامعى فى كافة العلوم والتخصصات، ومنع استخدام اللغة العامية فى المحاضرات الجامعية، وهذا أشد لزوما فى دروس اللغة العربية وآدابها.

ـ ضرورة الاهتمام بدراسة التراث العربى دراسة أصيلة فى فروع اللغة والأدب والنقد والبلاغة، وكذلك الاهتمام بالدراسات الحديثة المتطورة فى هذه المجالات.

ـ العناية فى اختيار النصوص الأدبية اختيارًا دقيقًا، والاهتمام فى تدريسها بالتذوق وإبراز القيمة الفنية والجمالية، بحيث لا يطغى المحتوى التاريخى أو الاجتماعى على النص.

ـ الحد من الاعتماد كليًّا على الكتاب الجامعى المقرر فى مواد اللغة العربية وآدابها، وتوجيه الطلاب إلى المصادر والمراجع الأصيلة فى كل مادة.

ـ العناية بتدريس العلوم اللغوية الحديثة بفروعها المختلفة وإيفاد مبعوثين للتخصص فيها لسداد النقص الكبير فى القائمين على تدريسها.

ـ الاهتمام برعاية المدرس الجامعى والعالى المتخصص فى اللغة العربية رعاية علمية لرفع كفاءته من حيث ثقافته العامة، ووصله بالتراث وبالتطور الحديث فى فرع تخصصه.

ـ العناية بتأهيل أعضاء هيئة التدريس بالكليات الجامعية والمعاهد العليا (من غير المتخصصين فى اللغة العربية) للتدريس باللغة العربية

السليمة ووضع برامج متطورة عن طرق تدريسها.

- دعم المكتبات الرئيسية بالجامعات ومكتبات الكليات والأقسام المتخصصة لتوفير المصادر الرئيسية فى اللغة العربية وآدابها.

وبالنسبة للكليات الجامعية والمعاهد العليا التى يجرى فيها التدريس بلغة أجنبية نوصى بما يلى:

- دعوة الهيئات الأكاديمية المختصة وفى مقدمتها المجلس الأعلى للجامعات إلى تعريب التعليم فى هذه الكليات والمعاهد، وأن يخطط لذلك ويعد العدة للمضى فى هذا العمل القومى مع التدرج فى تنفيذه، وذلك تحقيقًا وإعمالاً للنص الذى ورد فى هذا الشأن فى قانون الجامعات.
- التوسع فى تعريب المصطلحات العلمية ووضع المقابلات العربية المناسبة لها وبخاصة فى المستحدث من فروع العلم والتكنولوجيا ومتابعة الجهود الكبيرة التى يقوم بها مجمع اللغة العربية والمجامع العربية الشقيقة الأخرى فى هذا المجال، مع حفز العلماء والباحثين على استخدام هذه المصطلحات وإشاعتها فى محاضراتهم وكتبهم ومؤلفاتهم ودراستهم الجامعية، وضرورة العمل على توحيد المصطلحات العلمية فى الوطن العربى.
- ضرورة التوسع فى وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية؛ وقد أسهم مجمع اللغة العربية والمجامع العربية الأخرى بقسط كبير فى هذا السبيل، وكان أقربها معجم

الحاسوب أو الحاسبات الإلكترونية الذى صدر حديثا عن مجمع القاهرة.

- توجيه عناية خاصة إلى ترجمة مجموعات متكاملة من أمهات الكتب والمراجع العلمية الأجنبية، مع ضرورة التفكير فى إنشاء مركز قومى للترجمة يتولى جمع المعلومات وتبادلها وتنشيط حركة الترجمة والتأليف والنشر ورعايتها، ويلاحق التزايد الكبير فى العلوم المستحدثة.
- مضاعفة جهود إحياء عيون التراث العربى العلمى وتحقيقه ونشره وتحديث معالجته فى دراسات مقارنة تجمع بين التأصيل والمعاصرة ، وتوصية الجامعات بتضمين العلوم مختارات منتقاة من مصادر التراث العلمى المتميز التى زاوجت بين الثراء اللغوى وبين الإبداع العلمى.
- زيادة المواد العلمية والفنية والثقافية التى تقدم باللغة الفصحى فى مختلف أجهزة الإعلام، مع العناية بحسن انتقائها ومسايرتها روح العصر.
- مع الدعوة إلى التعريب، فإنه يلزم توجيه عناية خاصة إلى تعليم اللغات الأجنبية فى المرحلة الجامعية، بل فى مرحلة التعليم العام أيضا وبعد ذلك فى مرحلة الدراسات العليا، وفى هذه المرحلة الأخيرة يتحتم إتقان لغة أجنبية (الإنجليزية) وإجادتها حديثًا وكتابةً وفكرًا لطلاب هذه المرحلة، ووضع البرامج الكفيلة بذلك ليتاح الانفتاح على

العـــالم الخـــارجى والاتـــصال بـــالتطور العلمـــى ومنجـــزات العصر.

هذا عرض متواضع عن قضية اللغة العربية فى التعلــيم العــام والتعليم العالى والجامعى فى مصر فى الوقت الحاضر، ألمحت فيه إلـــى تاريخها وواقعها والمشكلات التى تحيط بها وتحاصرها، وأتبعــت ذلـــك بتوصيات واقتراحات تهدف إلى حل هذه المشكلات وإلى النهوض باللغة العربية والارتفاع بمستواها باعتبارها قضية قومية وثيقة الصلة بكياننـــا العربى وانتمائنا الوطنى.

المراجع

١- اللغة العربية والتعريب - للدكتور عبد الكريم خليفة، منشورات مجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٨٧م.

٢- تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالعربية - للدكتور عبد الكريم خليفة، مجلة مجمع اللغة العربية الأدرنى ١٩٨٠م.

٣- المجامع العربية والمصطلح العلمى - للدكتور إبراهيم بيومى مدكور، مطبوعات اتحاد الجامعات العربية، مؤتمر تعريب التعليم الجامعى والعالي١٩٨٠م.

٤- اللغة العربية فى الجامعات: واقعها ووسائل الارتقاء بها. مؤتمر جامعة الإسكندرية - كلية الآداب ديسمبر ١٩٨١م.

٥- وسائل تطوير وإعداد معلمى اللغة العربية فى الوطن العربي، كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الرياض ١٩٧٧م.

٦- تحديث التعليم قبل الجامعى، مطبوعات المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى - الدورة الرابعة عشر ١٩٨٦/١٩٨٧م.

٧- مناهج اللغة العربية ووسائل النهوض بها فى التعليم العام، مطبوعات المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى - الدورة السابعة ١٩٧٩/١٩٨٠م.

٨- إعداد معلم اللغة العربية، مطبوعات المجلس القومى للتعليم والبحث

العلمى – الدورة الثامنة ١٩٨٠/١٩٨١م.

٩- قضية تعريب التعليم العالى والجامعى فى مصر – للدكتور محمود حافظ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٨٦

١٠- العربية لغة العلم – للدكتور محمد ولى، كتاب المجمع المصرى للثقافة العلمية عدد (٤) ١٩٣٤م.

١١- العربية لغة علمية – للدكتور إسماعيل مظهر، كتاب المجمع المصرى للثقافة العلمية – عدد (١٠) ١٩٤٠م.

١٢- تعريب العلم – للدكتور عبد الحليم منتصر، كتاب المجمع المصرى للثقافة العلمية عدد (٣١) ١٩٦٠م.

١٣- نشر الكتب العلمية باللغة العربية – للدكتور كامل منصور، كتاب المجمع المصرى للثقافة العلمية عدد (٣١) ١٩٦١م.

١٤- مشكلات التعليم الجامعى فى البلاد العربية. الحلقة الأولى: بنغازى ١٩٦٤م، الحلقة الثانية: بيروت ١٩٦٤م.

١٥- تعريب التعليم العالى فى الوطن العربي، مؤتمر بغداد مارس ١٩٧٨م، مطبوعات اتحاد الجامعات العربية.

١٦- اللغة العربية ودراسة العلوم بالجامعة – للدكتورة عائشة عبد الرحمن، المجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة) ١٩٨١م.

١٧- مستقبل التعليم الجامعى والبحث العلمى فى مصر – للدكتور كامل منصور والدكتور عبد الحافظ حلمى وآخرين، مطبوعات المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى ١٩٧٩م.

١٨- اللغة العربية فى خدمة علوم الإحياء – للدكتور محمود حافظ، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٧٩م.

١٩- اللغة العربية والتعليم الجامعى – للدكتور حسين نصار، المجالس القومى المتخصصة (شعبة الثقافة) ١٩٨١م.

٢٠- تعريب التعليم الجامعى فى مجالات المصطلح العلمى والترجمة والتأليف – للدكتور عبد الحليم منتصر، مطبوعات اتحاد الجامعات العربية، مؤتمر تعريب التعليم الجامعى والعالى ١٩٨٠م.

٢١- اللغة العربية فى التعليم والثقافة – للدكتور محمود الشنيطى، المجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة) ١٩٨١م.

٢٢- لغة تدريس العلوم فى الجامعات – للدكتور عبد الحافظ حلمى محمد، مطبوعات اتحاد الجامعات العربية ، مؤتمر تعريب التعليم الجامعى والعالى القاهرة ١٩٨٠م.

٢٣- تعريب لغة العلم فى التعليم الجامعى – ندوة رأسها وتحدث فيها الدكتور إبراهيم بيومى مدكور وآخرون، كتاب الدورة الثامنة للاتحاد العلمى المصرى.

٢٤- العربية لغة العلوم والتقنية – للدكتور عبد الصبور شاهين، دار الإصلاح والنشر – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٩٨٣م.



المجمع المصرى للثقافة العلمية
تاريخه ومنجزاته ودوره
فى نشر الثقافة العلمية فى مصر (*)

تمهيد:

نشطت الحركة العلمية فى مصر بعد إنشاء الجامعة المصرية عام ١٩٢٥م وكانت هناك رغبة جامحة فى اللحاق بركب الدول المتقدمة، بعد أن عانت مصر من احتلال مقيت جثم على صدرها فى أواخر القرن التاسع عشر، واستمر سنين عدة أخمد خلالها جذوة العلم والحركة العلمية.

وعند التفكير فى إنشاء مجمع للثقافة العلمية فى مصر، بجانب الجامعة المصرية لم يكن فى مصر سوى عدد قليل جدا من الجمعيات العلمية ذات النشاط العلمى المرموق فى البلاد، ويجدر بى أن أذكر منها

(*) نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بالعدد (٧٥) بتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٤١٥هـ / نوفمبر سنة ١٩٩٤م.

المجمع العلمى المصرى الذى أنشئ عام ١٧٩٨م، على غرار المجمع العلمى الفرنسى، إبان الحملة الفرنسية والذى واكب إنشاؤه بدء الحركة العلمية فى مصر فى العصر الحديث، وكان الغرض من إنشائه تحقيق غرضين:

الأول: نشر نور العلم فى كل رجا من أرجاء مصر، والثانى: بحث أحداث مصر التاريخية ومرافقها وطبيعتها وكل ما يتصل بها، وقد قام علماء المجمع الذين وفدوا مع الحملة الفرنسية بإنجازاتهم الرائعة فى كتاب " وصف مصر"، ذلك السفر الأعظم الذى حوى بين دفتيه وصفا علميا دقيقا لكل ما حوته أرض مصر وماؤها وما أظلته سماؤها من كائنات، مما ظل وسيظل معينا ينهل منه كل من أراد أن يرجع إلى هذا المورد العظيم، وفى عام ١٨٠١م توقف نشاط المجمع العلمى، ثم بعثت فيه الحياة من جديد عام ١٨٥٩م بمدينة الإسكندرية، ثم انتقل إلى القاهرة عام ١٨٨٠م وظل حتى الآن يقوم برسالته العلمية ونشر المعارف الإنسانية؛ وفى عام ١٨٧٥م أنشئت الجمعية الجغرافية لتقوم هى كذلك بدورها فى الحركة العلمية فى مصر والعمل فى ميدان الخدمات العلمية والثقافية بتنظيم المحاضرات ونشر المؤلفات وتشجيع البحث الجغرافى وإصدار المجلة الجغرافية العربية؛ ولا تزال تقوم بنشاطها المرموق فى هذا المجال محليا وإقليميا ودوليا منذ ذلك التاريخ حتى اليوم.

وقد واكب إنشاء الجمعية الجغرافية تقريبا فى مصر ظهور مجلة "المقتطف" فى بيروت عام ١٨٧٦م أداة من أدوات نشر الثقافة

العلمية فى الوطن العربى، وفى عام ١٨٨٥م انتقلت هذه المجلة إلى القاهرة، وقد قامت بدور رئيس فى نشر الموضوعات العلمية والثقافية طوال خمسة وسبعين عاما باللغة العربية.

ومع ذلك كانت الحركة العلمية إبان القرن التاسع عشر حركة محدودة بإنشاء هاتين الجمعيتين العلميتين وظهور مجلة المقتطف، على الرغم مما زاد عليها من نشاط فى حركة الترجمة التى قادها شيخ المترجمين رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ – ١٨٧٥م) فى مواجهة أمر العلوم الجديدة ومحاولة إحلال العلوم محلها اللائق فى حياة المجتمع المصرى، لا سيما بعد إنشاء المطبعة والبدء فى تيسير حركة النشر وطبع الكتب والدوريات والمؤلفات فى مختلف العلوم والفنون وإرسال البعثات العلمية فى عصر محمد على (١٨٠٥ – ١٨٤٩م) والاهتمام كذلك بالعلوم والمعارف فى عصر إسماعيل (١٨٦٢ – ١٨٧٩م).

وفى مطلع القرن العشرين نشطت الحركة العلمية فى مصر وأخذت أبعادا جديدة ؛ فأنشئت الجمعية المصرية لعلم الحشرات عام ١٩٠٧م والجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والتشريع عام ١٩٠٩م وتلا إنشاء هاتين الجمعيتين العلميتين إنشاء ثلاث جمعيات أخرى، هى: الجمعية الطبية المصرية عام ١٩١٦م، وجمعية خريجى المعاهد الزراعية عام ١٩١٨م، وجمعية المهندسين المصرية عام ١٩١٩م؛ وفى أواخر العشرينيات أنشئت الجمعية المصرية لعلم الحيوان عام ١٩٢٧م،

والجمعية الكيميائية المصرية عام ١٩٢٨م، وكل هذه الجمعيات – ومنها خمس جمعيات علمية وثلاث جمعيات مهنية – تقوم بدور بارز فى تقدم علومها التخصصية ؛ كما أنها تعمل أيضا فى إطار أهدافها على نشر الثقافة العلمية فى مجال تخصصها، وهى تقوم برسالتها العلمية منذ إنشائها حتى اليوم.

المجمع المصرى للثقافة العلمية:

عندما بدأ التفكير فى إنشاء المجمع المصرى للثقافة العلمية فى شهر يونيه من عام ١٩٢٩م كانت بمصر تسع من الجمعيات العلمية جاء بيانها فى التمهيد السالف الذكر ولم تكن من بين هذه الجمعيات جمعية جعلت نشاطها كله أو جله يدور حول الثقافة العلمية بل كانت كل هذه الجمعيات جمعيات علمية متخصصة ولو أن جزءًا من نشاطها بالطبيعة كان ثقافيا علميا إلا أن ذلك لم يكن ليشفى علة أو ينقع غلة لدى المتعطشين لكؤوس مترعة من الثقافة العلمية يروون بها ظمأهم الذى طال بهم ردحا طويلا من الزمن.

لذلك اجتمع نخبة من علماء مصر فى ذلك التاريخ وقد حباهم الله نفحة من علمه وقبسا من نوره وآمنوا بالعلم سلاحا ماضيا تشق به الأمم الناهضة طريقها نحو مدارج الرقى ووجدوا أنهم على أبواب نهضة علمية حديثة لاحت تباشيرها بإنشاء الجامعة المصرية وإنشاء عدة جمعيات علمية وأنه لا بد لهذه النهضة أن تفسح مكانا لنشر الثقافة

العلمية وأنه ينبغى ألا تقصر مهمة العالم فى المجتمع الحديث علـى أن يقبع فى محراب العلم باحثا أو معلما بل عليه أن يؤدى رسالة العلم فـى أوسع نطاق من جمهرة المتعلمين كما يشارك فـى إبـداء الـرأى فـى مشروعات وطنه ويتصدى لها بالعلم والخبرة لتقوم على الأسس العلميـة السليمة وأن يصنع ذلك كله باللغة العربية.

اجتمعت هذه النخبة بدار المقتطف وهى المجلة التى أسهمت بقسط كبير فى نشر العلم والثقافة العلمية فى ذلك الحين وعقدوا بها اجتماعاتهم التمهيدية التى تدارسوا فيها موضوع إنشاء المجمع وفى العاشر من شهر يناير عام ١٩٣٠م قرَّ قرارهم على إنشاء المجمع المصرى للثقافة العلمية واكتمل اجتماعهم الرسمى الأول فى ذلك التاريخ واختاروا المغفور لـه الدكتور على إبراهيم (جراح مصر) أول رئيس للمجمع وبقية الأعـضاء فى ذلك الوقت وهم السادة الأساتذة حسين سرى، د. محمد شاهين، أحمد حسنين، د. على توفيق شوشة، د. حسن صادق، د.خليل عبـد الخـالق، د.على مصطفى مشرفة، د. أحمد زكى، د. محمد شرف، د. أحمد زكى أبو شادى، د. عبد العزيز أحمد، د. على حسن (الفسيولوجى)، د. علـى حسن (الكيميائى)، محمود توفيق حفنـاوى، حـسن زكـى، أنـدراوس شخاشيرى، د. جورجى صبحى، د. محمد رضا مدور، إسماعيل مظهر، د. كامل منصور، سلامة موسى، فارس نمّر، فؤاد صروف.

واتفق الجميع على وضع خطة عمل للمجمع وأخذوا أنفسهم قبـل

أن يأخذوا غيرهم بالشدة والحزم وجعلوا للعلم هيبته واحترامه وأحـــاطوا مجمعهم بالوقار مع البساطة ثم حزموا أمرهم فعقدوا مؤتمرهم الأول فى شهر مارس عام ١٩٣٠م وتليت فى هذا المؤتمر محاضرات قيمة نشرت كلها بالكتاب الأول للمجمع، وكان استقبال جمهرة العلميـــين والمثقفـــين للفكرة رائعا وإقبالهم عظيما على الاستماع، مما ينهض دليلا على تعطش الكثيرين للمعرفة والاستزادة منها، وكان ذلك أيضًا من سمات العـــصر وكان نجاح هذا المؤتمر والإقبال عليه أمرا أثلج صدر القـــائمين علــــى شئون هذا المجمع وشجعهم على المضى فى تأدية الرسالة التى وهبـــوا أنفسهم لها فأقاموا المؤتمر تلو المؤتمر متناولة هذه المـــؤتمرات شـــتى الموضوعات والمشروعات حتى كان عام ١٩٣٥م فقرر أن يزيد المجمع عدد أعضائه إلى أربعين عضوا ثم بقى الحال على هذا تـــسعة أعـــوام أخرى، ثم رأى المجمع أن يفتح الباب لعضويته على مصراعيه فلم يلبث أن قفز عدد أعضائه إلى قرابة ثلاثمائة عضو تـــسابق إليهـــا الـــشباب والشيوخ على السواء دليلا على الحماس للعلم وللهيئات التى تنشر نوره وتعلى مناره.

أغراض المجمع وأهدافه:

نص دستور المجمع عند تأسيسه على أن تشمل أغراضه تحقيق:

١- نشر الثقافة العلمية. ٢- بث الروح العلمية فى البيئة المصرية.

٣- العناية باللغة العربية لغة العلم. ٤- إبداء الرأى فى المشروعات القومية.

والمتتبع لنشاط المجمع طوال قرابة خمسين عامًا منذ إنشائه حتى اليوم ليرى رأى العين وبالبصيرة النافذة أيضا أن المجمع كان حفيظا على الخطة التى رسمها لنفسه أمينا على الرسالة التى اؤتمن عليها فقد ظل يواصل مهمته السامية **فى نشر الثقافة العلمية** من خلال محاضراته ومؤتمراته السنوية التى لم تتوقف طيلة أكثر من نصف قرن وحفلت هذه المحاضرات بشتى أنواع العلم وألوان المعرفة وستبقى هذه المحاضرات شاهدا على جهودٍ مشكورةٍ لفئة من علماء هذا الوطن لتثقيف مواطنيهم وإلقاء الضوء لحل الكثير من المشاكل القومية.

ولو استعرضنا كتب المجمع السنوية التى بلغت خمسة وستين مجلدا لوجدنا فيها رصيدًا متعاظمًا من قرائح علمائنا ومفكرينا ومنهلا فكريا وعلميا وثقافيا لا ينضب – صيغ كل ذلك فى نحو خمسمائة وخمسين محاضرة علمية فى مجالات الزراعة والصناعة والاقتصاد والطب والاجتماع والعلوم الإنسانية والبيولوجية والفيزيقية وغيرها، وفى السنوات الأخيرة اتسع نطاق مفهوم الثقافة العلمية فى المجمع بحيث أصبح يشمل موضوعات فى علم النفس وفى الشخصية المصرية وفى الموسيقى والفن التشكيلى ما دامت ملتزمة بالمنهج العلمى.

وقد عمل المجمع أيضًا على **بث الروح العلمية فى البيئة المصرية** بجهوده المتواضعة؛ فكما قال أحد رؤساء المجمع السابقين وهو الدكتور أحمد رياض: "بقى المجمع وفيًّا لتلك الروح العلمية السامية التى

أملت على الأعضاء فكرته فحمل لواء العلم مع الحاملين وجعل رسالته أمانة فى عنقه آلى على نفسه أن يؤديها إلى يوم الدين، ولم يبخل أعضاؤه بتقديم عصارة أذهانهم ونتيجة أبحاثهم مبسطة فى كثير من الأحيان إلى الجمهور المتعلم لتثقيفه ولتعويده الأسلوب العلمى أساسا للتفكير فالبحث ثم التطبيق وبذلك نسجوا الصلة بين العلم والمجتمع المصرى ثم وثقوها".

ولعل أهم ما عنى به المجمع أن تكون **اللغة العربية لغة للعلم** فقد كان لها دائما أبرز مكان بين أغراض المجمع؛ إذ نص على نشر الثقافة العلمية باللغة العربية وكذلك خدمة اللغة العربية بكتابة المباحث العلمية بها ونشرها، كما نص على إنشاء رابطة للمشتغلين بالعلم من الناطقين بالعربية والمستعربين ونص أيضًا على أن لغة المجمع هى اللغة العربية، وإذا تليت محاضرة بغيرها فتتلى ترجمتها. وتمسَّك المجمع ومحاضروه بهذا النص تمسكا شديدًا إحياءً للغة العربية وإرجاعها إلى مجدها لغة للعلم ودحضًا للفرية التى انتشرت بين بعض المتعلمين أن اللغة العربية تقصر أحيانا عن الوفاء بمطالب العلم الحديث وإيقاع العصر لحركة العلم والتقدم العلمى، لذلك عمد المحاضرون إلى إحياء المهجور من كلام العرب حينا وإلى التعريب حينا آخر وإلى النحت كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا وخلقوا التراكيب وجددوا الأساليب ما شاءت لهم علومهم وفنونهم. وبمرور السنين كانت قد اتسعت حركة النشر والترجمة والتعريب فى مصر وأدلى مجمع اللغة العربية بدلوه فى هذا المجال فانعكس كل ذلك

على محاضرى المجمع وأثرى لغتهم ومصطلحاتهم العلمية فى محاضراتهم ومباحثهم فازدادت هذه غنى وثراء، وهكذا مضى المجمع يدعم رسالة اللغة العربية لغة للعلم طيلة هذه السنوات الخمس والستين من عمره(*) وهذا عمل جد جليل.

تبسيط العلوم:

عمل المجمع جاهدا على تبسيط العلوم فهو يحاول أن ينقل العلم الجاف أو العلم المعقد إلى علم يمكن أن يستسيغه ويتقبله الشخص المتعلم العادى أو غير المتخصص وأن يهضمه ويتمثله بسهولة، وهذا ما درج عليه المجمع منذ إنشائه. ومن المعروف أن العلم قد تشعبت فروعه وتنوعت مفاهيمه فوجد المجمع أنه من الخير أن ينهج هذا النهج لا سيما وأن الذين يلوذون به ويتفيأون ظلاله هم جمهرة المتعلمين متنوعى الثقافة والتعليم، فكلما كان العلم مبسطا كان الاستيعاب كبيرا وهذا هدف يصبو المجمع إلى تحقيقه بأن تصل الثقافة إلى المتعطشين لها والراغبين فيها كما حرص المجمع أن يعرض لكثير من الموضوعات التى تهم مصر فى كثير من النواحى ولكن بأسلوب علمى مبسط يجذب المناقشة والحوار ويقترح الحلول. وفى الواقع كانت هذه من أهم السمات التى تميز بها المجمع. والذى يمعن النظر فى مقالات المجمع التى تزخر بها كتبه يبهره المحتوى العلمى لهذه المقالات المكتوبة بلغة علمية سلسة بسيطة

(*) حيث إن إنشاء المجمع المصرى كان فى عام ١٩٢٩م، والبحث كان فى سنة ١٩٩٤م.

مفهومة غير مستعصية على ما فيها من دسامة وغنى وما تتناول من مشاكل وموضوعات على أعظم جانب من الأهمية والخطورة.

وقد سبق للمجمع أن شجع أعضاءه على التأليف وخاصة على إخراج تلك الكتب التى تبسط العلم وتقربه إلى الأذهان، وقرر فى جلسة ١٧ من يناير ١٩٣٥م مساعدة الأعضاء على طبع ما يقومون بتحضيره من الكتب العلمية، وقد حالت الحوائل أمام تنفيذ هذا القرار.

دعوة المجمع لإنشاء صحافة علمية:

كان المجمع المصرى للثقافة العلمية أول هيئة دعت منذ ثلاثين عاما إلى إنشاء صحافة علمية تفسح مجالا لمسائل العلوم؛ فقد نادى الأستاذ الدكتور كامل منصور فى محاضرته الرئاسية للدورة التاسعة عشرة للمجمع عام ١٩٤٩م: "نود أن نرى فى كل جريدة يومية صفحة علمية فى يوم مخصص من أيام الأسبوع مثلا وتكون هذه الصفحة تحت إشراف محرر علمى مسئول".

وقد ردد الأستاذ فؤاد صروف وكيل المجمع فى خطاب له أيضًا أمنية دعا المجمع إلى تحقيقها وهى أن يجىء اليوم الذى يصبح فى كل صحيفة من صحفنا الكبيرة محرر علمى يشرف على ما ينشر فيها فى باب العلم.

ولا شك أن المجمع حين يرى اليوم أن هذه الأمنية قد تحققت وأصبحت صحفنا الكبرى تحفل بأقسام علمية لها وزنها وبمحررين ورؤساء علميين يعتد بهم فى الحقل العلمى والإعلام العلمى وتفرد الصحف مساحات لا بأس بها للأخبار والمقالات العلمية وإن كانت حركة العلم والتقدم العلمى تستأهل اهتماما مضاعفا من صحافتنا اليومية والأسبوعية ــ حين يرى المجمع ذلك فإنه ليسعد اليوم حقا.

إبداء الرأى فى المشروعات القومية:

من أهداف المجمع أيضا أن يتصدى بالرأى والمشورة والتخطيط العلمى لكثير من مشروعاتنا القومية وخلال هذه السنين الطويلة من عمره بذل علماؤه جهودا مخلصة فى بحث العديد من هذه المشروعات وإلقاء الضوء عليها واقتراح الحلول لمشاكلنا الاقتصادية، ومن أمثلة ما عالجه المجمع من موضوعات: السد العالى ومنخفض القطارة، الثروة المعدنية فى مصر، البترول، الرى، القناطر والسدود، تخطيط الاقتصاد القومى، التصنيع، الثروة الحيوانية، القطن، تنظيم البحث العلمى، التعليم الجامعى، عناصر الحركة العلمية فى مصر، استصلاح الأراضى، زراعة الصحراء، تعمير سيناء، بترول الشرق الأوسط ومقامه العالى، توليد القوة المحركة فى مصر ومشروع خزان أسوان، السماد الواجب صنعه من كهربة الخزان، إكثار النباتات الصحراوية ذات القيمة الغذائية، ضبط مياه النيل، سكان مصر، مشكلة الذباب فى مصر، بعض مظاهر الاقتصاد الموجه فى مصر، الوسائل العلمية الحديثة للكشف عن المعادن،

بيولوچيا العواطف، اتجاهات جديدة فى الإصلاح الاجتماعى فى مصر، الثقافة العلمية وأثرها فى الصحة العامة، العربية لغة العلم، نهر النيل وتطوره الچيولوچى، النيل عند الفراعنة، التغذية والصحة العامة، وكثير من هذه المشروعات أولته الدولة اهتمامها ووجد طريقه نحو التنفيذ والمتابعة.

وهكذا نرى أن المجمع طوال خمسة وستين عاما ظل ولا يزال يعمل فى إصرار وإيمان لإرساء قواعد الثقافة العلمية فى البلاد ونشرها وازدهارها بين جمهرة المتعلمين والمثقفين وبث الروح العلمية فى البيئة المصرية والعناية باللغة العربية لغةً للعلم، وأخذت جماعات العلماء التى وليت أمر هذا المجمع تعقد المؤتمر تلو المؤتمر زاخرا بشتى الموضوعات العلمية والثقافية. وبالجملة فقد كرست هذه الجماعات جهودها لتحقيق الهدف الأسمى الذى رسمته لنفسها وما كانت لتميل عنه إصبعا إلا لتميل إليه ميلا.

وهكذا مضى المجمع فى تأدية رسالته متألفا بين الجمعيات والهيئات العلمية وقَلَّ أن يكون له ضريب بين أقرانه من الجمعيات يحمل لواء الثقافة العلمية ويرسى قواعدها فى البلاد حتى أصبح بهذه الميزة التى تفرد بها نسيج وحدة بين الجمعيات والهيئات العلمية فى مصر.

معاجمنا العلمية المتخصصة
بين الأصالة والمعاصرة (*)

قد لا يختلف اثنان فى أن العلم واللغة كائنان حيان متلازمـــان لا يفترقان فلا حياة لعلم بدون لغة تؤديه ولا ســبيل إلـــى النهــوض بـــه والانطلاق به نحو آفاق رحبة من التقدم إلا بتدارس المشتغلين به بلغتهم الوطنية. وقد أتى على الأمة الإسلامية حين من الدهر تألقت فى ســمائها نهضة علمية زاهرة بلغت أوجها منذ نيف وألف سنة فى عصر الخليفـــة المأمون (٧٨٦ ــ ٨٣٣م) حين أخذ المسلمون ينهلون من مــوارد العلــم ويترجمون الكتب الإغريقية والسريانية والفارسية وينقلــون إلـــى اللغـــة العربية مختلف الذخائر العلمية. وقد حمل لواء هــذه الحركـــة العلميـــة العارمة التى امتدت بعد ذلك بضعة قرون عدد مــن العلمـــاء العـــرب الأعلام قاموا بأروع الإنجازات العلمية وكتبوا أعظم المؤلفات وأضـــافوا

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الرابعة من جلسات مؤتمر المجمع فى الدورة ٥٩ يوم السبت ٢٥ من شوال سنة ١٤١٣هـ الموافق ١٧ من أبريل سنة ١٩٩٣م. مجلة المجمع، العدد (٧٦).

إلى هذه التراجم الكثير من مبتكراتهم ــ كان ذلك العصر عصرا ذهبيا بالنسبة للغة العربية لغةً للعلم زخرت بآلاف المقابلات والمصطلحات والمأثورات فى مختلف فروع العلم التى تناولها العلماء العرب بالدراسة وبرزوا وعلَّموا غيرهم وأخذ عنهم علماء عصر النهضة الأوربية ما شاء لهم أن يأخذوا من هذا المعين الزاخر بالمعارف العلمية والإنسانية؛ كما أننا ما زلنا ــ نحن المشتغلين بالعلوم ــ ننهل حتى اليوم من نبعهم الفياض كئوسًا مترعة من العلم والمعرفة تبهرنا فيها تلك الثروة الهائلة من لغة العلم فى الكيمياء والفيزياء والطب والنبات والحيوان والفلك والرياضيات وعلوم الچيولوچيا والصيدلة وغيرها، وذلك فى كتب ابن سينا والبيرونى والكندى وابن حيان والزهراوى والرازى وابن الهيثم الذى سبق فرانسيس باكون بعدة قرون فى إرساء المنهج العلمى وابن النفيس الذى سبق هارفى فى الكشف عن الدورة الدموية الصغرى والإدريسى الذى حقق عدة مئات من أنواع النبات وأورد أسماءها باللغات السريانية واليونانية والفارسية والهندية واللاتينية، والجاحظ والخوارزمى والدينورى والبغدادى وابن سيده وابن البيطار والقرطبى والقزوينى والدميرى وغيرهم.

وجدير بالذكر أن المعين الزاخر من المصطلحات والمقابلات التى حفلت بها كتب هؤلاء العلماء قد واكبت نهضة علمية معجمية حمل لواءها عدد من أسلافنا العلماء أمثال الخوارزمى (٣٨٧هـ / ٩٩٧م) وهو شيخ من شيوخ القرن الرابع الهجرى الذى يُعدُّ العصر الذهبى

للثقافة الإسلامية والعلوم العربية ألمَّ بفروعها وأصولها واتسم بالطابع الموسوعى وألَّف كتابه الشهير "*مفاتيح العلوم للخوارزمى*". وقد برز فى علوم كثيرة أشهرها الرياضيات والفلك، وهو أول مَن ألف فى علم الجبر وفى علم الحساب، وقد ترجمت كتبه إلى اللاتينية. كما يرجع إليه الفضل فى التعريف بالأرقام الهندية، وكان يجيد العربية والفارسية وله ــ فيما يبدو ــ إلمام بالسريانية واليونانية.

والخوارزمى رائد من رواد المعاجم العربية المتخصصة، ولكتابه "*مفاتيح العلوم*" شأن خاص فى توضيح تطور المصطلح العلمى العربى وتتبّع مصادره الأساسية من وضع أو تعريب؛ وقد كشف عنه حديثا المستشرق الهولندى (فان فولتن) فى أخريات القرن التاسع عشر واهتم به من بعده الدارسون والباحثون.

وبعد بضعة قرون أخرج العالم الموسوعى الكبير التهانوى (محمد بن محمد بن صابر الفاروقى) مؤلَّفه الكبير الذى أسماه "*كشاف اصطلاحات العلوم والفنون*". والتهانوى كما يقول أستاذى الدكتور إبراهيم مدكور فى بحثه الرائد عن المعجمات العربية المتخصصة عالِم من رجال القرن الثانى عشر الهجرى والثامن عشر الميلادى(١١٥٧هـ /١٧٤٥م) ومن أعلام الفكر الإسلامى فى الهند، نشأ فى بيت علْم واستوعب العلوم المختلفة وألَمَّ بفروعها ومصطلحاتها واتسم بطابع موسوعى فسيح يذكرنا بكبار مفكرى الإسلام فى العصر الذهبى؛

ويعدُّ كشافه من أكبر المعجمات العربية المتخصصة المرتبة ترتيبا هجائـيًّا، ويشتمل على مصطلحات فى العلوم المختلفة ومنها مصطلحات الرياضيات كالهندسة والحساب.

وقد كان للعرب اليد الطولَى فى إخراج المعاجم، وقد بـزُّوا غيرهم. ويقول المستشرق الإنجليزى (هاى وود) فى مؤلفه الشهير عن المعاجم العربية: " الحقيقة أن العرب فى مجال المعاجم يحتلون مكان المركز سواء فى الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم وبالنسبة للشرق والغرب." ويؤكد فى موضع آخر أسبقية العرب لغيرهم كالهنود. كما ذكر (هاى وود) أيضًا فى مقال نشر فى مجلة جامعة درهام فى ديسمبر عام ١٩٥٧م تأثر النشاط المعجمى الأوروبى فى عصر النهضة الحديثة بسابقه العربى، ومن يستعرض التاريخ المعجمى ير أن العربية غنية غناءً ملحوظًا بمعاجمها بل لا تكاد تجاريها أمة من الأمم فى القديم والحديث. وقد ألفت المعاجمُ فى وقت مبكر من تاريخها بدءا من القرن الثانى الهجرى وتنوعت تلك المعاجم بحيث لم تترك مجالا إلا طرقته وأغنته.

وبعد هذه النهضة العارمة ونتيجة للاستعمار الذى جثم على صدر الأمة ردحًا من الزمان، ولمدة امتدت من القرن السادس عشر إلى أواخر القرن الثامن عشر وخيَّم على الأمة العربية تخلفٌ رهيب انعكست آثاره على اللغة العربية والعلوم والمعارف الإنسانية ــ وفى مطلع القرن

التاسع عشر بدأت صحوة عربية للحاق بركب الحضارة ودعوة قوية أن تعيد الأمة للعلم واللغة العربية سابق مجدها. وبدأ فى مصر (وكذلك فى شقيقاتها العربيات) نشاط مرموق فى حركة الترجمة والنقل إلى العربية ووضع المصطلحات، ففى عام ١٨٣٣م وما بعده نمت فى مصر ترجمة (٨٦) ستة وثمانين كتابا أجنبيا فى عدة فروع لعلوم الطب والصيدلة، كما قام عدد من المبعوثين الأوائل بعد عودتهم من فرنسا بالتدريس فى المعاهد العليا، وقدموا إلى المكتبة العلمية رصيدًا ذا بال من مُعرَّباتهم ومؤلفاتهم، منهم على سبيل المثال الجرَّاح محمد على البقلى الذى ألَّفَ عدة كتب فى الجراحة، محمد الشافعى فى الأمراض الباطنية، محمد ندى فى النبات والحيوان والچيولوچيا والفيزياء، وعلى رياض فى الصيدلة والسموم، محمد الدرى فى الأمراض الوبائية، محمد بيومى فى الحساب والجبر والهندسة الوصفية، محمود الفلكى الذى عاد من بعثته عام ١٨٥٩م وكانت له إنجازات يُعتدُّ بها فى علم الفلك، وقد شارك علماء اللغة فى النهضة العلمية فكان منهم خبراء وعلماء متخصصون مثل محمد عمر التونسى مؤلف معجم الشذور الذهبية فى الألفاظ الطبية، إبراهيم الدسوقى الخبير فى مصطلحات العلوم الرياضية، وشيخ المترجمين فى عصره رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ ـ ١٨٧٣م) فى ألفاظ الحضارة والفنون والعلوم الحديثة، وغيرهم من رواد القرن التاسع عشر.

وفى أوائل القرن العشرين أنشئت الجامعة المصرية فى تكوينها

الأهلى عام ١٩٠٨م، ثم فى تكوينها الحكومى عام ١٩٢٥م فكانت فاتحة لنهضة علمية وثقافية حديثة فى مصر، استعادت فيها اللغة العربية مكانتها مرة ثانية بعد احتلال بريطانى (١٨٨٢م) باعد بين اللغة العربية والعلوم الحديثة، وقد واكب هذه النهضة نشاط فى حركة التعريب وجمْعِ المصطلحات وتحقيقها، وإصدار بعض المعاجم العلمية المتخصصة، نذكر منها معجم أسماء النبات للدكتور أحمد عيسى والذى صدر فى عام ١٩٢٦م شاملا كلّ ما عرف من أسماء النبات فى المصنفات العربية – وفى العام نفسه صدر قاموس الدكتور محمد شرف فى العلوم الطبية والطبيعية. وقد شمل وضع مقابلات وشروح باللغة العربية للمصطلحات الأجنبية، وعنى أشد العناية بالرجوع إلى ما كتبه الأسلاف من العرب وما كتبه المستشرقون، ويضم هذا المعجم أكثر من أربعين ألف مصطلح؛ ومعجم آخر هو معجم الحيوان للفريق أمين المعلوف صدر فى عام ١٩٣٢م ولو أنه يقول إنه بدأ فى جمع مادته منذ عام ١٩٠٨م ويضم (١٥٠٠) ألفا وخمس مئة من أنواع الحيوان موصوفة وصفا علميا باللغة العربية. وقد أورد اسم الحيوان باللغتين العربية واللاتينية؛ ومعجم رابع هو معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابى الذى صدر فى عام ١٩٤٣م ولكنه ظل يجمع مادته ويحققها طوال عشرين عاما قبل ذلك التاريخ، ويشتمل المعجم على (٩٠٠٠) تسعة آلاف لفظ فرنسى أو علمى وما يقابله باللغة العربية. ويقول: إن من بين الألفاظ العربية المذكورة ثلاثة آلاف لفظ على الأقل هى من وضعه أو تحقيقه لم يسبقه إليها أحد من أصحاب المعجمات الأعجمية العربية.

هذه أمثلة فقط لجهود معجمية رائدة لأربعة من العلماء فى الوطن العربى تلتها جهود أخرى قيمة فى إصدار المعاجم العلمية المتخصصة، ولعل كلمة معجم من أعجم الشيء أزال غموضه وأوضح مدلوله وهو — كما يقول الدكتور الجرح — دون كثير عنت، كلّ قائمة تجمع كلمات من لغة ما على نسق منطقيٍّ ما وتهدف إلى ربط كل كلمة منها بمعناها وإيضاح علاقاتها بمدلولها. وهذا فهم عام لكلمة معجم يغطى كثيرا من ألوان النشاط المعجمى ويصدق عليها، سواء فى ذلك ما ذكره أستاذنا الجليل الدكتور مدكور من أنَّ مِن المعاجم ما اقتصر على المصطلح ولم يخلط به شيئا سواه، وهذا أساس المعجم العربى المتخصص أو ما التزم بالترتيب الأبجدى، وهذا دعامة التأليف المعجمى اليوم أو ما نَحَا نَحْوًا موسوعيًّا مهَّد لظهور دوائر المعارف الحديثة.

سادتى العلماء:

لعل أعظم إنجاز قومى وعربى فى العصر الحديث أخذ بيد اللغة العربية وخطا بالنشاط المعجمى خطوات فسيحة إلى الأمام هو إنشاء المجامع اللغوية بالوطن العربى ففى مصر وفى عام ١٩٣٢م صدر المرسوم الملكى بإنشاء مجمع اللغة العربية ولو أن محاولات أخرى جادة فى هذا السبيل قد سبقت إنشاءه فى مطلع هذا القرن حَمَل لواءها نادى دار العلوم عام ١٩٠٨م ومجمع دار الكتب عام ١٩١٦م، وسبقت هذه المحاولات أيضا دعوة إلى ذلك فى أخريات القرن التاسع عشر عام ١٨٩٢م فيما عرف باسم مجمع البكرى، وكان عبد الله النديم قد مهَّدَ لهذه

الدعوة فى العام نفسه. وقد تحقق بإنشاء مجمعنا هذا أمل عزيز طالما تطلع إليه أهل العلم واللغة والأدب فى مصر ليقوم بدوره البنَّاء نحو اللغة العربية والحفاظ عليها وعلى أصالتها وتراثها، ونحو النهوض بها وتطورها وجعلها وافية بمطالب العلوم والآداب والفنون، وملائمة للحياة العصرية المتطورة ودراسة المصطلحات العلمية وإصدار المعجمات وغير ذلك فى مختلف المجالات.

ولما كانت المعاجم العلمية المتخصصة تعتمد فى المقام الأول على المصطلحات العلمية فهى لحمتها وسداها، فقد اهتم مجمع اللغة العربية منذ نشأته بموضوع المصطلحات ووقف عليها قسطًا كبيرًا من جهوده ورسم على مرِّ السنين منهجًا واضحًا لوضع المصطلح العلمى والتعريف به، كما عمل على توحيده، وفى سبيل ذلك أنشأ المجمع لجانًا علميةً فى فروع العلم المختلفة، ودعا إليها كوكبة من العلماء والباحثين فى مختلف التخصصات، وقد تَوفَّر هؤلاء على إنجاز عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية والفنية وهم يواصلون القيام بهذه المهمة حتى اليوم. وقد أخرج المجمع ما أقره منها فى (٤٧) سبع وأربعين مجموعة من مجموعات المصطلحات التى يصدرها تضم أكثر من (١٠٠,٠٠٠) مئة ألف مصطلح كان نصيب المصطلحات العلمية المتخصصة منها ما يزيد على (٦٠,٠٠٠) ستين ألف مصطلح علمى متخصص وذلك عدا عدة آلاف أخرى سيأتى دورها فى الطبع والإصدار بما قد يصل بحصيلة المصطلحات إلى أكثر من (١٥٠,٠٠٠)

مئة وخمسين ألف مصطلح فى شتى الفروع.

ويسير المجمع على نهج واضح ومستقر لوضع المصطلحات العلمية يلتزم به، فحين تتصدى اللجان العلمية لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومبنى وأصله اللاتينى أو اليونانى وتبحث عن أفضل المقابلات له، وقد ترجع فى ذلك إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة، وقد تجد مقابلا أو مأثورا دقيقا غير مطروق يؤدى المعنى فتأخذ به ليشيع استعماله مثل كلمة " أيض " بدلا من " تحول غذائى "، ثم يُعرَّف المصطلح تعريفًا علميًّا دقيقا، ويمر المصطلح فى مراحل من الدراسة والمناقشة والتمحيص كفيلة بصقله وصوغه الصياغة المثلى بدءًا باللجنة العلمية المختصة ثم مجلس المجمع ثم مؤتمره السنوى. وتلتزم اللجان العلمية فى عملها بما سبق أن أقره مجلس المجمع ومؤتمره فى الدورة الخامسة والأربعين من مبادئ أساسية عامة وتوصيات وقواعد أرساها خاصة بوضع المصطلحات العلمية كان قد تقدم بها للمجمع الأستاذ الدكتور محمود مختار شملت أربعة مبادئ عامة واثنتى عشرة توصية، منها الأخذ بالاشتقاق فقلنا: مؤكسد وأكسدة من أكسيد، وبالنحت فقلنا: كحللة أى تحلل بالكحول، وحلمأة أى تحلل بالماء، وبالسوابق فقلنا: لاهوائى وقبل فمى وفوق بنفسجية، وباللواحق فقلنا: غروانى وقلوانى. كما راعينا فى بعض الحالات أن يتفق المصطلح العربى مع الدلالة العلمية للمصطلح الأجنبى دون التقيد بدلالته اللفظية، فمثلا نقول فى مصطلحات النفط: مكتب الحفار مقابل Dog house، وممشى ضيق مقابل Cat's walk، وبئر نائية مقابل Australian well،

وغرفة كاتمة مقابل Dead room. كما راعينا أن يـؤدى المـصطلح الواحد بلفظ واحد ما أمكن ليكون صالحا للاشتقاق منه والنسبة والإضافة إليه وتثنيته وجمعه، وأن يتسم بالدقة والوضوح وبخاصة فـى الألفـاظ الأجنبية المتقاربة فى مدلولها. ومما تجدر الإشارة إليه أن التقدم المـذهل فى مجال العلم والمعرفة والإيقاع السريع الذى نشهده اليوم فـى ثـورة العلوم الحديثة والمستحدثة كثورة الهندسة الوراثية والتكنولوچيا الحيويـة وثورة المعلومات والحاسبات والاتصالات وعلوم الفضاء وغيرها، كـل ذلك قد جاء إلينا بسيل منهمر من المصطلحات الجديدة، فإذا استعـصى علينا أن نجد لها المقابلات العربية المناسبة لجأنا إلى التعريب كما عرّب العرب قديما فأخذوا عن اليونانيـة والهنديـة والـسوريانية والفارسـية والتركية، وكما عرب المحدثون عن الإسبانية والإيطاليـة والإنجليزيـة والفرنسية، ومع ذلك فإن اللغة العربية كانت ولا تزال من الغناء والثراء بحيث تستوعب الكثير مما تفـرزه هـذه الثـورات العلميـة الحديثـة من مصطلحات، وذلك مصداقا لما قالـه المستـشرق الألمـانى (فـون جرونباوم) فى مقدمته لكتاب "*تراث الإسلام*": إن اللغـة العربيـة لغـة عبقرية لا تدانيها لغة فى مرونتها واشتقاقها، وهذه العبقرية فى المرونـة والاشتقاق اللذين ينبعان من ذات اللغة جعلتها تتسع لجميع مـصطلحات الحضارة القديمة بما فيها مـن علـوم وفنـون وآداب، وأتاحـت لهـا القدرة على وضع المـصطلحات الحديثـة لجميـع فـروع المعرفـة. وكذلك يقول المستشرق الألمانى بروكلمان: " إنه بفضل القـرآن بلغـت اللغة العربية من الاتساع مدًى لا تكاد تعرفه أى لغة أخرى.

سادتى العلماء:

بعد أن تكونت لـــدى المجمع منذ دوراته الأولـــى حصيلة ضخمة شملت عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية المشروحة والمعرَّفة بدأ منذ أكثر من ربع قرن فى إصدار عدة معاجم علمية متخصصة تباعًـــا، فصدرت فى عام ١٩٦٥م الطبعة الأولىٰ من معجم الچيولوچيا (١٥٠٠) مصطلح ثم أخذت اللجنة المختصة تنقح وتهذب وتضيف وتجدد بعــد أن توافر لديها كم هائل من المصطلحات الحديثة فصدر المعجم فى طبعتــه الثانية الموسعة عام ١٩٨٢م شــاملا قرابـــــة خمــسة آلاف(٥٠٠٠) مصطلح فى مجالات الچيولوچيا الطبيعية وعلم الصخور وعلم البلورات والچيولوچيا الاقتصادية والچيوفيزيقا والچيولوچيا التطبيقيــة، وقــد زود المعجــــم (٦٤٠ صفحة من القطع الكبير) بفهرس هجائى عربى شامل للمصطلحات، وبنحو(٢٣٨) رسمًا توضــيحيا، كمــا عنــى بتوحيــد المصطلح ما أمكن وبدقة تعريفه.

معاجم الفيزيقا والحاسبات (ثلاثة معاجم، ٦٩٠٠ مصطلح):

أصدر المجمــع فــى عــام ١٩٧٤م معجــم الفيزيقــا النوويــة والإلكترونيات شاملا (١٢٠٠) ألفا ومئتى مــصطلح علمــى فــى هــذا المجال، ثم أتبع بمعجم الفيزيقا الحديثة الذى صدر الجزء الأول منه عام ١٩٨٤م والجزء الثانى عــام ١٩٨٦م شــاملين (٥٠٠٠) خمــسة آلاف مصطلح علمى تناولت جميع فروع علم الفيزيقا وتطبيقاته. وقد زود كل من المعجمين بفهرس هجائى عربى للمصطلحات، وقد اتــسمت جميــع المصطلحات بالدقة العلمية والوضوح والالتزام الشديد بما أقره المجمــع

من قواعد ومبادئ بالنسبة لوضع المصطلحات العلمية.

وبالنسبة لمعجم الحاسبات فقد صدر في عام ١٩٨٧م شاملا (٧٠٠) سبعمائة مصطلح وهو ثمرة من ثمار العلم الحديث الذى يتناول المعالجة الإلكترونية للمعلومات، وقد ركز فى المعجم على المصطلحات الأساسية للحاسبات الإلكترونية التى أخذت تغزو اللغة العربية، واللجنة المختصة بصدد إخراج معجم وسيط فى هذا التخصص الحديث يكون أكثر شمولا ومواكبا للتقدم السريع والتطور المتلاحق فى هذا المجال.

معجم المصطلحات الطبية (٩٠٠ مصطلح):

صدر الجزء الأول من هذا المعجم عام ١٩٨٥م شاملا (٤٠٠٠) أربعة آلاف مصطلح، وصدر الجزء الثانى فى عام ١٩٩٠م شاملا نحو (٥٠٠٠) خمسة آلاف مصطلح، وبصدد إعداد الجزء الثالث شاملا (٤٠٠٠) أربعة آلاف أخرى.

وقد قامت اللجنة المختصة بمراجعة آلاف المصطلحات التى سبق إقرارها منذ الدورات الأولى للمجمع، وقد تبين افتقارها للمصطلحات الجديدة وبخاصة أن العلوم الطبية تتطور أيضًا بسرعة مذهلة، واستحدثت مصطلحات طبية لم تكن معروفة من قبل. وقد أخذت اللجنة ذلك فى الاعتبار عند إصدار المعجم حيث شمل هذه المصطلحات لتساير التقدم العلمى. وقد رجعت اللجنة إلى المعاجم الطبية الحديثة وبعض كتب الطب القديمة حتى تعبر تعبيرا دقيقا عن المعنى المقصود، وقد تحاشت اللجنة الإغراب والغموض.

معجم البيولوچيا فى علوم الأحياء والزراعة:

صدر الجزء الأول من هذا المعجم فى عام ١٩٨٤م شاملا (٢٧٠٠) ألفين وسبع مئة مصطلح، وصدر الجزء الثانى فى عام ١٩٨٨م شاملا (٤٣٠٠) أربعة آلاف وثلاث مئة مصطلح، وبه فهرس هجائى كامل. واللجنة بصدد إعداد الجزء الثالث شاملا (٤٠٠٠) أربعة آلاف مصطلح.

وقد أفادت اللجنة من بعض المعجمات والمصطلحات التى أحيلت إليها لفحصها، مثل معاجم الألفاظ النباتية للدماطى ومعجم أبسخرون الزراعى، وألفاظ النخيل ومصطلحات البيئة النباتية التى أصدرتها منظمة الأغذية والزراعة، وقد أضافت إليها الشروح والدلالات فى العلم الحديث. كما قامت اللجنة بوضع مصطلحات الفحص المجهرى (الميكروتكنيك) وببحوث قيمة فى أنواع الحيتان والثعابين والمصطلحات الخاصة بها، وقد شمل المعجم كل هذه المصطلحات.

المعجم الحديث للكيمياء والصيدلة:

ضم هذا المعجم مصطلحات الجزء الأول والثانى بعد مراجعتها وإضافة عدد كبير من المصطلحات الحديثة والمستخدمة والتى سبق أن أعدتها اللجنة نحو (٧٠٠٠) سبعة آلاف مصطلح.

شملت المصطلحات علوم الكيمياء العضوية وغير العضوية والفيزيقية والكيمياء التخليقية والصيدلية، وتميزت بعض هذه الفروع بوفرة فى المصطلحات الحديثة والمستحدثة. ونظرًا لتنوع التركيب الكيميائى للمادة فقد استدعى ذلك وضع نظام ييسر صوغ المصطلحات ترجمةً أو تعريبًا، وعندما استعصت الترجمة لجأت اللجنة إلى التعريب فى حالة المركبات الكيميائية والأحماض والمواد، وكلها تحتل جزءا

كبيرا من المعجم لا سيما فى مصطلحات الكيمياء التخليقية والصيدلية.

معجم النفط :

صدر هذا المعجم فى هذا العام ١٩٩٣ شاملا (٤٥٠٠) أربعة آلاف وخمس مئة مصطلح وقد استغرق إعداد هذا المعجم عدة سنوات، وحوى المصطلحات العلمية والفنية والتكنولوچية المتصلة بالنفط وعمليات الحفر والاستكشاف والإنتاج والتسويق وغيرها، وفى بعض الحالات لجأت اللجنة العلمية للمعجم عند وضع المقابل العربى للمصطلح الأجنبى إلى ترجمة المعنى دون المبنى أى دون الدلالة اللفظية له.

معجم الهندسة الميكانيكية:

صدر فى سنة ١٩٩٨م شاملاً أكثر من (٢٠٠٠) ألفى مصطلح. وهو معجم علمى متخصص فى مجال مصطلحات العلوم الهندسية.

معجم الرياضيات:

صدر الجزء الأول من هذا المعجم سنة ١٩٩٥م وضم المصطلحات التي تبدأ بالخروف A, B, C . وصدر الجزء الثانى عام ٢٠٠٠م شاملاً المصطلحات التى تبدأ بالحروف D, E, F . ثم تلاهما فى عام ٢٠٠١م الجزء الثالث وشمل المصطلحات التى تبدأ من حرف G حتى حرف Q.

وهكذا نرى أن المجمع أصدر ثمانية معاجم علمية متخصصة فى علوم الكيمياء والفيزيقا والحاسبات والطب والبيولوچيا والأحياء والزراعة والچيولوچيا والنفط شملت (٣٨٦٠٠) ثمانية وثلاثين ألفًا وست مئة من المصطلحات العلمية، بالإضافة إلى (٧٢٠٠) سبعة آلاف ومئتى مصطلح لمعجمين قادمين فى علوم الهندسة والهيدرولوچيا والرياضيات

بمجموع يصل إلى (٤٥٨٠٠) خمسة وأربعين ألفًا وثمان مئة مصطلح عدا (١٠,٠٠٠) عشرة آلاف من المصطلحات الجديدة أعدتها اللجان العلمية وما زالت تضيف إليها توطئة لإصدار معاجم أخرى بحصيلة إجمالية تربو على (٥٥,٠٠٠) خمسة وخمسين ألف مصطلح فى مختلف العلوم المتخصصة. وهى بوجه عام تعكس التزاما دقيقا بقواعد العمل المعجمى وصوغ المصطلح العلمى، كما زخرت بالمئات من المصطلحات العلمية الحديثة.

معجم الهيدرولوچيا:

وضع هذا المعجم لجنة الهندسة بالمجمع وصدر فى عام ١٩٨٤م وهو يشتمل على نحو (١٧٠٠) ألف وسبعمائة مصطلح ، وضع أمامها المقابل الأجنبى.

معجم علم النفس والتربية:

صدر منه الجزء الأول عام ١٩٨٤م واشتمل على مصطلحات تبدأ بالحروف اللاتينية من A إلى S ، والمجمع فى طريقه إلى إصدار الجزء الثانى منه.

معجم الموسيقا:

صدر هذا المعجم عام ٢٠٠٠م ويزيد عدد مصطلحات عن (١٠٠٠) الألف مصطلح، وهو لم يتضمن جميع المصطلحات الموسيقية المتداولة فى كل بلدان العالم، واقتصر على أهم المصطلحات الموسيقية، وأكثرها شيوعا.

المعجم الجغرافى:

صدر عام ١٩٧٤م وبه كشاف للمصطلحات الأجنبية التى وردت به، وهو يضم أكثر من (١٥٠٠) ألف وخمسمائة مصطلح مرتب هجائيا.

المعجم الفلسفى:

صدر هذا المعجم عام ١٩٨٣م واشتمل على (١١٢٠) ألف ومائة وعشرين مصطلحًا فلسفيًا رُتبت على حسب الحروف الهجائية، ووضع معها المقابلات الفرنسية والإنجليزية، كما اشتمل على فهرس للمصطلحات الفرنسية وآخر للمصطلحات الإنجليزية.

معجم القانون:

صدر هذا المعجم عام ١٩٩٩م، وبلغ عدد مصطلحاته نحو (٨٠٠٠) ثمانية آلاف مصطلح رتبت ترتيبًا هجائيا عربيًا، وبوبت على حسب فروع علم القانون ووضع بعد كل باب فهرس فرنسى – عربى.

توصيات واقتراحات:

أرى هنا أن أذكر ما عنّ لى من بعض التوصيات وكلها تردداد لأمل نتطلع إليه ويجول بخاطرنا.

أولاً: العمل على إصدار بقية المعجمات العلمية المتخصصة بالحصيلة المتوافرة لدى المجمع بالآلاف من المصطلحات فى مختلف فروع العلم.

ثانيًا: وضع سياسة تكفل توزيع هذه المعاجم على نطاق واسع بين معاهد العلم ليشيع استعمال ما بها من مصطلحات علمية دقيقة ولتدفع حركة تعريب العلم فى التعليم العالى والجامعى والتأليف والترجمة خطوات فسيحة إلى الأمام.

ثالثًا: الدعوة إلى إنشاء مؤسسة خاصة بالمعاجم العربية فى مختلف العلوم والفنون على أن تقوم بذلك مجامعنا اللغوية من خلال اتحاد المجامع اللغوية العربية، وهذه الدعوة تزداد لما اقترحه العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة فى بحثه القيم بمجلة المجمع الأردنى عام ١٩٨٩م.

رابعًا: العمل على إصدار معاجم فى العلوم الحديثة والمستحدثة كعلوم الهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية والإلكترونيات وعلوم البيئة والمحيط الحيوى والمعلومات والاتصالات وعلوم الفضاء وغيرها. واللغة العربية قادرة بثرائها وتطورها على استيعاب مفرزات هذه الثورات العلمية والتكنولوجية العارمة ومعجم الحاسبات الذى أصدره المجمع بداية طيبة فى هذا السبيل.

خامسًا: توصية طالما ردَّدتْها المؤتمرات اللغوية وهى التأكيد على ضرورة توحيد المصطلحات العلمية فى المعاجم المتداولة بالوطن العربى للقضاء على بلبلة قائمة فى استعمال المصطلح الواحد بمقابلات مختلفة. وهى مهمة بالغة الأهمية لاتحاد المجامع اللغوية العربية.

سادسًا: أمنية قد تبدو بعيدة المنال ولكنها عزيزة غالية كثيرا ما طافت بأخيلتنا وداعبت أحلامنا، وهى التصدى لإنجاز معجم شامل عملاق فى مختلف فروع العلم والمعرفة تتكاتف فى عمله الدول العربية ومجامعها اللغوية وجامعة الدول العربية التى سبق لها أن أسهمت بجهود معجمية فى هذا السبيل.

سادتى العلماء الأجلاء:

هذه كلمة متواضعة عن معاجمنا العلمية المتخصصة التى أصدرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة تعكس جهودا قامت بها اللجان العلمية وما زالت تواصل عملها على هدى من المبادئ التى أرساها المجمع بالنسبة للعمل العلمى المعجمى وعلى هدى من تراث علمى عربى مجيد وفيض من مبتكرات العلم الحديث، ومن منجزات رائدة لعلماء المجامع اللغوية بالوطن العربى يحدوها الأمل أن تسد هذه المعجمات فراغا فى المكتبة العلمية العربية. وهكذا يمضى المجمع قدما فى تأدية رسالته السامية نحو العلم واللغة.

وفى ختام كلمتى أتقدم بالشكر الجزيل والتحية الصادقة إلى أستاذى العالم الجليل وشيخ المجمعيين الدكتور إبراهيم مدكور، الذى يقود سفينة المجمع بفكره الثاقب وبصيرته النافذة وبحنكة ودربة ومكنة واقتدار. كما أتقدم بالشكر الجزيل والتحية الصادقة إليكم أيها العلماء الأجلاء سدنة اللغة العربية وحماتها الذين حملتم مع أجيال سبقت لواءها عاليًا خفاقا نحو السماكين ورفعتم علمها شامخا سامقا فى الخافقين.

المراجع

١- المعجمات العربية المتخصصة للدكتور إبراهيم مدكور، مجلة مجمع اللغة العربية العدد (٣٤) نوفمبر ١٩٧٤م.
٢- مجمع القاهرة والمصطلح العلمى للدكتور إبراهيم مدكور، مجلة مجمع اللغة العربية العدد (٤٢) ١٩٧٨م.
٣- دعوة إلى التزام خطة منهجية فى صوغ المصطلحات الطبية للدكتور أحمد عمار، مؤتمر المجمع يناير ١٩٦١م.
٤- المصطلحات العلمية للدكتور حسنى سبح، الدورة ٣٦ الجزء ٣ لمؤتمر المجمع البحوث ص ٥٩.
٥- حاجاتنا إلى معجم عربى موحد للدكتور عبد الحليم منتصر،الدورة ٣٣ العدد (١٠) مؤتمر المجمع: بحوث ص ٣٧٥.
٦- مشكلة المصطلحات العلمية للدكتور عبد الحليم منتصر، العدد (١٣) من مجلة المجمع ص ٢٠٣.
٧- من قضايا المعجمية العربية المعاصرة للدكتور عفيفى عبد الرحمن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى ١٩٨٨م.
٨- المعاجم الأوربية الحديثة ومدى ما تستفيده المفاهيم العربية منها للأستاذ لويس ماسنيون، الدورة ١٥ العدد (٧) من مجلة المجمع ص٣٥٩.
٩- النشاط المعجمى العربى أصيل أم دخيل؟ للدكتور محمد سالم

الجرح، مجلة المجمع العدد (٢٨) نوفمبر ١٩٧١م.

١٠- حاجتنا إلى معجم مصفّى للدكتور محمد كامل حسين، الدورة ٣٤ الجزء ٩ مؤتمر المجمع البحوث والمحاضرات ص ٤١١.

١١- القواعد العامة لوضع المصطلحات العلمية، الدكتور محمد كامل حسين، العدد (١١) مجلة المجمع.

١٢- المصطلح الچيولوچى للدكتور محمد يوسف حسن، مجلة المجمع العدد (٣٢) ١٩٧٣م.

١٣- اللغة العربية فى خدمة علوم الأحياء للدكتور محمود حافظ، الدورة ٤٥ العدد (٤٣) مجلة المجمع.

١٤- قضية تعريب التعليم العالى والجامعى فى مصر للدكتور محمود حافظ، العدد (٥٦) مجلة المجمع مايو ١٩٨٥م.

١٥- مجمع اللغة العربية والمصطلح العلمى للدكتور محمود مختار، العدد (٥٣) مجلة المجمع.

١٦- ملاحظات شتى على معجمات حديثة للأمير مصطفى الشهابى، الجزء ٣ للمؤتمر، البحوث ص ٦٥.

١٧- توحيد المصطلحات العلمية فى البلاد العربية للأمير مصطفى الشهابى مجلة المجمع العدد (١١).

١٨- اللغة العربية فى مؤسسات التعليم ووسائل النهوض بها فى مصر للدكتور محمود حافظ، مجلة المجمع العدد (٦٥) نوفمبر ١٩٨٩م.

الترجمة بين الماضى والحاضر
وأهميتها فى نقل العلوم إلى اللغة العربية (*)

بدا فى السنوات الأخيرة اهتمام كبير بقضية الترجمة ونشطت الدعوة لعودتها إلى سابق نهضتها وازدهارها وذلك لما لمسه المشتغلون بالعلم والأدب والثقافة من أزمة حادة تحدق بهذا الرافد الحيوى من روافد المعرفة الإنسانية الذى طالما أدى دورًا بارزًا فى نشر نور العلم وإعلاء مناره بما يتيحه من اتصال بمختلف الثقافات والتفاعل بينها. وبوصفه إطلالة حضارية منيرة على آفاق رحبة من الفكر العالى الذى تتقافز خطواته فى مدارج التقدم والرقى.

كما أن اللغة العربية تزداد غناءً وثراء بالترجمة وتتسع آفاقها بالحصيلة الجديدة التى تضاف إلى مذخور تراثها وتصبح أقدر على تأدية

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع فى الدورة ٦٠، المنعقدة يوم السبت ٢١ من شوال سنة ١٤١٤هـ، الموافق ٢ من أبريل سنة ١٩٩٤م، مجلة المجمع، العدد (٧٨).

رسالتها فى عصر العلم والتقدم العلمى والتكنولوچى بفضل عملية التلاحم التى تضطلع بها الترجمة.

وإذا كانت الترجمة إلى العربية قد بدأت فى واقع الأمر فى مطـالع عصر بنى أمية على يد خالد بن يزيد بن معاوية حين ترجم من اليونانية إلى العربية، وحين أجاز الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيـز ترجمـة الكتب الطبية لحاجة الناس إلى الطب إلا أن الترجمة لم تبلغ شأوًا بعيـدًا من التقدم والازدهار إلا إبَّان حكم بنى العباس وبخاصة فى عهد الرشـيد والمأمون حين تألقت فى سماء الأمة الإسلامية نهـضة علميـة عربيـة عارمة كانت الترجمة لحمتها وسداها، بدأت فى منتصف القرن الثـامن الميلادى واتسعت حركتها فى عصر الخليفة المـأمون (٧٨٦ ـ ٨٣٣م) فى القرن الثانى الهجرى والتاسع الميلادى حين أخذ المسلمون ينهلـون من موارد العلم كؤوسا مترعة ويترجمون كتب الإغريق والهند والفرس وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية؛ واستمرت هذه الحركة فى ازدهار ملحوظ حتى نهاية القرن الحادى عشر، وعن طريقها انتقـل إلى اللغة العربية تراث الأمم ذات الحضارات القديمة. وتلت ذلك نهضة علمية خصبة واسعة تميز الإنتاج فيها بالجدة والأصالة وبإضافات جـادة أضافها العلماء العرب إلى هذه التراجم من مبتكراتهم. وكان هذا نتيجـة تفاعل التراث الأجنبى الدخيل مع التراث العربى الأصيل. وقـد ذهـب بعض المستشرقين الغربيين مثل ويل ديورانـت إلـى أن الإسـلام قـد احتل مكان الصدارة والقيادة الفكرية والعلمية فى العالم طـوال خمـسة

قرون من الزمان بدأت بمنتصف القرن الثامن وانتهت بمنتصف القـــرن الثالث عشر الميلادى.

وإذا كانت أمة العرب قد اتصلت بالأمم ذات الحضارات وترجمت تراثها إبان يقظتهم فى عصر الإسلام الذهبى أيام بنى العباس فإن أوربـــا فعلت الشيء نفسه فى عصر النهضة التى بدأت منذ القرن الحادى عشر، وبلغت ذروتها إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وذلك بعد أن أفاقت من سبات عميق امتد عدة قرون ــ وحين استيقظت أوربـــا فـــى مطلع القرن الحادى عشر ارتدت إلى ماضيها وجدَّتْ فى إحيـــاء تراثـــه وحين أدركت أنها لا تجيد لغة أجدادها من اليونان لجـــأت إلـــى تـــراث العرب المسلمين وما نقلوه عن أمة اليونان وما أضافوا إليه؛ بـــدأوا فـــى نقله من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية التى كانت لغة العلم فى أوربا فى ذلك العصر. وتم ذلك فى حركتين من أوسع حركات الترجمة فى تاريخ النهضات؛ وبدأت الحركة الأولى فى صقلية وهى تحت الحكـــم العربـــى إبان النصف الأخير من القرن الحادى عشر الميلادى واستمرت قرنا من الزمان، وكان رائد هذه الحركة قـــسطنطين الإغريقـــى (١٠٨٧م). أمـــا الحركة الثانية فكانت فى إسبانيا وكانت أوسع نطاقا وأكثر شمولا، بدأت فى النصف الأول من القرن الثانى عشر وامتدت بضعة قـــرون، وكـــان رائدها مونسنيور رايموند مارتينى، رئيس أساقفة طليطلة، وفـــى مطلـــع القرن السابع عشر بدأ عصر بناءٍ وتجديدٍ وابتكارٍ استغرق مجالات الفكر فى اتجاهات عدة.

هذه لمحة خاطفة عن أهمية الترجمة فى إيقاظ أوربا من سباتها الذى طال قرونا من الزمان.

أما فى عالمنا العربى فقد اتسع نطاق حركة الترجمة ببداية اليقظة العلمية الإسلامية وبخاصة بعد إنشاء دار الحكمة التى تعهدها المأمون بالرعاية والنماء، وكانت تضم العديد من المترجمين من اليونانية والفارسية وغيرها ـ وكما يقول الدكتور الطويل فى مؤلفه القيم عن العرب والعلم فى عصر الإسلام الذهبى ـ كان المترجمون فى العادة يجيدون اللغة التى ينقلون عنها إجادتهم للغة التى ينقلون إليها، وكان أغلبهم يلتزمون الدقة ويتوخون الأمانة فيما ينقلون. ومن أبرز المترجمين فى ذلك العهد بل أبرزهم جميعا حنين بن إسحاق، الذى كان يجيد ثلاث لغات غير العربية هى الفارسية واليونانية والسريانية ـ وكان بشهادة المؤرخين جيد الأسلوب واضح المعنى وكان يستعمل المصطلحات العلمية بألفاظها الأجنبية أى بتعريبها مع شرحٍ لمعناها ـ وكثيرا ما نهض حنين بإصلاح أو إعادة ترجمات ابن البطريق عن اليونانية، وكان لا يجيدها برغم تمكنه من اللاتينية، وقام بالعمل نفسه مع ترجمات اصطفان بن باسيل.

ومما يؤثر عن حنين أيضا ـ كما يقول أستاذنا الكبير الدكتور إبراهيم مدكور ـ أنه انطلق بأمر الخليفة المأمون إلى القسطنطينية باحثا عن الكتب والمراجع وبوجه خاص عن مؤلفات جالينوس، ولا أظن أن

جالينوس أُحْيِيَ إلا على يديه وعلى أيدى من عـــاونوه مـــن متـــرجمين وتلاميذ ــ وإذا كانت القرون الوسطى المسيحية قد عرفت شيئا فى القرن الثالث عشر للميلاد عن الطب اليونانى إنما عرفته عن طريـــق الطـــب العربى ــ وإذا رجعنا إلى كتاب الفهرست لابن النديم لوجدنا طائفة قيمة من تلك الترجمات التى كانت دعامة الحركة الفكرية والعلمية فى القـــرن الثالث الهجرى أو العاشر الميلادى ــ وفى جو هذه الترجمة تخرج أكبر طبيب عربى هو أبو بكر الرازى ــ وجملة القول كان حنين بن إســـحاق ومدرسته خير من يمثل الثقافة اليونانية ومن قدمها إلى قراء العربية.

وجدير بالذكر أن سخاء الخلفاء والموسرين من محبى العلـــم فـــى معاملة هؤلاء المترجمين بلغ درجة عالية إلى حد أن حنين كان يتقاضى وزن ترجماته ذهبا ــ كان ذلك من منطلق تقدير عميق للترجمـــة ونقـــل تراث الأمم ذات الحضارات القديمة بعلومها ومعارفها إلى لغة العرب ــ وبالإضافة إلى حنين شيخ المترجمين فى عصره كان هنـــاك مترجمـــون آخرون أمثال يوحنا بن البطريق، وثابت بن قـــره، وقـــسطا بـــن لوقـــا البعلبكى، وجورجيس بن جبريل، ويوحنا ابن ماسويه وغيرهم.

ومن بين ما نقل من علـــوم الفـــرس الفلـــك والطـــب والهندســـة والجغرافيا، وعن علوم الهند الرياضيات والفلك والطب وحساب المثلثات وعلم النجوم والخرائط ، وعن علوم اليونان الطب والفلك والرياضـــيات وعلوم الفيزياء وعلوم الحياة ــ وقد تفاعلت كل هذه العلوم مع التـــراث

العربى فكان نتاجا اتسم بالأصالة والابتكار والعمق والشمول وحمل لواءه علماء أعلام أمثـــال الـــرازى (٨٦٥ – ٩٢٥م) وابـــن ســـينا (٩٨٠–١٠٣٧م) ولهم صورتان تزدان بهما القاعة الكبـــرى لمدرســـة الطـــب بباريس، والبيرونى (٩٧٣ – ١٠٤٣م) وابن الهيـــثم (٩٦٥ – ١٠٣٨م) الذى سبق فرانسيس باكون بقرون فى وضع المـــنهج العلمـــى للبحـــث وغيرهم ـــ بذلك كان هذا العصر عصر الإسلام الذهبى الذى ازدهـــرت فيه العلوم والمعارف وتألقت فيه نهضة فكرية امتدت خمسة قرون مـــن الزمان من القرن الثامن حتى القرن الثالث عشر الميلادى.

ومما يدعو إلى الأسى أن هذا العصر الذهبى من عصور الإســـلام أعقبه تراجع حضارى بتأثير الغزوات والغارات الأجنبية علـــى العـــالم العربى مما هيأ للاستعمار بعد ذلك أن يفرض سلطانه عليه سنين طويلة، وبذلك تقلص دور العالم العربى فى ريادته العلمية العالمية وفى أعمالـــه الخالدة فى مجال الترجمة إلى العربية.

قضية الترجمة فى مصر

وبالمثل شهدت مصر تراجعا حضاريا امتد لبـــضعة قـــرون إلـــى مطالع القرن التاسع عشر فى عصر محمد على، حـــين بـــدأت حركـــة للترجمة لم تلبث حتى اتسع نطاقها وازدهرت وحمل لواءها رفاعة رافع الطهطاوى وهو الشيخ الأزهرى الذى أُوفد إلى فرنـــسا عـــام ١٨٢٦م /

١٢٤١هـ، على رأس ثلاثة من الأئمة الوعاظ ليصحبوا البعثة التى أوفدها محمد على ليتعلم طلابها علوم الغرب رغبة منه فى النهوض بمصر، ولكن طموح الشيخ يأبى إلا أن يُقبل فى شغف ملحوظ على تعلم اللغة الفرنسية وأن يتتلمذ على بعض أساتذة باريس مثل شفالييه، وأن يجول بين علوم الغرب بقدر ما جال بين علوم العربية، وأن يجمع بين ثقافتين عريقتين كان للجمع بينهما فى فكره وعقله آثار بعيدة بعد عودته إلى مصر. وفى أثناء إقامته فى باريس ترجم رفاعه اثنى عشر كتابا ورسالة فى أصول المعارف، ومقدمة جغرافية طبيعية وعلم سياسة الصحة وفى علم الهندسة وغيرها، وكان يلتقى بعدد من المستشرقين أبرزهم سلفستر دى ساسى ، كوسان دى برسفال، ورينو وغيرهم، ليعرض عليهم نشاطه وترجماته.

وعاد الطهطاوى إلى مصر عام ١٨٣١م وهو يموج بآمال عريضة نحو آفاق رحبة من التقدم لمصرمثل الذى شهده واستوعبه فى الغرب، ورأى أن السبيل للاستفادة من علوم الغرب ومعارفه هو الترجمة. ومضى يعمل على إنشاء مدرسة الألسن عام ١٨٣٥م لإعداد طبقة من المترجمين الذين يتقنون اللغتين العربية واللغات الأوربية. وبعد أن تحقق أمله أخذ رفاعة مع تلاميذه يترجمون الكتب فى مختلف فروع العلم والمعرفة حتى بلغ عدد ما ترجموه نحو ألفين من الكتب والرسائل فى الجغرافيا والفلك والتاريخ والأدب والاجتماع والصحة والهندسة والمعادن وفنون الحرب والصناعة وغيرها، وفى عام ١٨٤١م تمت الاستعانة

بخريجى مدرسة الألسن فى إنشاء قلم للترجمة، وضم أربعة أقسام: الأول لترجمة الرياضيات، والثانى للعلوم الطبية والطبيعية، والثالث للعلوم الاجتماعية، والرابع للترجمة التركية.

وكان منهج الطهطاوى فى ترجمة المصطلحات أو المفردات الأجنبية هو أن يحدد فى ذهنه معانى هذه المفردات ثم ينقب عن ما يتلاءم معها من المفردات العربية، وكان فى جهوده هذه يلجأ إلى المعجم العربى فيأخذ منه ما يصح معناه ليكون ترجمة للمعنى الأجنبى، وفى بعض الأحيان يلجأ إلى اللغة الدارجة فى مصر فيستخدمها، وفى أحيان أخرى يلجأ إلى تعريب المصطلح الأجنبى فيضعه بنصه مع بعض تعديل يتلاءم مع النطق العربى. وكان من رأيه أن هذه المصطلحات المعربة يمكن أن تأخذ طريقها إلى اللغة العربية كغيرها من المصطلحات المعربة عن اليونانية والفارسية وغيرهما.

ومسايرةً لحركة الترجمة التى بدأت فى ذلك العصر قامت كلية الطب والصيدلة فى عهد رئيسها كلوت بك عام١٨٣٣م بترجمة (٨٦) ستة وثمانين كتابا أجنبيا فى عدة تخصصات لتعليم الطب والصيدلة باللغة العربية. وبعد نجاح هذه الكتب فى مصر نجاحا يناسب عصرها وجدت طريقها كذلك إلى تركيا والجزائر وتونس ومراكش ــ كما قام عدد من المبعوثين الأوائل بعد عودتهم من بعثاتهم بالخارج من فرنسا بالتدريس فى المعاهد العليا باللغة العربية، وقدموا مع غيرهم ممن عاصروا

مدرسة الطهطاوى رصيدًا كبيرًا من ترجماتهم ومؤلفاتهم بالعربية، منهم على سبيل المثال محمد على البقلى الذى ألف وترجم فى الجراحة، ومحمد الشافعى فى الأمراض الباطنة، ومحمد ندى فى الحيوان والنبات والفيزياء والچيولوچيا، وعلى رياض فى الصيدلة والسموم، ومحمد الدرى فى الأمراض الوبائية، ومحمد بيومى فى الحساب والجبر والهندسة الوصفية، ومحمود الفلكى الذى عاد من بعثته من فرنسا عام ١٨٥٩م وترجم وألف فى الفلك والرياضيات.

وفى عام ١٨٧٣م مضى الطهطاوى شيخُ المترجمين فى عصره إلى جوار ربه بعد أن نبَّه الأذهان فى مصر إلى الترجمة وعظَّم شأنها فى الارتقاء بالأمة وفتح النوافذ على الثقافة والمعارف الأوربية وعلوم من سبقونا فى مضمار الحضارة الحديثة، وبعد أن خلف الكثيرين من تلاميذه وحواريه ليواصلوا الرسالة ولتستمر الترجمة رافدا للثقافة المصرية مواكبا لليقظة الفكرية والاجتماعية، فظهرت فى ذلك الوقت مجلة المقتطف عام ١٨٨٥م وكانت قد أنشئت فى بيروت عام ١٨٧٦م قبل انتقالها إلى القاهرة، ولم يكن تحريرها قائما فى أكثره إلا على الترجمة لاهتمامها بنقل علوم الغربيين وصناعاتهم ووسائل تقدمهم العلمى إلى الوطن العربى، وقد استمر المقتطف فى نشاطه هذا قرابة خمسين عامًا.

وفى عام ١٩١٤م أنشئت لجنة التأليف والترجمة والنشر فى مصر

التى كانت تضم نخبة من أساطين العلم والفكر والثقافة، وقد زودت هذه اللجنة على مدى ثلاثين عاما ونيف المكتبة العربية بطائفة كبيرة من التراجم والمؤلفات. كذلك قامت الإدارات الثقافية بوزارة التربية والتعليم التى تَوالَى على رئاستها والإشراف عليها عدد من أقطاب الحركة الفكرية والثقافية أمثال الدكتور طه حسين، والدكتور سليمان حزين، والدكتور حسين مؤنس وغيرهم ــ قامت هذه الإدارات الثقافية بجهود فائقة فى ميدان الترجمة التى خُصِّصتْ لها إدارة أصدرت عدة مئات من الكتب معظمها فى الأدب والفن وأقلها فى مجال العلوم، ويتعاون مع الإدارة الثقافية بالجامعة العربية. وبدءًا من عام ١٩٥٥م صدرت ترجمات عربية أذكر منها من الكتب العلمية كتاب تطور الزراعة فى الشرق الأوسط ترجمة الأستاذ مصطفى نظيف وراجعه الأمير مصطفى الشهابى عدا قصة الحضارة تأليف ول ديورانت والتى ترجمت وصدر منها (٢٢) اثنان وعشرون جزءا.

وقد توجت الإدارة الثقافية بوزارة التربية والتعليم جهودها بإنشاء مشروع الألْف كتاب بإشراف الدكتور حسين مؤنس فى ١٦ أغسطس من عام ١٩٥٥م لتشجيع الترجمة وإصدار كتب مبسطة مترجمة على غرار ما يصدر فى السلاسل الأوروبية الشهيرة (مثل سلسلة بنجوين وغيرها). وقد نجح المشروع نجاحا كبير وأوشك عدد الكتب التى صدرت عنه على الألف كتاب. ومن الأسف الشديد أن توقف هذا المشروع بعد الستينات مثل غيره من الجهود التى سبقته، ولو أنه يبدو أن

هيئة الكتاب قد بدأت حديثا مجموعة الألف كتاب الثانية. وانتهج المجلس الأعلى للثقافة هذا النهج؛ فقد احتفل بإصدار الألف الأولى من المشروع القومى للترجمة فى شهر فبراير ٢٠٠٦م.

مما تجدر الإشارة إليه أنْ واكبت هذه الجهود إن لم تكن سبقتها جهود أخرى لتشجيع ترجمة الكتب العلمية بالذات. ورحم الله أستاذنا المجمعى الدكتور أحمد زكى، عالم الكيمياء واللغوى الأديب حين بدأت دعوته فى الثلاثينيات بضرورة البدء فى ترجمة أمهات الكتب العلمية إلى اللغة العربية كخطوة نحو تعريب التعليم الجامعى ــ ومن تابع كتاباته فى مجلة العربى رأى كيف كانت اللغة العربية بترائها وعطائها طوع قلمه ويراعه يطرق بها مختلف الموضوعات العلمية ويصف بها المستحدث من علوم العصر فى مكنة واقتدار. وهكذا فعل زميله العلامة الدكتور على مشرّفه، منذ ولى عمادة كلية العلوم بجامعة القاهرة كان يقول إننا فى أشد الحاجة إلى استعادة عصر المأمون، ومضى يختار الكتب المقررة وهى التى يقولون عنها فى الأزهر " كتب المتون" ويوزعها على أساتذة الكلية، ويواصل هو بجهد فائق مراجعة ما يترجمون فى الفيزيقاء والفلك والرياضيات. وقد صدرت هذه الكتب وأخذت طريقها فى حينها إلى المكتبة العلمية العربية ــ وقد هبط الحماس لهذه الحركة بعد وفاته فى مطلع الخمسينيات.

وهناك جهد مماثل قام به المجلس الأعلى للعلوم عند إنشائه عام

١٩٥٦م حين وضع برنامجا لترجمة أهم الكتب المرجعية فى العلوم الأساسية كإسهام فى تعريب التعليم الجامعى وقدم بالفعل أكثر من ثلاثين كتابا تعد من المراجع العلمية الرئيسية فى علوم الكيمياء والفيزياء والحيوان والنبات والحشرات والرياضيات وغيرها، وزود الكثير منها بكشافات تضم المصطلحات العلمية الأجنبية ومقابلاتها باللغة العربية. ومن المحزن حقا أنه لم يمض على هذا العمل والإنجاز بضع سنوات حين ألغى المجلس الأعلى للعلوم عام ١٩٦١م حتى أهملت هذه الكتب وطواها النسيان، إذ إن عدم التدريس بالعربية قد وأد الكثير منها وأجهض الجهود المضنية التى بذلت فى سبيل إنجازها.

وتجربة أخرى شبيهة قامت بها مؤسسة فرانكلين فى مصر بدأتها فى الستينات حين أخرجت إلى المكتبة العلمية العربية عدة مئات من الكتب المترجمة، وبالمثل طواها النسيان بعد أن توقف نشاط هذه المؤسسة ورحلت عن مصر.

ومما يشيع فى النفس بعض الأمل وسط هذا الأسى على ما فات ما يقوم به مركز الأهرام للترجمة العلمية فى الوقت الحاضر ومنذ سنوات من نشاط فى هذا المجال، إذ يقوم على ترجمة كتب فى الرياضيات والكيمياء والتكنولوجيا والطب وعلوم الأحياء والحاسب الآلى وغيرها، وقد أنجز منها أعدادا كبيرة.

كما تجدر الإشارة إلى الجهود التى تقوم بها كلية الألسن وغيرها من المعاهد التى تُدَرِّس مادة الترجمة بأقسامها ولكن نريدها قادرة تماما على تدريب وتخريج المترجم الكفء الذى أُعد إعدادًا كافيًا للاضطلاع بمهمة الترجمة على أعلى مستوى، وبخاصة الترجمة العلمية التى نحن فى أشد الحاجة إليها فى هذا العصر، عصر العلم — ولكنه مما يثلج الصدر الدعوة التى يتبناها المجلس القومى للثقافة والإعلام بشأن ضرورة إنشاء معهد لتخريج المترجمين، وإحياء دور الحكمة لترجمة الثقافات العالمية — وكذلك توصية مجمع اللغة العربية فى مؤتمره الماضى (١٩٩٣م) فى دورته التاسعة والخمسين بضرورة إنشاء هيئة علمية لتعريب العلوم وإصدار معاجم جديدة فى فروع العلم الحديثة والمستحدثة.

وفى مجال ترجمة المصطلحات ونقلها إلى اللغة العربية لست فى حاجة إلى تأكيد الدور الرائد الذى يقوم به مجمعنا فى هذا المجال شأنه فى ذلك شأن أشقائه فى الوطن العربى، وقد أنجز مجمعنا حتى الآن ما يربو على مائة ألف مصطلح غالبيتها العظمى مصطلحات مترجمة، وأقل القليل معرَّب، وأكثر من نصفها أى (٥٥) خمسة وخمسين ألف مصطلح من المصطلحات العلمية تضمنتها عشرة معاجم علمية متخصصة. وهناك غيرها تحت الإعداد — وغنى عن البيان أن هذه الثروة من المصطلحات العلمية مع غيرها من مصطلحات تزخر بها معاجم أخرى كمعاجم شرف والمعلوف وأحمد عيسى ومصطفى الشهابى والمورد للبعلبكى وغيرها

ستبقى جميعا معينا زاخرًا يغذّى حركة تعريب العلم والتعليم التى يتصدى لها مؤتمر المجمع فى هذه الدورة المباركة.

سادتى العلماء الأجلاء :

على الرغم من بارقات الأمل التى أشرت إليها فإن الراصدين لحركة الترجمة بمعناها الواسع يرون تراجعا ملحوظا فى تيارها ونشاطها منذ الستينات من هذا القرن لا فى مصر وحدها بل لا أجاوز الحقيقة إذا قلت إنه كذلك فى الوطن العربى.

وقد حفلت الصحف فى السنوات الأخيرة بالدعوة إلى الاهتمام بقضية الترجمة وإحياء حركتها، وقد تصدت لها أقلام عدد من الكتاب وكتبوا مقالات عدة حولها باعتبارها إحدى الدعامات لنهضة علمية شاملة فى عالم يتقدم بخطى سريعة فى مختلف المجالات العلمية والتكنولوچية ونريد اللحاق به. ولأهمية الترجمة يحُتفل بيوم المترجم فى الثلاثين منسبتمبر كل عام. كما أنشىء اتحاد دولى للمترجمين بدأ أعماله عام ١٩٥٣م ويعقد مؤتمرا كل ثلاث سنوات ليناقش دراسات وبحوثا تتناول موضوع الترجمة والمترجمين، وقد عقد هذا الاتحاد مؤتمره الأخير (الثالث عشر) فى مدينة برايتون بإنجلترا فى المدة من ٦ إلى ١٣ أغسطس ١٩٩٣م وشارك فى أعماله مترجمون من مصر وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين ولبيبا والجزائر وتونس والمغرب بالإضافة إلى مترجمين عرب مقيمين فى النمسا وهولندا وإنجلترا وأستراليا.

ومن منطلق اهتمام كثير من الدول بموضوع الترجمة أقامت اليابان جهازًا ضخمًا للترجمة من شتى اللغات الحية لمسايرة التيارات الفكرية العالمية، وبهذا هيأت لأهلها روافد خصبة من المعرفة الإنسانية وأحرزت تقدما أذهل العالم فى مختلف المجالات ــ كما أن دولة صغيرة مثل المجر (١٠مليون نسمة) أنشأت هيئة قومية عليا للترجمة منذ ١٩٤٦م ودارا خاصة للنشر تعنى بترجمة ونشر عيون التراث الإنسانى الفكرى والأدبى والعلمى.

وفى إحصائية لمنظمة اليونسكو عن تراجع الترجمة فى الوطن العربى ذُكر أن نصيب هذا الوطن من إنتاج الكتب المترجمة فى عام ١٩٧٠م كان ١١ فى الألف بالنسبة لما أنتج فى سائر أنحاء العالم، وكان نصيب الدول الأفريقية ٧ فى الألف ودول نامية أخرى ٦ فى الألف، أما فى عام ١٩٨٦م أى بعد ستة عشر عاما تراجع ما ترجم فى الوطن العربى إلى ٦ فى الألف لتحتل بذلك المركز الأخير بينما تقدمت الدول الأفريقية إلى ١٢ فى الألف والدول النامية الأخرى إلى ١٣ فى الألف. وليس التراجع فى الكم فقط بل فى الكيف أيضا. وقد تقلص الإنتاج المترجم فى مجال العلوم الأساسية إلى درجة لافتة للأنظار.

وفى دراسة إحصائية أخرى مماثلة عن ما تصدره بعض الدول من كتب مترجمة ومؤلفة كل عام ذكر أن اليابان (نحو ١١٥ مليون نسمة) لا تزال تحتل المركز الأول فى العالم للسنة الثالثة عشرة على التوالى

بإصدارها نحو ٣٢ ألف كتاب أو عنوان جديد سـنويا. وتحتـل روسـيا (١٢٠ مليون نسمة) المرتبة الثانية بإصدار ٢٨ ألف كتاب فـى العـام، تليها الصين(١,٢ مليار نسمة) ٢٧ ألف كتاب، ثم ألمانيا، ثـم الولايـات المتحدة. وتصدر تايوان ١٤ ألف كتاب، سنويا منها ١١ ألـف عنـوان مترجم، وتصدر هولندا ٦ آلاف عنوان منها ٤ آلاف عنوان مترجم.

أما الدول العربية (٢٢ دولة :١٥٠ - ١٧٠ مليون نسمة) فيـصل مجموع ما تصدره تسعة آلاف كتاب جديد سنويا فى الوقت الذى يبلغ ما تصدره إسرائيل (٣,٥ مليون نسمة) عشرة آلاف كتاب بالعبرية سـنويا معظمها مترجم عن لغات أخرى.

ومع ذلك فليس ببعيد أن يدور الزمن دورته وتعود للعالم العربـى القيادة والريادة الفكرية كما كان، وأن يحتل المكان اللائـق بـه تحـت الشمس.

مقترحات وتوصيات:

مستعينا بما صدر عن المجالس القومي المتخصصة من توجيهـات وتوصيات فى موضوع الترجمة ومستعينا بما قرأت فى مختلف المصادر وبما تأملت واستوعبت أقول:

إن موقع مصر الجغرافى والحضارى بين قارات ثـلاث وبحـرين عظيمين يجعل اتصالها بالعالم الخارجى أمرًا طبيعيًا يؤكد ذاتيتها الثقافية

من جهة ويحقق طموحها لمواكبة الإيقاع السريع الذى نشهده اليوم فى حركة العلم والبحث العلمى وملاحقة التطورات الحديثة فى مجال العلم والتكنولوچيا. ومن هنا يصبح للترجمة أهمية خاصة تقتضى التفكير فى وضع سياسة عامة تتجاوز الجهود الفردية إلى تنظيم جماعى يخلق تيارًا مستمرًا للترجمة ونقل مختلف العلوم والمعارف إلى اللغة العربية.

ولتحقيق ذلك يمكن التوصية بما يلى:

أولا :ـــ أن توجه الدولة عناية خاصة لإنشاء مجلس أو هيئة عامة للترجمة فى مصر تضم صفوة من العلماء والمفكرين تقوم بوضع خطة قومية للترجمة تستهدف :

١- حصر ما ترجم إلى اللغة العربية من مختلف العلوم وتصنيفه وتقويمه ويمكن الاستعانة فى ذلك بالوسائل الإلكترونية الحديثة (الحاسب الآلى أو الحاسوب) تمهيدا لإنشاء بنك للمعلومات الخاصة بالترجمة من حيث تخزينها والتعامل معها واسترجاعها.

٢- تحديد المجالات والأولويات لما يمكن ترجمته من الإنتاج العلمى والفكرى إلى العربية.

٣- توفير الأدوات الأساسية للترجمة من معاجم ومصطلحات وبما قامت به المجامع اللغوية فى هذا المجال.

٤- العمل على الاعتراف بمهنة الترجمة بين المهن العلمية المتخصصة

التى يؤهل أصحابها تأهيلا علميًا يضمن إيجاد حركة موسعة وتيارًا مستمرًا لها. كما يعمل المترجمون على تكوين اتحاد لهم يرتبط بالاتحاد الدولى للمترجمين وكذلك العمل على الحصول على حق الترجمة وفقًا للاتفاقية الدولية لليونسكو لحقوق التأليف.

ثانيًا :ــ العمل على تنسيق جهود الترجمة مع البلاد العربية والدعوة إلى إنشاء مركز عربى لنقل علوم وثقافات العالم إلى اللغة العربية.

ثالثًا :ــ العمل على إنشاء معهد قومى لتدريب وتخريج المترجمين الأكفاء القادرين على الاضطلاع بمهة الترجمة على أعلى مستوى وبخاصة فى الترجمة العلمية مع دعم أقسام الترجمة فى الكليات والمعاهد الخاصة بذلك.

سيدى الرئيس ــ سادتى العلماء:

هذه لمحة سريعة أو عرض متواضع لقضية الترجمة فى ماضيها وحاضرها وأهميتها فى نقل العلوم إلى اللغة العربية فى مصر مع رؤية مستقبلية لما يمكن أن نفعله للنهوض بها ولتعود إلى سابق مجدها وعظمتها أيام المأمون يوم تسنَّمنا القمة وعلمنا الآخرين، والله ولى التوفيق.

المراجع

١- المجامع العربية والمصلح العلمى – للدكتور إبراهيم بيومى مدكور. مؤتمر تعريب التعليم الجامعى والعالى، مطبوعات اتحاد الجامعات العربية بالقاهرة ١٩٨٠م.

٢- الترجمة والنقل إلى العربية – للدكتور منصور فهمى. مجلة مجمع اللغة العربية العدد (١٢).

٣- الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١- ١٨٧٣م)، كتاب عن ندوة نظمتها كلية الألسن جامعة عين شمس ١٩٧٦م به ثمان عشرة موضوعا منها: رفاعة والألسن – للدكتور عبد السميع محمد أحمد، رفاعة والترجمة – للأستاذ أحمد خاكى.

٤- تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه – للدكتور عبد الحليم منتصر، دار المعارف ١٩٦٧م.

٥- قضية تعريب التعليم العالى والجامعى فى مصر – للدكتور محمود حافظ، مجلة مجمع اللغة العربية العدد (٥٦) ١٩٨٥م.

٦- نقل العلوم إلى العربية – للأستاذ مصطفى نظيف، مجلة مجمع اللغة العربية العدد (٧).

٧- نشر الكتب العلمية باللغة العربية – للدكتور كامل منصور ، كتاب المجمع المصرى للثقافة العلمية العدد (٣١) لسنة ١٩٦١م.

٨- معاجمنا العلمية المتخصصة – للدكتور محمود حافظ، مجلة مجمع اللغة العربية العدد (٧٦).

٩- نحو خطة مستقبلية للترجمة فى مصر وموضـوعات أخـرى عـن الترجمة- للدكتور توفيق الطويل والدكتور إبراهيم زكى خورشيد وآخرين، المجالس القومية المتخصصة (شعبة الثقافة ١٩٨٤م).

١٠- مقالات عن قضية الترجمة فى مصر - للأسـتاذ سـامى خـشبة وأساتذة آخرين، صحيفة الأهرام مارس ١٩٩٠م، أكتوبر ١٩٩٣م، يناير ١٩٩٤م.

قضية التعريب فى مصر (*)

من بين الأهداف التى وضعها مجمع اللغة العربية بالقاهرة نصب عينيه منذ إنشائه العمل على تعريب العلم وذلك بوضع المصطلحات العلمية والمعاجم والاهتمام بالترجمة، وذلك من منطلق واع مستنير يعد تعريب العلم والتعليم فى مصر قضية وطنية لها أبعادها العلمية والاجتماعية والثقافية، وهى وثيقة الصلة بلغتنا القومية وكياننا العربى وكذلك بمستقبل الأجيال الصاعدة بمختلف مراحل التعليم فى مصر.

وفى سبيل ذلك كان موضوع تعريب العلوم والتعليم بؤرة الاهتمام

(*) ألقى موجز عن هذه المحاضرة فى ندوة بمدينة الرباط بالمغرب نظمها اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية سنة ١٩٨٥م تحت عنوان: " تعريب التعليم العالى والجامعى "، ونشر هذا الموجز بمجلة المجمع فى العدد (٥٦) سنة ١٩

٨٥م وفى كتيب بالمجمع تحت عنوان: "آراء فى قضية التعريب ".

ـ وألقيت كاملة فى الجلسة السادسة من مؤتمر المجمع الدورة الثالثة والستين يوم الأربعاء ١٠ من ذى القعدة سنة ١٤١٧هـ، الموافق ١٩ من مارس سنة ١٩٩٧م. ونشرت بمجلة المجمع فى العدد (٨٤) سنة ١٩٩٩م، كما طبعت فى كتيب تحت عنوان: " قضية التعريب فى مصر".

فى المؤتمرات التى يعقدها المجمع منذ سنوات ــ وها هو يعيد الكرة هذا العام ويجعل التعريب الموضوع الرئيس لهذا المؤتمر والذى يتصدى لــه علماء المجمع والعلماء الأشقاء من المجامع اللغوية العربيــة بالدراســة والبحث والاستقصاء إيمانا بضرورته أو حتميته التى تزداد يوما بعد يوم بعد ازدياد الجفوة بين اللغة العربية ودارسيها والناطقين بها، وما يبدو فى الأفق من أزمة حادة تتمثل فى ابتعاد أو عزلة اللغة العربيــة بمفرداتهــا وكلماتها وأصالتها عما يجرى اليوم على الألسنة فى كل مكان ــ وكذلك ما يبدو من ترد وهبوط فى مستوى الخريجين والتعلــيم فــى مراحلــه المختلفة ــ وأيضا ما نشهده اليوم من انتشار مدارس اللغات الأجنبية فى مصر والتى لا تولى اللغة العربية فى مناهجها إلا أقل القليل، وهو أمــر جد خطير على مستقبل أبنائنا فكريا وثقافيا واقتصاديا واجتماعيا.

والدعوة إلى التعريب واتخاذ اللغة العربية لغةً للعلم تنطلــق مــن وعى أصيل يستشرف الآفاق الرحبة لهذه اللغــة، ويــرى فــى قوتهــا وحيويتها وثرائها وشمولها قدرة فائقة على استيعاب التطور المتلاحق فى شتى قطاعات العلم والمعرفة وعلى مواكبة الإيقاع السريع فــى حركــة العلم والتقدم العلمى والتكنولوچى، وكذلك على مكنتهــا الهائلــة علــى التعامل مع ذلك الفيض الغزير من المصطلحات العلمية الجديــدة التــى تزخر بها العلوم الحديثة والمستحدثة التى انبثقت من ثــورة الاتــصالات والإلكترونيات وثــورة المعلومــات والحاســبات والهندســة الوراثيــة والتكنولوچيا الحيوية وعلوم الفضاء والبيئة وغيرها.

ومبعث الاهتمام أيضًا بالتعريب ونقل العلوم إلى اللغة العربية يستمد جذوره من تلك النهضة العلمية الإسلامية التى تألقت فى سماء الأمة العربية وبلغت أوجها فى عصر الخليفة المأمون (٧٨٦ – ٨٣٢م) حين أخذ المسلمون ينهلون من موارد العلم ويترجمون الكتب الإغريقية والسريانية والفارسية، وينقلون إلى اللغة العربية مختلف الذخائر العلمية وبذلك انتقل إلى لغة العرب تراث الأمم ذات الحضارات القديمة، وتلت ذلك نهضة علمية خصبة واسعة تميز الإنتاج العربى فيها بالجد والأصالة وبإضافات جادة أضافها عدد من العلماء الأعلام العرب إلى هذه التراجم من مبتكراتهم. وكان هذا نتيجة تفاعل التراث الأجنبى الدخيل مع التراث العربى الأصيل ــ كان هذا العصر عصرا ذهبيًا بالنسبة للغة العربية لغة للعلم زخرت بآلاف المصطلحات والمقابلات والمأثورات ــ وما زلنا نحن المشتغلين بالعلوم ننهل حتى اليوم من نبعهم الفياض كؤوسا مترعة بالعلم والمعرفة بلغة عربية جزلة معطاءة اتسعت آفاقها الرحبة لمختلف العلوم والفنون...

وأحيانا ما يقف المرء معجبا بذلك الإنتاج الغزير لهؤلاء العلماء الأعلام أمثال ابن سينا (٩٨٠- ١٠٣٧م) وله مئتان وستة وسبعون كتابا، والرازى (٨٥٤ – ٩٣٢م) وله (٢٢٤) مئتان وأربعة وعشرون كتابا، والكندى (١٨٥ – ٢٥٢هـ) وله (٢٣٠) مئتان وثلاثون كتابا، وابن الهيثم (٩٦٥ – ١٠٣٨م) وله (٢٠٠) مئتا كتاب.

الدعوة إلى التعريب فى مصر:

وفى مصر ترجع الدعوة إلى تعريب العلوم والعمل فى سبيله إلى سنوات بعيدة خلت حين جدت مصر فى نقل العلوم الحديثة إلى العربية فى عصر محمد على وما بعده بغية استعمالها فى التدريس فى المدارس العليا. ومن هذه الجهود ما قامت به مدرسة الطب والصيدلة عام ١٨٣٣م من ترجمة (٨٦) ستة وثمانين كتابًا أجنبيًا فى عدة تخصصات لتعليم الطب والصيدلة. ولم تلبث هذه الكتب بعد نجاحها أن أخذت طريقها إلى تركيا والجزائر وتونس ومراكش.

كما قام عدد من المبعوثين الأوائل بعد عودتهم من بعثاتهم فى فرنسا بالتدريس فى المعاهد العليا باللغة العربية وقدموا إلى مكتبتنا العلمية رصيدًا كبيرًا من كتبهم ومعرباتهم ومؤلفاتهم نذكر منهم على سبيل المثال :

أحمد حسن الرشيدى أحد أعلام مدرسة الطب المصرية، ومن أعماله ومؤلفاته: رسالة عن تطعيم الجدرى، ضياء النيريين فى مداواة العينين، طالع السعادة والإقبال فى علم الولادة، الدراسة الأولية فى الجغرافيا الطبيعية، وأيضا محمد على البقلى الذى ألَّف كتبًا عربيةً فى الجراحة، محمد الشافعى فى الأمراض الباطنة، محمد ندى، ومن كتبه وترجماته: حُسْن البراعة فى فن الزراعة، الحجج البينات فى علم الحيوانات، نخبة الأذكياء فى علم الكيمياء، الأزهار البديعة فى علم

الطبيعة. وعلى رياض فى الصيدلة والسموم، ومحمد الدرى فى الأمراض الوبائية، ومحمد بيومى فى الحساب والجبر والهندسة الوصفية، ومحمود الفلكى الذى عاد من بعثته فى فرنسا عام ١٨٥٩م وتقلَّد بعد ذلك منصب الأستاذية فى العلوم الرياضية بمدرسة المهندسخانة – هذا بالإضافة إلى ذلك الرصيد الضخم من الكتب والتراجم والمؤلفات باللغة العربية التى قام بها أو أشرف عليها شيخ المترجمين فى عصره رفاعة رافع الطهطاوى (١٨٠١ – ١٨٧٣م) ومعاونوه فى العلوم الهندسية والرياضية والچيولوچية والفلكية والطبية والجغرافية وغيرها.

ومما هو جدير بالذكر أن عددًا من اللغويين والمتخصصين كانوا يعاونون هؤلاء العلماء فى تعريبهم وترجماتهم ومؤلفاتهم وينقحون أعمالهم ويثرونها بمقابلات من التراث العلمى العربى للمصطلحات العلمية الأجنبية كما حدث فى أول معجم طبى اضطلع به عمر التونسى مع أعلام من مدرسة الطب هو معجم " الشذور الذهبية فى الألفاظ الطبية".

وبذلك تجمعت فى مصر إبان النصف الأول من القرن التاسع عشر وما بعده بسنوات حصيلة ضخمة من علوم الغرب نقلها إلى اللغة العربية هؤلاء العلماء وأضافوا إليها من مبتكراتهم ومؤلفاتهم ومن التراث العلمى العربى، مما ساعد فى حركة التنوير وتدريس العلوم فى المدارس والمعاهد فى ذلك الوقت بلسان عربى مبين.

ولا شك أن ازدهار حركة التعريب والترجمة كانت لهـا اليـد الطـولى فى هذه النهضة العلمية التى سادت فى ذلك العصر.

ولكن مما يدعو إلى الأسى أن هذه المسيرة الوثابة فـى تعريـب علوم الغرب ونقلها إلى اللغة العربية قد توقفت بعد ذلك حين نكبت مصر بالاحتلال البريطانى عام ١٨٨٢م وجثم على صـدرها لـسنوات عـدة وعزلت اللغة العربية عزلا تاما عن تدريس العلوم الحديثة التى فـرض المستعمر دراستها بلغته، وقد مهد لهذا الانقلاب ومسايرته ترسيخٌ لفكـرة عجز اللغة العربية عن تدريس أى علم حديث وملاحقة التقـدم العلمـى، وقد روَّجَ لهذه الدعوة عدد من المثقفين قبيل الثورة العرابيـة، واحتـدم الصراع بين حماة الشخصية الوطنية والدعاة إلى لغة أجنبية، وقـد ثـار ذلك الشعور الوطنى الذى ظل يعتمل فى صدور الـوطنيين المخلـصين الذين رفضوا التخلى عن لغة الأمة والتفريط فى لسانها، وعلى الرغم من ذلك عجز الضمير الوطنى عن التصدى لفرض اللغـة العربيـة علـى المجال العلمى، ولكن لم يقف علماؤنا مكتوفى الأيدى أمام هذا الوضـع المثير فقامت دعوة حمل لواءها عبد الله النديم فى مجلة الأسـتاذ عـام ١٨٩٢م للمضى فى تعريب المصطلحات العلمية لاستخدامها فى تعلـيم العلوم الحديثة، ووجدت هذه الدعوة استجابة عملية فى اجتمـاع رأَسَـه محمد توفيق البكرى فى أوائل ١٨٩٣م وحضره عدد من أئمـة الكتـاب والعلماء فى ذلك العصر ووضعوا لائحة لمجمع لغوى علمية وتدارسـوا فى سبع جلسات، ومن بين ما تدارسوه عدد من المـصطلحات العلميـة.

وفى العام نفسه (١٨٩٣م) ظهرت مجلة "المهندس" وقدمت تجربة عملية لكتابة البحوث العلمية باللغة العربية الفصحى دحضًا للقائلين بعجزها فى مجال البحث والتدريس، ثم تتابعت الجهود بعد ذلك فى هذا السبيل إلى أن أسست الجامعة المصرية الأولى الأهلية عام ١٩٠٨م.

إنشاء الجامعة المصرية:

بدأ التفكير فى إنشاء الجامعة مع مطلع القرن العشرين ثم تبلورت الفكرة نتيجة الوعى الثقافى والسياسى فى عام ١٩٠٨م حين تأسست الجامعة الأهلية واقتصرت الدراسة فيها على بعض فروع الأدب والفلسفة وكان قيامها ترسيخاً لفكرة الجامعة مشعلا للتنوير ومنارًا لنشر العلم والمعرفة فى البلاد، ثم تحولت إلى جامعة حكومية ــ الجامعة المصرية فى عام ١٩٢٥م، وكانت بذلك فاتحة نهضة علمية وثقافية حديثة فى مصر. وكان التدريس أساسا باللغة العربية التى استعادت مكانتها مرة ثانية، وكما يقول أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح: قد استدعت الضرورة فى المراحل الأولى من إنشاء الجامعة استقدام عدد قليل من العلماء الأجانب والمستشرقين للتدريس بالجامعة فى بعض العلوم، وكانت تترجم محاضرات هؤلاء إلى اللغة العربية وتلخص للطلاب، وفى السنوات التالية أخذ عدد المصريين العائدين من بعثتهم بالخارج يزداد ازديادًا مطردًا، ولم يلبث هؤلاء أن تولوا مهام التدريس بالجامعة فى معظم الكليات والمعاهد العليا باللغة العربية باستثناء بعض الكليات.

ومع تطور النهضة العلمية والتعليمية واتساعها فى مصر فى الخمسين سنة الأخيرة أصبح لدينا فى مصر فى الوقت الحاضر (٢٥) خمس وعشرون جامعة بالإضافة إلى جامعة الأزهر، ولبعض هذه الجامعات فروع جامعية تضم عددًا من الكليات المتخصصة، وإلى أن تكتمل كلياتها ستصبح فى وقت قريب جامعات إقليمية جديدة قائمة بذاتها ــ وتضم هذه الجامعات مئتين وخمس عشرة (٢١٥) كليةً ومعهدًا جامعيًا يَدْرس بها قرابة المليون ونصف طالب، وذلك بالإضافة إلى (٣١) واحد وثلاثين من المعاهد العليا التابعة لوزارة التعليم ويدرس بها (٤٠٠,٠٠٠) أربعمائة ألف طالب، وبالجامعات المصرية أيضا أكثر من مئة ألف من طلاب الدراسات العليا.

أما جامعة الأزهر فبها أكثر من عشرين كلية تضم ما يزيد على مئة ألف من الطلاب و(٩٠٠٠) تسعة آلاف من طلاب الدراسات العليا، وكل هذه الإحصاءات عن العام الجامعى ٢٠٠٤ ــ ٢٠٠٥م.

وبالإضافة إلى هذه الجامعات الحكومية توجد الآن بمصر (١٠) عشر جامعات خاصة وأكثر من (٢٠٠) مئتين من مراكز ومعاهد البحث العلمى.

وقد شهد ربع القرن الأخير فى مصر الجانب الأكبر من هذه الزيادة الهائلة فى أعداد الطلاب والكليات والمعاهد، وازدادت تبعا لذلك

أعداد أعضاء هيئة التدريس بالجامعات ــ ومن بين هؤلاء الطلاب نحــو (٥٠٠,٠٠٠) نصف المليون من الطلاب يدرســون مقــرراتهم باللغــة الإنجليزية، وهم طلاب كليات العلوم والهندسة والطب البــشرى وطــب الأسنان والصيدلة والطب البيطرى والمعهد العالى للتمــريض ومعهــد العلاج الطبيعى، ويقوم بالتدريس لهم نحو عشرين ألفــا مــن الأســاتذة، والأساتذة المساعدين، والمدرسين، والمدرسين المساعدين، والمعيــدين، وذلك بخلاف أعداد أعضاء هيئة التدريس بجامعة الأزهر.

وهناك قلة قليلة من المقررات فى بعض هذه الكليات تدرس باللغة العربية ــ كما سيتضح فيما بعد ــ وجملة القول أن نحو ٣٠٪ من مجموع طلاب المرحلة الجامعية الأولى فى مصر ونحو ٥٠٪ من مجموع أعضاء هيئة التدريس فى هذه المرحلة يَدْرسون ويُدَرِّسُون باللغة الإنجليزية فى الوقت الحاضر، إذ تجذب الأستاذ المادة العلمية المتاحة فى مراجعها العلمية الأجنبية ، ويخشى استخدام اللغة العربية فيحتاج إلى جهود مضاعفة فى الترجمة والإعداد هو فى غنى عنها حين يستخدم اللغة الأجنبية، وياليت هذه اللغة لغة سليمة حقا. وقد زاد سوء الحال بتكدس الطلاب والآلاف مما جعل مهمة الأستاذ بالغة الصعوبة وعجز الطلاب عن استيعاب المادة العلمية وفهمها وهضمها تماما هذه اللغة الأجنبية، ويكفى أن نطلع على أوراق إجاباتهم لنرى المستوى العلمى واللغوى المتردى فى هذه الأيام، ومع ذلك نرى عزوفا عن التدريس بلغتنا القومية مع أن قانون الجامعات المصرية حرص على النص على

أن تكون اللغة العربية لغة التعليم والتدريس، أما تأجيل إعمال هذا النص الذى منحه القانون فى بعض الأحوال فكان لأجل موقوت ولكنه للأسف استمر منذ إنشاء الجامعة حتى اليوم.

وعلى الجانب الآخر نرى صورًا مشرقةً وضاءةً لأساتذة بجامعاتنا المصرية خاضوا التجربة – تجربة التدريس باللغة العربية فى عزم وإصرار، وأبلوا فيها أحسن البلاء دحضًا للفرية التى يروجها المعارضون لتعريب العلوم والطب بصفة خاصة وهى أن اللغة العربية قد تقصر عن الوفاء بمتطلبات التعبير والتدريس بها فى العلوم والطب وغيرها ، وعن ملاحقة التطور العلمى السريع فى هذا العصر – ومن بين هؤلاء العلماء عالم البيولوچيا والطب الدكتور محمد ولى، الذى ظل يُدَرِّس علم الحيوان والتشريح والأنسجة لطلاب إعداديات الطب، ولطلاب العلوم بجامعة القاهرة طوال خمسة وعشرين عاما بالعربية. ومازلنا نذكر له محاضرته "العربية لغة العلم " التى ألقاها عام ١٩٣٤م بالمجمع المصرى للثقافة العلمية والتى فنَّد فيها حجج المعارضين للتدريس باللغة العربية فى الجامعات – وقد ناشد فى محاضرته مجمعَ اللغة العربية – وكان فى مراحل إنشائه الأولى – أن يتوجه بجهوده نحو جعل اللغة العربية لغة للعلم إلى أن قال من فرط إيمانه بالقضية: "ولا يكون هذا إلا إذا تشيد المجمع على أساس من هذا المبدأ ودق قلبه بما يبعثه فيه من الجد واليقين وسرت نفحات هذه النهضة العربية فى دمه فتخللت جميع أجزاء جسمه فأصبح علميا عربيا فى الشكل والجوهر

وأملنا فى هذا المجمع كثير وثقتنا فيمن يقومون عليه عظيمة ". هذا ما قاله أستاذ جامعى كبير منذ أكثر من ستين عاما – ولو امتد به العمر حتى اليوم ليعرف كيف أن المجمع لازال يعمل جاهدا نحو تحقيق هذا الهدف ويعقد حوله المؤتمرات، منها مؤتمر هذا العام – كلها زاخرة بالدراسات والمحاضرات، آخرها المحاضرة القيمة لأستاذنا الجليل الدكتور شوقى ضيف عن "العربية لغة علم راسخة" والتى ألقاها فى المؤتمر الماضى.

عالم آخر من علماء مصر البارزين آمن بالعربية لغة للعلم هو الأستاذ الدكتور أحمد زكى، عالم الكيمياء وعضو المجمع، واللغوى الأديب، ومن تابع محاضراته وكتاباته وبخاصة فى مجلة العربى لرأى كيف كانت اللغة العربية طوع قلمه يطرق بها مختلف الموضوعات العلمية ويصف بها المستحدث من علوم العصر فى مكنة واقتدار، وكانت كتاباته فى العلم بلغة الضاد قمة فى الأداء والاستقصاء. وكانت له جهود كبيرة فى الدعوة منذ الثلاثينيات إلى ترجمة أمهات الكتب العلمية الأجنبية إلى اللغة العربية.

ومن بين هؤلاء العلماء أيضا الأساتذة مصطفى نظيف وإسماعيل مظهر والدكاترة إبراهيم مدكور، وعلى مشرفة، وكامل حسين، وكامل منصور، ومحمد مرسى أحمد، وعبد الحليم منتصر، وعلى محمد كامل الذى درس علوم الطاقة باللغة العربية بهندسة عين شمس، وعائشة

عبد الرحمن التى كتبت عن اللغة العربية ودراسة العلوم بالجامعة، وعبد الحافظ حلمى محمد ومحمود حافظ وغيرهم، وهؤلاء ومن سبق ذكـــرهم قادوا المسيرة فى مصر فى الدعوة إلى تعريب العلوم وتعريـــب التعلـــيم العالى والجامعى، وقد كتبوا مقالات كثيرة منها: العربية لغة علمية ، نقل العلوم إلى العربية، نشر الكتب العلمية باللغة العربية، لغة تدريس العلوم فى الجامعات، تعريب العلم. وكثيرا ما حاضر هؤلاء العلماء فى العلـــوم والطب باللغة العربية وحققوا كتبا رائدة من تراثنا العلمى العربى.

ويجدر بى فى هذا المقام أن أنوه بجهود عالم جليل هـــو الأســـتاذ الدكتور محمد سليمان، أستاذ الطب الشرعى بجامعة القاهرة الذى درس هذا العلم باللغة العربية وقاد مع زملاء لـــه من المؤمنين بتعريب الطب حركة جادة لتحقيق هذا الهدف. ومنذ سنوات فى مـــايو ١٩٨١م وافقـــت لجنة قطاع الدراسات الطبية التابعة للمجلس الأعلـــى للجامعـــات علـــى السماح باستخدام اللغة العربية فى التدريس بكليات الطب.

واهتماما بهذه القضية صدر قرار عن المؤتمر العشرين لاتحـــاد الأطباء العرب فى جلسته الختامية التى عقـــدت بالقـــاهرة فـــى الثـــانى والعشرين من يناير عام ١٩٨٨م خاص " بتعريب مناهج كليات الطـــب، وأن يكون عام ١٩٨٨م عام بدء تعريب الطب فى كلياته المختلفـــة فـــى الوطن العربى، على أن يتم ذلك تدريجيا فى السنوات العـــشر القادمـــة". كما أوصى المؤتمر أن تكون البحوث فى مؤتمرات اتحاد الأطباء العرب

باللغة العربية ومناشدة منظمة الصحة العالية عقد اجتماع لعمداء كليات الطب فى العالم العربى لمناقشة موضوع البدء فى عملية تعريب الطب.

وفيما أعلم عقدت عدة اجتماعات، وكان الجدل حول هذا الموضوع بين مؤيد ومعارض؛ وكما يقول الأستاذ الدكتور أبو شادى الروبى عضو المجمع إنه حين عرض قرار وزراء الصحة العرب بضرورة التزام الجامعات بالانتهاء من تعريب الطب مع نهاية القرن الحالى ــ حين عرض هذا القرار على مجلس كلية الطب بجامعة القاهرة تبين أن ٧٥٪ من الأساتذة للأسف رفضوا ما جاء به تجنيا على اللغة العربية أنها قد تقصر عن الوفاء بمتطلبات التدريس بها وقد تعزلهم عن التقدم العالى فى مجال الطب وبحوثه، وقد فاتهم أن جامعة دمشق تقوم بتدريس الطب باللغة العربية منذ أكثر من خمسين عاما ونيف حتى اليوم؛ كما أن معظم جامعات العالم تدرس العلوم والطب بلغاتها القومية.

وفى هذا السياق أيضًا تجدر الإشارة إلى أن الستينيات وأوائل السبعينات قد شهدت محاولات جادة للتدريس باللغة العربية للسنوات الإعدادية بكلية الطب وكانت النتائج عظيمة من حيث استيعاب الطلاب للمادة العلمية وتفهمها فى سهولة ويسر، وللأسف الشديد عُدل عن ذلك وعاد التدريس باللغة الإنجليزية استجابة لما طالبت به كلية الطب فى أوائل السبعينيات. وربما كان عدم توافر المراجع العلمية الحديثة باللغة العربية ترجمةً وتأليفًا وتعريبًا أحد الأسباب فى هذه النكسة ــ أضف إلى

ذلك افتقار المدرس الجامعى والعالى إلى التأهيل الأمثل للتدريس بالعربية السليمة بدلا من ذلك الخليط من لغة أجنبية ضعيفة متردية وعربية عامية دارجة. ويجدر بى أن أشير هنا أن بين الدراسات الرائعة التـــى كتبهـــا العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردنى دراسة قيمة حقا فى موضوع تأهيل أعـــضاء هيئـــة التـــدريس بالجامعة للتدريس باللغة العربية وهى دراسة جديرة بالعناية والاهتمام.

أهمية الكتاب فى تعريب العلوم:

من المشاهد أن المكتبة الجامعية فى مصر لا تزال كمـــا قـــدمنا فقيرة حتى اليوم فى الكتب والمراجع العلمية الحديثـــة المؤلفـــة باللغـــة العربية أو المترجمة إليها بكليات العلـــوم والهندســـة والطـــب بفروعـــه المختلفة والصيدلة وبعض المعاهد العليا، باســـتثناء بعـــض المقـــررات الدراسية فى بعض هذه الكليات، إذ لها كتبها بالعربية لأنها تدرس بهـــذه اللغة — وسبب ذلك الذى نشهده من قلة المستحث من المراجع العلميـــة العربية هو العزوف عن التأليف أو الترجمة فى غيبة الحافز الذى يـــدفع إلى ذلك — ومرد ذلك أيضا إلى الأزمة التى تمر بها حركـــة الترجمـــة بوجه عام.

وغنى عن البيان أن الترجمة ضرورية لتحقيق التواصل الفكـــرى الدائم بيننا وبين العالم الغربى الذى تتقافز خطواته فى معـــارج الرقـــى والتقدم. كما أن اللغة العربية تزداد غنىً وثراءً بالترجمة وتتسع آفاقهـــا

بالحصيلة الجديدة التى تضاف إلى مذخور تراثها وتصبح أقدر على تأدية رسالتها فى عصر العلم والتقدم العلمى والتكنولوچى بفضل عملية التلاحم التى تضطلع بها الترجمة، ولا شك أن لكل ذلك انعكاساته الإيجابية على التعليم باللغة العربية فى جامعاتنا ومعاهدنا العالية.

والجدير بالذكر أن الترجمة قد ازدهرت فى مصر فى عصور سابقة: فى عصر رفاعة الطهطاوى شيخ المترجمين الذى قاد أكبر حركة للترجمة فى عصره، وبلغ عدد ما ترجم نحو ألفين من الكتب والرسائل فى مختلف العلوم والفنون، وكان منهج الطهطاوى فى ترجمة المصطلحات أو المفردات الأجنبية هو أن يحدد فى ذهنه معانى هذه المفردات ثم ينقب عمّا يتلاءم معها من المفردات العربية فى المعاجم العربية، وأحيانا يلجأ إلى تعريب المصطلح الأجنبى فيضعه بنصه مع بعض تعديل يتلاءم مع النطق العربى، وكان يرى أن هذه المصطلحات العربية يمكن أن تأخذ طريقها إلى اللغة العربية كغيرها. من المصطلحات المعربة عن اليونانية والفارسية وغيرها. وكان لهذه الجهود أثرها العميق فى النهضة العلمية والثقافية فى مصر.

كما تجدر الإشارة إلى أيام " المقتطف " الذى بدأ نشاطه فى مصر عام ١٩٨٥م وامتد أكثر من خمسين عاما، وكان يحفل بمختلف التراجم والموضوعات العلمية والمصطلحات باللغة العربية، أو إلى أيام لجنة التأليف والترجمة والنشر التى أنشئت عام ١٩١٤م وزودت المكتبة

العربية على مدى ثلاثين عاما بطائفة من الكتب والمؤلفات والتراجم التى كانت عونًا كبيرًا للتعليم العالى والجامعى، أو إلى أيام المجلس الأعلى للعلوم فى أواخر الخمسينات (١٩٥٦م) حين أشرف على برنامج لترجمة أمهات الكتب والمراجع فى العلوم الأساسية الجامعية إسهاما فى تدريسها باللغة العربية ودعما لحركة تعريب العلوم، وقد زود الكثير من هذه الكتب بكشافات تضم المصطلحات العلمية الأجنبية ومقابلاتها باللغة العربية ـ وهكذا فعلت مؤسسة فرانكلين حين بدأت فى الستينات فى ترجمة العديد من المؤلفات العلمية الرائدة إلى اللغة العربية بهدف الاستفادة بها فى التعليم الجامعى وكذلك فى نشر الثقافة العلمية، وهكذا فعل مشروع " الألف كتاب " الذى نهضت به وزارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم وتولته بعد ذلك هيئة الكتاب، ولكن من المؤسف حقا أن الكثير من هذه الكتب والمراجع الجامعة التى نقلت إلى اللغة العربية قد أهملت وطواها النسيان، إذ أن العزوف عن التدريس بالعربية قد وأد معظمها وأجهض الجهود المضنية التى بذلت فى سبيل إنجازها.

بارقة أمل وتفاؤل:

وسط هذا الأسى على ما فات يتبدى على الجانب الآخر ما يبعث على التفاؤل والأمل فقد بدأ تدريس بعض المقررات باللغة العربية فى بعض كليات العلوم والهندسة والطب البيطرى فى بعض الجامعات والمعاهد العليا تطمح إلى بعضها فيما يلى وهى بداية على طريق تعريب العلوم نرجو لها الاطراد والنماء :

أولاً ــ فى كليات العلوم : تدريس الرياضيات فى السنتين الأولى والثانية باللغة العربية وكذلك علم البيئة النباتية وفسيولوچيا النبات بعلوم عين شمس. وتدريس علوم الكيمياء والفيزيقا والنبات والحيوان والچيولوچيا والرياضيات فى السنة الأولى بعلوم المنصورة باللغة العربية. وتدرس علوم السنة الإعدادية بعلوم الأزهر باللغة العربية وكذلك علوم الأجنة والتطور والبيئة والتصنيف فى السنوات الأخرى.

ثانيًا ــ فى كليات الهندسة : تدرس علوم السنة الإعدادية باللغة العربية وتشمل الرياضيات والفيزيقا والميكانيكا والكهرباء والهندسة الوصفية وغيرها، كما تدرس مقررات أخرى بالعربية فى خواص المادة والمساحة والحجوم والكميات فى السنتين الأولى والثانية بهندسة عين شمس، ويدرس كذلك علم السكك الحديدية والطرق وتخطيطها بالسنة الرابعة.

ثالثًا ــ فى كليات الطب البيطرى : تدرس علوم الوراثة وتربية الحيوان والاقتصاد الزراعى باللغة العربية.

رابعًا ــ فى كليات الطب والصيدلة وطب الأسنان : عزوف واضح عن التدريس باللغة العربية حتى الآن. ولو أنه فى بعض المواد كالطب النفسى بجامعة عين شمس يجوز للطالب أن يجيب باللغة العربية، وتوجد كتب ومؤلفات فى هذا الفرع وفى غيره كالصحة العامة والأمراض العصبية والرمد، وتدرس بعض هذه المقررات باللغة العربية فى جامعة الأزهر وغيرها.

وفى السنوات الأخيرة ظهرت حركة طبية بكلية الطب بجامعة الأزهر حيث يقوم بعض أساتذتها بالتأليف باللغة العربية فى بعض تخصصاتهم من العلوم الطبية، منهم الأستاذ الدكتور محمد عبد العزيز محمد، الذى وضع أول كتاب ضخم (٥٥٩ صفحة) عن العين وطب العيون باللغة العربية وكذلك أول كتاب لغوى رمدى وعنوانه: " الأصل العربى لمفردات طب العيون" أثبت فيه أن اللغة العربية هى الأم لجميع اللغات، وقد أشاد مجمع اللغة العربية بهذا المؤلَّف حين عكف على دراسته، كما نشر الدكتور عبد العزيز كتابا آخر عن أم الغلوق أو الجلوكوما (المياه الزرقاء) باللغة العربية، كذلك وضع الأستاذ الدكتور عبد اللطيف موسى عثمان ثلاثة مجلدات عن أمراض الجهاز العصبى باللغة العربية، والأستاذ الدكتور عبد المجيد إبراهيم اللبان وآخرون يعدون كتاباتهم فى تخصصات أخرى إسهاما منهم فى تعريب العلوم الطبية والطبيعية بجامعة الأزهر. ونرجو أن تمتد هذه الحركة المباركة إلى الجامعات الأخرى فى مصر.

دور مجمع اللغة العربية وهيئات أخرى
فى النهوض بتعريب العلوم فى مصر:

تشهد مصر منذ سنين نشاطًا ملحوظًا من هيئات علمية ولغوية تعمل جاهدة فى صبر وأناة على اتخاذ اللغة العربية لغة للعلم وتطبيقاته. وفى مقدمة هذه الهيئات مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذى يقوم ـ من بين مهامه اللغوية والعلمية والأدبية الكبرى ـ بمهمة وضع المصطلحات

العلمية. ويسير المجمع على نهج واضح ومستقر لوضع هذه المصطلحات يلتزم به، فحين تتصدى اللجان العلمية (٢٠ لجنة) لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومبنى وأصله اللاتيني أو اليوناني، وتبحث عن أفضل المقابلات له باللغة العربية، وترجع في ذلك إلى مختلف المعاجم اللغوية، وقد تجد مقابلا أو مأثورا دقيقا غير مطروق فى كتب العلم القديمة يؤدى المعنى فتأخذ به وتصطفيه ليشيع استعماله، ثم يُعرَّف المصطلح تعريفًا علميًا دقيقا. ويمر المصطلح في مراحل من الدراسة والتمحيص كفيلة بصقله وصوغه الصياغة المثلى بدءًا باللجنة العلمية المتخصصة ثم بمجلس المجمع ثم بمؤتمره السنوى.

وتجدر الإشارة إلى أن التقدم العلمى المذهل فى مجال العلم والمعرفة والذى نشهده اليوم فى ثورة المعلومات والحاسبات وثورة الاتصالات والإلكترونات والهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية وعلوم الفضاء والبيئة وغيرها كل ذلك جاء إلينا بسيل منهمر من المصطلحات الحديثة والمستحدثة ــ فإذا استعصى علينا أن نجد لها المقابلات العربية المناسبة لجأنا إلى التعريب كما عرَّب العرب قديما فأخذوا عن اليونانية والهندية والسوريانية والفارسية والتركية وكما عــرَّب المحدثون عن الإسبانية والإيطالية والإنجليزية والفرنسية، ومع ذلك فإن اللغة العربية كانت ولا تزال من الثراء بحيث يمكنها أن تستوعب الكثير مما تفرزه هذه الثورات العلمية الحديثة من مصطلحات.

وقد أنجز المجمع أكثر من مئة وخمسين ألف مصطلح فى مختلف

التخصصات، عدا عدة آلاف أخرى تحت الإعداد، ومن بين هذه المصطلحات نحو خمسة وخمسين ألف مصطلح علمى وتكنولوچى متخصص أخذ جزءٌ كبيرٌ منها طريقه نحو المعاجم العلمية المتخصصة التى أصدرها المجمع، وهى أربعة عشر معجما منها معجم الچيولوچيا ومعجم الفيزيقا ومعجم الحاسبات ومعجم الكيمياء والصيدلة ومعجم البيولوچيا فى علوم الأحياء والزراعة ومعجم النفط ومعجم المصطلحات الطبية ومعجم الهندسة ومعجم الرياضيات ومعجم الفيزيقا النووية ومعجم الهدرولوچيا ومعجم القانون ــ هذا بالإضافة إلى سبع وأربعين مجموعة من مجموعات المصطلحات التى أقرها المجمع.

وغنى عن البيان أن هذه الحصيلة اللغوية الهائلة من المصطلحات العلمية المشروحة والمعرّفة تمثل دعما قويا لحركة تعريب العلوم والتعليم ومعينًا زاخرًا وعونًا للمؤلفين والمترجمين الذين ينقلون الكتب العلمية الأجنبية إلى اللغة العربية أو لأساتذة الجامعات والمعاهد الذين يُدرّسون علومهم باللغة العربية حين يكتمل الشوط وتخطو حركة التعريب فى كليات العلوم والطب والهندسة خطواتٍ فسيحةً إلى الأمام ويصبح التدريس فيها بلسان عربى مبين ــ وتحضرنى فى هذا المقام مقولةٌ لأستاذنا الجليل الدكتور شوقى ضيف " علينا التأكيد على أهمية تعريب العلوم لأن معنى ذلك التخلص من التبعية للغرب أو التبعية العلمية بعد أن تخلصنا من التبعية السياسية، وينبغى أن نتخذ الوسائل الممكنة للتخلص من هذه التبعية لكى تعود للعرب نهضتهم العلمية

الحقيقية".

وتجدر الإشارة هنا أيضًا إلى عمل معجمى يعد قمـة فـى الأداء والاستقصاء هو معجم العالم الطبيب الدكتور محمد شرف والذى أصدره عام ١٩٢٦م فى العلوم الطبية والطبيعية شاملا أكثـر مـن (٤٠,٠٠٠) أربعين ألف مصطلح إنجليزى ومقابلاتها وشروحها باللغـة العربيـة ــ وكذلك إلى معاجم أخرى رائدة للمعلـوف وأحمـد عيـسى ومـصطفى الشهابى والبعلبكى وغيرها، وكذلك إلى بعض المعاجم القديمة وتمثل لنـا عونًا كبيرًا فى نقل العلوم إلى اللغة العربية.

ويقتضى الإنصاف أيضا أن أُلمِح إلى جهـود الاتحـاد العلمـى المصرى الذى واصل نشاطه منذ نشأته عام ١٩٥٦م فى اتخـاذ اللغـة العربية لغةً للعلم، وفى سبيل ذلك اهتم بموضوع المـصطلحات العلميـة وإيجاد المقابلات العربية المناسبة لها، وقد أنجـز منهـا بـضعة آلاف ونشرها الاتحاد فى كتبه. وقد أشرف على هـذا العمـل وحبـاه بعلمـه وخبرته عالم جليل هو الأستاذ مصطفى نظيف، رئيس الاتحـاد آنـذاك وعضو مجمع اللغة العربية، وقد عاونه فى ذلك أستاذ جليل كنا معه هو الدكتور عبد الحليم منتصر الذى دفع بهذه المصطلحات إلى المـؤتمرات العلمية العربية وكان آخرها مؤتمر بغداد عـام ١٩٦٦م ــ كمـا تجـدر الإشارة إلى أن الجمعيات العلمية فى مصر والتى قفز عددها إلى مائـة وعشرين جمعية علمية، الكثير منها ينشر دراساته وتُلقَـى محاضـراته باللغة العربية متخذًا العربية لغةً للعلم مثل الاتحـاد العلمـى المـصرى

والمجمع المصرى للثقافة العلمية وجمعية المهندسين والمجمع العلمى المصرى (بعض محاضراته) والجمعية المصرية لتاريخ وفلسفة العلوم والجمعية المصرية لتعريب العلوم التى يرأسها الأستاذ الجليل الدكتور عبد الحافظ حلمى عضو المجمع وتقوم بنشاط مرموق. أما الجمعيات التى تنشر بحوثها بلغة أجنبية فيلحق بالبحث ملخص باللغة العربية، وهذا يحدث أيضًا فى البحوث التى تنشر فى المجلات الجامعية والمجلات العلمية الأخرى والتى بلغت بضع مئات فى السنوات الأخيرة، ويكتب فيها الآلاف من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات ومراكز ومعاهد البحوث فى مصر ـ كما أن الرسالات العلمية لدرجتى الماجستير والدكتوراه والتى تكتب باللغة الإنجليزية تكون دائما مذيلة بملخصات إضافية باللغة العربية وتوجد من هذه الرسالات قرابة خمسين ألف رسالة حافلة بمادة علمية هائلة ومصطلحات علمية باللغة العربية.

نشاط آخر مرموق ذو صلة بنقل العلوم إلى اللغة العربية يقوم به منذ سنوات مركز الأهرام للترجمة العلمية ولعله الوحيد من نوعه على نطاق كبير، ويعد اليوم أنشط هيئة علمية تقوم على أمر ترجمة كتب فى الرياضيات والكيمياء والتكنولوچيا والطب وعلوم الأحياء والحساب الآلى وغيرها، وقد صدر منها عدد كبير. كما أصدرت بعض المعاجم فى العلوم المستحدثة كالكمبيوتر، وكذلك عددًا من الموسوعات العلمية، وإذا كانت هيئة الكتاب أكبر هيئة حكومية فى هذا المجال إلا أن الكتب العلمية التى تصدرها هى قُلّ لا كُثر لا تكاد تشفى علة أو تنقع غلة.

ومع كل النشاط الذى تقوم به هذه الهيئات وغيرها فى مصر فى نقل العلوم إلى اللغة العربية فلا زالت مصر والدول العربية فى المؤخرة بالنسبة لغيرها من الدول. وفى إحصائية لمنظمة اليونسكو عن تراجع الترجمة فى الوطن العربى ذكر أن نصيب هذا الوطن من إنتاج الكتب المترجمة فى عام ١٩٧٠م كان ١١ فى الآلف بالنسبة لما أُنتج فى سائر أنحاء العالم وكان نصيب الدول الإفريقية ٧فى الألف أما فى عام ١٩٨٦م أى بعد ستة عشر عامًا تراجع ما تُرجم فى الوطن العربى إلى ٦ فى الألف، لتحتل بذلك المركز الأخير بينما تقدمت الدول الإفريقية إلى ١٢ فى الألف، وليس التراجع فى الكم فقط بل فى الكيف أيضا، وقد تقلص الإنتاج المترجم فى مجال العلوم الأساسية والتطبيقية إلى درجة لافتة للنظر.

وفى دراسة إحصائية أخرى مماثلة عن ما تصدره بعض الدول من كتب مترجمة إلى لغاتها أو مؤلفة كل عام أذكر أن اليابان (نحو ١١٥ مليون نسمة) لا تزال تحتل المركز الأول فى العالم للسنة الثالثة عشرة على التوالى بإصدارها نحو (٣٢) اثنين وثلاثين ألف كتاب أو عنوان جديد سنويًا، وتحتل روسيا (١٢٠ مليون نسمة) المركز الثانى بإصدار (٢٨) ثمانية وعشرين ألف كتاب فى العام، تليها الصين (١,٢٠ مليار نسمة) وتصدر (٢٧) سبعة وعشرين ألف كتاب، تليها ألمانيا ثم أمريكا، وتصدر تايوان (١٤) أربعة عشر ألف كتاب سنويا منها (١١) أحد عشر ألف

كتاب مترجم، وتصدر هولندا (٦٠٠٠) ستة آلاف عنوان منها (٤٠٠٠) أربعة آلاف عنوان مترجم.

أما الدول العربية (٢٢ دولة) بتعداد يصل إلى (١٧٠) مئة وسبعين مليون نسمة فيبلغ ما تصدره نحو تسعة آلاف كتاب جديد سنويا فى الوقت الذى يبلغ ما تصدره إسرائيل (٣,٥مليون نسمة) نحو عشرة آلاف كتاب بالعبرية سنويا معظمها مترجم عن لغات أخرى، ومع ذلك فليس ببعيد أن يدور الزمن دورته وتعود للعالم العربى الريادة الفكرية كما كان.

الاهتمام باللغات الأجنبية والانفتاح على التقدم العلمى العالمى:

إذا كنا ندعو لقضية تعريب العلوم والتعليم بالجامعات ونعمل لها لتصبح حقيقة واقعة لاعتبارات قومية وعلمية واجتماعية إذ إن الفكر الأصيل لا يُخلق فى الأمة إلا إذا كانت تعلم بلغتها وتكتب وتؤلف بلغتها، فيجب فى الوقت نفسه ألا يتبادر إلى الذهن أننا نريد الانغلاق على أنفسنا بل العكس هو الصحيح، هو الانفتاح على العالم الخارجى، على علمه وفكره ومنجزاته الحديثة فى العلوم وتطبيقاتها ومواكبة الإيقاع السريع الذى نشهده فى هذا العصر عن حركة العلم والتقدم العلمى والتكنولوچى ــ ولا شك أن ذلك يعتمد فى المقام الأول على إتقان لغة أجنبية من اللغات الحية كالإنجليزية أو الفرنسية نطل بها إطلالات نيرة ومثمرة على العالم الخارجى وآفاقه العلمية الرحبة ــ علينا الاهتمام بتعليمها فى

أثناء المرحلة الجامعية بل وفى مرحلة التعليم العام لأننا أصبحنا فى عصر لا يجوز فيه لخريج الجامعة طبيبا كان أم مهندسا أن يقف عند لغته القومية إذا أراد أن يتابع التقدم العلمى العالمى فى مجاله وتخصصه ـ وإلى عهد قريب كان تعريف الأمى فى اليابان من لا يعرف لغة أجنبية واليوم أضافوا إليها لغة الحاسوب ـ وإذا كان تعلم لغة أجنبية ضروريا لطالب المرحلة الجامعية ليتسع بها أفقه ويستعين بها على مزيد من الدرس والاطلاع الخارجى فإنه واجب أساسى وحتمى بالنسبة للأساتذة والمدرسين والباحثين وطلاب الدراسات العليا إذ لا يمكن أن يجرى أى منهم بحوثه أو ينشر إنجازاته وهو بمعزل عن منجزات العلم والعلماء فى كل مكان ودون أن يتم التواصل بينه وبين العلماء فى الخارج، ولن يتأتى ذلك دون إتقان لغة أجنبية حديثًا وكتابةً وفكرا. وتجدر الإشارة إلى أن برامج الدراسة فى كليات العلوم تشمل برنامجا خاصا لتدريس اللغة الإنجليزية لطلاب السنتين الأولى والثانية وبرنامجا لتدريس اللغة الألمانية لطلاب السنتين الثالثة والرابعة وآخر مكثفا لطلاب الدراسات العليا ـ ومع ذلك فلا زلنا بعيدين تماما عن ما نبتغيه من معرفة أو إتقان لغة أجنبية، ويلزم المزيد من الاهتمام والجدية فى هذا المجال.

الاهتمام باللغة العربية:

لست فى حاجة إلى القول إن تعريب العلوم وكذلك تعريب التعليم يتطلب رفع مستوى اللغة العربية لدى القائمين عليها

والمشتغلين بها والدارسين والمدرسين على حد سواء، بعد أن هبط هذا المستوى وبلغ درجة من الضعف والاستهانة تبدت فى مختلف مراحل التعليم وأشاعت الألم والحسرة بين سدنة اللغة العربية، وكثيرا ما تصدت أقلام لمأساة اللغة العربية، وإن مجرد إلقاء نظرة عابرة على أوراق إجابة التلاميذ وكذلك الطلبة فى الجامعات جعلَنا نقف على حال اللغة العربية فى مدارسنا ومعاهدنا وجامعاتنا بل وفى مناحٍ كثيرة من حياتنا من هبوط مستواها ومعرفة متدنية بها، ومما يدعو إلى الأسى أن الكثير مما نأكل وما نلبس وما نتداوى به وما نستخدمه من أدوات الصناعة والزراعة ومختلف الفنون وما يقع عليه بصرنا وما تسمعه آذاننا وما تلمسه أيدينا مستورد أو مصنوع بلفظه الأجنبى ويطلبه الناس بلفظه الدخيل على اللغة، وانتشرت كتابة اللافتات الأجنبية بحروف عربية وأصبح كل ذلك جزءًا من حياتنا، وتلك هى الخطورة الكامنة التى تحدق باللغة العربية والتى تدعو اليوم إلى وقفة صارمة قبل أن تصبح اللغة العربية غريبة بيننا بعد أن كنا فى شبابنا بل فى أولى مراحل التعليم نقرأ ***كليلة ودمنة*** لابن المقفع ***والعبرات والنظرات للمنفلوطى***.

لذلك علينا من بين ما نعمل له للنهوض بقضية التعريب وحل مشاكلها، أن نعمل أيضا على تأهيل المدرسين بالجامعات والمعاهد لتدريس العلوم باللغة العربية من جهة وعلى رفع مستوى الطلاب

بالجامعات من جهة أخرى، وذلك بوضع مناهج وبرامج متطورة لتدريس اللغة العربية وقواعدها الأساسية. ويجب أن يتم ذلك أيضًا فى جميع مراحل التعليم قبل الجامعى ليكتمل بذلك البناء اللغوى للطلاب على كل مستوياتهم ــ بل يذهب البعض إلى ضرورة العناية باللغة العربية فى مراحل الطفولة ليستقيم اللسان مبكرا نطقا وتعبيرا. وبهذا التكامل يستقيم الأمر لدى الأساتذة والطلاب على حد سواء ويصبح تعليم العلوم عربيا وبلسان عربى مبين.

وفى معرض التدليل على ثراء اللغة العربية بالمصطلحات والمترادفات شدَّنى ما قاله الأستاذ الدكتور محمود الرخاوى مقرر لجنة التعريب باتحاد الأطباء العرب من أن هناك " علميًا " ما يثبت أن اللغة العربية الفصحى هى أم اللغات الهندية والأوربية وأصل الكلام، فاللغة العربية كانت الأصل والمنبع بينما تمثل اللغات الأخرى قنوات وروافد لها (فمثلاً نحو ٨٠٪ من أفعال اللغة السكسونية و ٧٥٪ من أفعال اللاتينية تأتى من أصل عربى) ويؤيد هذا أن عدد الجذور فى اللغة العربية يزيد على (١٦٠٠٠) ستة عشر ألف جذر بينما اللغة السكسونية بها ما يزيد قليلا على (٢٠٠٠) ألفى جذر.

اقتراحات وتوصيات:

قبل أن أختم كلمتى أود التأكيد على النقاط الآتية:

أولا: علينا أن نستمر فى دعوتنا لتعريب العلوم والتعليم العالى

والجامعى فى مصر وأن نعمل لذلك بجهد الطاقة حتى يصبح التعريب حقيقة واقعة وأن نتصدى بالحجج الدامغة لهؤلاء الذين يقفون ضد هذه القضية القومية ويعملون على عرقلة مسيرتها، وذلك من منطلق أن اللغة العربية قادرة على استيعاب مقتضيات التطور العلمى والتكنولوچى فى هذا العصر، وأن شعوبا شتى صغيرةً أو كبيرةً تستخدم لغتها فى تدريس العلوم وفى البحوث العلمية والتطبيقية دون أن يكون ذلك عائقا لها فى شىء.

ثانيًا: دعوة المجلس الأعلى للجامعات والمسؤولين عن التعليم العالى والجامعى فى مصر إلى تبنى هذه القضية ووضع خطة شاملة لها وتدرس وسائل تنفيذها وأن تسهم الجامعات إسهاما كبيرا فى تشجيع التأليف باللغة العربية والترجمة إليها وأن تُعد المكتبة العلمية العربية فى مختلف التخصصات وذلك للنهوض بمستوى التعليم والبحث العلمى.

ثالثًا: العمل على توحيد المصطلحات العلمية فى الوطن العربى للقضاء على بلبلةٍ قائمة فى استعمال المصطلح الواحد بمقابلات عربية مختلفة فى البلاد العربية وقد بدا ذلك واضحا فى الندوات التى ينظمها اتحاد المجامع اللغوية العربية (وكانت آخر هذه الندوات فى دمشق فى ديسمبر ١٩٩٦م لدراسة معجم البيولوچيا) وفى المعاجم التى يقوم بإعدادها مكتب التنسيق بالرباط. ونأمل فى مضاعفة الجهود التى يقوم بها اتحاد المجامع اللغوية فى هذا السبيل.

رابعًا: إنشاء هيئة أو مؤسسة كبرى للترجمة والتأليف تضع خطة دقيقة لها تحدد فيها الأولويات فى ترجمة العلوم والتكنولوچيا والعلوم الإنسانية مع ملاحقة التطور السريع فى حركة العلم والبحوث العلمية والتكنولوچية وذلك لخدمة تعريف العلوم وتعريب التعليم الجامعى — وتوجيه عناية خاصة إلى ترجمة مجموعات متكاملة من أمهات الكتب والمراجع العلمية الأجنبية فى مختلف التخصصات، وكذلك تشجيع التأليف فيها — ويلحق بهذه الهيئة معهد لإعداد المترجمين وتدريبهم.

خامسًا: ضرورة التوسع فى تعريب المصطلحات العلمية وفى وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية وقد أسهم مجمع اللغة العربية فى ذلك بإصدار أربعة عشر معجما فى مختلف التخصصات العلمية وغيرها، وتحت الإعداد معجمات أخرى فى العلوم الحديثة والمستحدثة — ونوصى هنا أن يبادر المجمع بإهداء أعداد كبيرة من هذه المعاجم ومجموعات المصطلحات إلى مختلف الكليات الجامعية والمعاهد فى مصر للاستفادة بها فى تشجيع حركة التعريب ونقل العلوم إلى اللغة العربية بفكر عربى.

سادسًا: توجيه عناية خاصة إلى تعليم اللغات الأجنبية فى مراحل التعليم العام والتعليم العالى والجامعى ثم فى مرحلة الدراسات العليا ووضع البرامج الكفيلة بإتقانها ليتاح الانفتاح على العالم الخارجى ومتابعة التطور العلمى والتكنولوچى فى هذا العصر.

سابعًا: تكثيف العناية باللغة العربية فى جميع مراحل التعليم وبخاصة فى مرحلة التعليم الجامعى وتطوير برامجها وطرق تدريسها مع العمل على تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالجامعات والمعاهد العليا للتدريس باللغة العربية.

ثامنًا: التأكيد على ضرورة إعداد ملخصات باللغة العربية لجميع البحوث والدراسات التى تنشر باللغة الأجنبية فى المجلات العلمية، ودعوة الجمعيات إلى الالتزام بهذا الواجب القومى.

تاسعًا: على الإعلام بروافده الثلاثة أن يكثف عنايته باللغة العربية فى برامجه وبين المشتغلين به والوافدين عليه بخطبهم وأحاديثهم.

هذه اقتراحات وتوصيات حول استخدام اللغة العربية لغةً للعلم وللتعليم فى الجامعات والمعاهد طالما ردَّدتْها المؤتمراتُ والندواتُ واتحاد الجامعات ومنظمة اليونسكو واتحاد الأطباء العرب كما نص عليها قانون الجامعات ومنذ أكثر من (٦٠) ستين عاما حتى اليوم فلا تزال القضية ــ قضية التعريب ــ قيد البحث ولم يتحقق الأمل الذى لا زلنا نتطلع إليه. ولا أرانى فى حاجة إلى التأكيد أنه إذا أريد لهذه القضية الحل فعلَى الدولة أن تحسمها بقرار سياسى مُلزِم يوفر لها كل الإمكانات ويضع لها الخطة والبرنامج للعمل والتنفيذ والانطلاق باعتبارها قضية قومية ووطنية وثيقة الصلة بكياننا العربى ومستقبل التعليم فى مصر.

واختم كلمتى بأبيات من قصيدة عن اللغة العربية للشاعر الراحل محمد البرعى يمجدها ويدعو فيها المجمع أن يأخذ بيدها مما أَلَمَّ بها فيقول:

من خط بالقلم الحروف الأولى ... الله خص بنورها التنزيلا
لغة البيان وقد شَرفْتِ بأحمدٍ ... يدعو وينشر للحديث فصولا
الله نزَّلها عليه معلما ... واختارها لغة تنير عقولا
عاشت قرونا منذ أن ولد الهدى ... فتبوأت قمم اللغات أصولا
الناطقون بها حماة تراثها ... صانوا حماها فتية وكهولا
يا مَجْمَعَ الفصحى وحصنَ تراثها ... لا زلتَ ظِلاًّ للبيان ظليلا
قد كنتَ منذ نشأتَ قوة عزها ... تقضى لها حقًّا عليك نبيلا
واليوم قد هبَّتْ عليها عجمةٌ ... كانت على لغة البيان وبيلا
فانهض وخذ بيد البيان فإنه ... لم يرض غيرك للبيان كفيلا

ثانيًا

الإنجازات العلمية والمنجزات المجمعية لعدد من المجمعيين

الدكتور عبد الحليم منتصر (*)

لست فى حاجة إلى القول إن مصر فقدت برحيل العالم الجليل الأستاذ الدكتور عبد الحليم بدر منتصر قمة من قممنا الشامخة وواحدا من جيل العمالقة فى مجال العلم والفكر والثقافة قلَّ أن يكون له ضريب بين العلميين المعاصرين، وقد أسهم فى بناء النهضة العلمية فى مصر وإرساء قواعدها ودفع حركتها خطوات فسيحة إلى الأمام على مدى أكثر من نصف قرن وستظل بحوثه ودراساته وأعماله ومقالاته التى جاوزت الأربعمئة فى مجال العلم والثقافة واللغة شاهدا على عمق فكره وسعة أفقه كتبها بلغة يملك ناصيتها ودبجها ببراعة فى مكنة واقتدار ولعله فى ذلك أيضا كان نسيج وحدة بين العلميين.

وغير خاف أن الفقيد العزيز بذل الكثير من نور عينيه ليضىء لوطنه وبنيه مصابيح الحياة وأخذ بيد الطلائع من شباب علمائنا فى رحاب الجامعة وعنى بتنشئة أجيال منهم تزهو بهم مصر اليوم وتعلو.

(*) من كلمة ألقيت فى حفل تأبينه، مجلة المجمع، العدد (٧٩).

وقد مضى يحقق هذا الهدف وما كان ليميل عنه إصبعا إلا ليميل إليه ميلا.

عرفت الفقيد العزيز منذ عام ألف وتسعمئة واثنين وعشرين أى منذ سبعين سنة حين جمعتنا مدرسة فارسكور الابتدائية وامتدت صلاتنا العلمية والأخوية فى رحاب الجامعة والجمعيات العلمية والثقافية وفى هذا المحراب حتى قبيل رحيله.

ولد الراحل الكريم فى ٢ سبتمبر عام ١٩٠٨م فى قرية الغوابيين بالقرب من فارسكور بمحافظة دمياط من عائلة لها مركز الصدارة فى هذه القرية ولها أرضها وزراعتها ونشأ فى بيت من بيوت العلم والأدب والعرفان، وقضى بهذه القرية طفولته بين مروجها الخضراء وظلالها الوارفة وعطرها وأريجها ، وكانت لهذه الطبيعة الخلابة انعكاساتها عليه فأحبها وظلت هذه الأحاسيس تنمو معه فى صباه وشبابه وما إن أتمَّ دراسته الثانوية فى مدرسة المنصورة الثانوية ومدرسة الجيزة الثانوية حتى التحق بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) ليتخرج فيها عام ١٩٣١م متخصصا فى علم النبات متتلمذا على عالم النبات الشهير أوليفر، وكأن الفقيد بدراسته لهذا العلم وشغفه به قد استجاب تلقائيا لما كان قد احتشد فى خلفيته الأولى واختزنه فى وجدانه من حب لتلك البيئة النباتية التى نشأ فيها وعاش بين ظلالها ومروجها. وبعد ذلك تابع الدكتور منتصر دراسته العالية فى علم النبات ليحصل على درجة

الماجستير فى عام ١٩٣٣م، ثم أوفد فى بعثة إلى إنجلترا وسويسرا ليستزيد من العلم فى مجال تخصصه لدى بعض العلماء البارزين فى علم النبات ومنهم العالم سالزبورى ، ثم يعود ليحصل على درجة دكتوراه الفلسفة فى علم النبات عام ١٩٣٥م ، وكان أول من حصل على هذه الدرجة من الجامعة المصرية، عُيِّن بعدها مدرسا بكلية العلوم بجامعة القاهرة ثم أستاذا مساعدا ثم تلقفته جامعة إبراهيم (عين شمس حاليا) أستاذا لعلم النبات بكلية العلوم بها عند إنشائها عام ١٩٥٠م ثم عميدا لهذه الكلية عام ١٩٥٤م.

وإبان حياته العلمية واصل الدكتور منتصر بحوثه فى مجال علم النبات وأنشأ مدرسة علمية رائدة فى البيئة النباتية تخرج فيها العشرات من الحاصلين تحت إشرافه على درجتى الماجستير والدكتوراه والمئات من حملة البكالوريوس فى علم النبات. وقد تناولت بحوثه دراسات حول البيئة النباتية فى مصر وبخاصة البيئة الصحراوية وعلاقة النبات بالتربة والعلاقة بين الكائنات الدقيقة والنباتات الراقية ، ومن بين بحوثه المبتكرة بيئة بحيرة المنزلة، التربة والنبات فى مريوط، العلاقة بين عوامل التربة ونمو الجذور، أثر الكائنات المجهرية فى التربة على نمو النبات، تغذية النبات فى أرض غير مستصلحة، المقاومة الأحيائية لبعض الأمراض النباتية. كما نشر مع أحد زملائه مؤلفا ضخما عن نباتات مصر، ومن مؤلفاته أيضا : حياة النبات، الوراثة والجنس، أصول علم النبات،

صحارى مصر. ومن ترجماته فى مجال تخصصه: تشريح النبات، بيئة النبات.

ويعتبر الدكتور منتصر بحق رائد علم البيئة النباتية فى مصر ومن طلبته فى هذا المجال علماء بارزون وأساتذة كبار فى الجامعات المصرية والعربية طالما اختلفوا إلى مجلسه وأخذوا عنه ونهلوا من نبعه كؤوسا مترعة من العلم والمعرفة.

وهو أيضا رائد من رواد النهضة العلمية فى مصر وأحد قادة نشر الثقافة العلمية باللغة العربية. قاد دعوة موفقة لتعريب العلم وتدريس العلوم فى الجامعات باللغة العربية وظل ينشر هذه الدعوة فى دأب وإصرار على مدى أكثر من أربعين عاما، وكان قد أنشأ فى مطلع الثلاثينيات جمعية أنصار اللغة العربية بكلية العلوم وقد نجحت هذه الدعوة وصاحب ذلك إنشاء مجلة (رسالة العلم) التى سرعان ما اجتذبت إليها الكثيرين المشتغلين بالعم ينشرون فيها بحوثهم ونتائج أعمالهم العلمية. باللغة العربية مع ترجمة المصطلحات العلمية. وقد رأس الفقيد تحرير هذه المجلة الرائدة عدة عقود وكان يكتب مقالها الافتتاحى كل ثلاثة شهور على مدى هذه السنوات الطوال. وقد تناولت هذه المقالات موضوعات على جانب كبير من الأهمية جادت بها قريحته الوقادة، منها على سبيل المثال : ثورة العلم ، تنظيم البحث العلمى فى مصر، العلم فى خدمة الاقتصاد القومى، البحث العلمى ومشروعات الإصلاح، التخطيط

العلمى للوطن العربى، الجامعات بين البحث العلمى والتعليم، السباق الدولى فى البحث العلمى، الموارد العلمية فى البلاد العربية، تطور الفكر العلمى ومسايرة اللغة العربية، التعبئة العلمية، بعض اتجاهات البحث العلمى.

ويجدر بى أن أشير إلى مقتطفات من كلمة الفقيد التى صدر بها أول عدد من رسالة العلم عام ١٩٣٤م إذ قال: "ثم بدأت الطلائع الأولى تتخرج فى كلية العلوم حاملة علم الجهاد فى ميادين العلم والعرفان مؤدية واجبها نحو الوطن ونحو العلم، وكان لها أن تفكر فى إخراج صحيفة عامية تكون أداة اتصال بين الخريجين وترجمانا صادقا لبحوثهم ومختلف ميادين نشاطهم العلمى وأن تكون أداة لنشر العلوم بلغتنا القومية فإن لغة الدراسة بالكلية أجنبية ونحن نرجو مخلصين أن تتهيأ الظروف للغة العربية لتكون لغة العلم فى هذا البلد، ولعلى إذ أردد هذه الأمنية الصادقة من أعماق قلبى إنما أضرب على قيثارة شجية تترنم بها أفئدتنا جميعا فمن ذا الذى لا تردد مشاعره هذا الذى أرتجيه والذى آمل أن يحققه الزمن فى المستقبل القريب. فاللغة العربية إنما هى أمانة فى أعناقنا وواجبنا إنماء ثروتها العلمية". تلك كانت كلمة الفقيد منذ نحو ستين عامًا تنم ــ كما قال عنه المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف ــ عن غيرة صادقة تحتشد فى صدره على العلم وعلى اللغة العربية وعلى الجامعة، صارت فيه طبيعة تشهد عليها تصانيفه وتآليفه باللغة العربية وسعيه المتواصل فى أن تكون هذه اللغة لغة العلم والتعليم فى الجامعة.

وفى سبيل نشر الثقافة العلمية باللغة العربية اضطلع الدكتور منتصر بالإشراف على عدد كبير من الكتب السنوية ومجموعات المحاضرات والدراسات التى تنشرها الجمعيات والهيئات العلمية والاتحاد العلمى المصرى والعربى بما يقدر بأكثر من ثلاثين مجلدا ضخما، كما قام بنشر عدد من الكتب العلمية المبسطة والمقالات العديدة فى الصحف والمجلات لا فى مصر وحدها بل فى كثير من البلاد العربية. وقد نشرت له دراسات عديدة فى سلسلة اقرأ وتراث الإنسانية والثقافة والرسالة والعلوم وغيرها مما يجاوز بضع مئات، وما لو عنى بجمعه لملأ مجلداتٍ ضخمةً كتبها منذ فجر شبابه وحتى قبيل رحيله بأسلوب يتسم بالعمق والرصانة ويعكس ثقافة واسعة وقريحة وقادة.

ومن بين الكتب التى تزيد على الثلاثين كتابا التى ألفها أو ترجمها أو راجعها كتب: العلم فى حياتنا اليومية (جزآن)، قادة العلم فى العصر الحديث (جزآن)، تاريخ العلم عند العرب، فجر الحياة، العلم الإغريقى، العلم وأصل الكائنات، الكشف والفتح، العلم والإنسان الحديث، الحياة على مر العصور، أصل الأنواع (جزآن)، العلم المصنوع من حولنا، الجنس البشرى يتطور.

وللفقيد دور كبير فى نشر الاهتمام بتاريخ العلوم والإسهام مع الأستاذ الكبير المغفور له الأستاذ مصطفى نظيف فى إنشاء الجمعية المصرية لتاريخ العلوم وإصدار مجلة لها حوَت العديد من المقالات

والدراسات عن علماء العرب الأعلام والتراث العلمى العربى، وقد بدأت هذه الجمعية تعاود نشاطها فى السنوات الأخيرة وتنشر المحاضرات التى تلقى بها. وقد ألَّف الدكتور منتصر أول كتاب يعتدُّ به لتدريس تاريخ العلم بالجامعات وحمل على كتفيه فى تفان منقطع النظير الدعوة للاهتمام بهذا العلم وقام بتدريسه عدة سنوات من منطلق واع مستنير يرى فى دراسة تاريخ أسلافنا من العلماء العرب وأمجادهم فى العصور الذهبية للنهضة العلمية الإسلامية ما يحفز على بناء حاضر مجيد ومستقبل زاهر يعيد للأمة العربية سابق مجدها وعظمتها ، وفى سبيل دعوته للتعريف بالعلماء العرب ونشر أعمالهم كتَبَ وحاضر وأذاع العديد من الأحاديث والمقالات والمحاضرات فى المجلات والصحف المختلفة والإذاعة، وقد تُرجِم عددٌ كبيرٌ من أحاديثه تلك وأذيع ضمن الإذاعات الموجهة لتعريف الأجانب بالعلماء العرب وتجلية أعمالهم كما شارك فى وضع دليل ببليوجرافى لأعمال هؤلاء العلماء.

أما نشاط الفقيد فى مجمع اللغة العربية والذى امتد سنين طويلة منذ انتخابه عضوًا به عام ١٩٥٨م فتشهد عليه جهوده البارزة فى ترجمة المصطلحات العلمية، وقد أشرف وشارك فى ترجمة ألوف منها إبان عضويته فى لجان العلوم الطبيعية بالمجمع من فيزيقا ورياضياتٍ وكيمياءٍ وچيولوچيا وأحياء وطب فضلا عن عضويته فى لجنة ألفاظ الحضارة ولجنة المعجم الكبير ولجنة تيسير الكتابة ولجنة إحياء التراث العربى ــ كما اشترك فى ترجمة خمسةَ عشرَ ألفَ مصطلحٍ علميٍّ إبان

عمله أمينا عاما للاتحاد العلمى المصرى والعربى وشارك أيضا فى وضع قاموس يضم نحو خمسة وثلاثين ألف مصطلح أصدرته هيئة التدريب الفنى للقوات المسلحة.

كما كان للفقيد إسهاماته فى أعمال مجلس المجمع ومؤتمراته. ومن إنجازاته تحقيق كتاب الشفاء لابن سينا، ومن الكلمات والدراسات التى ألقاها بالمجمع أو نشرها بمجلته: مشكلة المصطلحات العلمية والطريقة العلمية لحلها، التفكير العلمى الإسلامى، العلم وغزو الفضاء، حاجتنا إلى معجم علمى عربى، تطوير الفكر العلمى ومسايرة اللغة العربية له، وذلك بالإضافة إلى كلماته فى استقبال عدد من الأعضاء الجدد وكلماته فى تأبين من مضى إلى رحاب الخالدين.

وإذا كان الدكتور منتصر قد أبلى أحسن البلاء فى هذا المحراب وعلى الصعيد الوطنى فقد امتد نشاطه إلى الساحة العربية، فقد اختارته الكويت فى أوائل الستينيات مديرا لجامعتها المنشأة فوضع لَبِنَتَها الأولى وأرسى قواعدها وعاد للوطن عام ١٩٦٤م. ثم أرادت المملكة العربية السعودية أن تستفيد بخبرته الجامعية الواسعة فأعير إليها مستشارا لشؤون الجامعات بها عام ١٩٧٥م ومضى بها بضع سنوات ليعود إلى المجمع ليواصل رسالته العلمية واللغوية، وإلى جامعة عين شمس ليعمل أستاذًا متفرغا بكلية العلوم بها إلى أن ودع الحياة.

وعلى الساحة الدولية أيضا كان للفقيد نشاط كبير فهو عضو جمعية البيئة النباتية البريطانية وجمعية علم البيئة النباتية الأمريكية وجمعية تقدم العلوم الأمريكية وعضو الجمعية الدولية لعلم البيئة الصحراوية بالهند ومثَّل مصر فى العديد من المؤتمرات العلمية، فضلاً عن نشاطه على الصعيد القومى فهو عضو بالمجمع العلمى المصرى ورئيس سابق وعضو بالأكاديمية المصرية للعلوم والجمعية النباتية المصرية كما كان نقيبا للمهن العلمية لعدة سنين ورئيسا لجمعية خريجى كليات العلوم وأمينا عاما للاتحاد العلمى المصرى والعربى وللمؤتمرات والدورات العلمية التى ينظمها الاتحاد، كما شغل منصب الأستاذية بمعهد الدراسات الإسلامية وبمعهد الدراسات العربية. وقد نال الدكتور منتصر جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٧م وكان قد سبق أن نال جائزة التفوق العلمى عن كتابه "حياة النبات" عام ١٩٣٨م.

هذه صفحات ناصعة وضاءة من حياة فقيد المجمع المغفور له الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر الذى كان – رحمه الله – أحد علمائنا الأعلام فى بناء النهضة العلمية والثقافية فى مصر على مدى نيف ونصف قرن كما كان فارسا من فرسان اللغة العربية وحماتها طالما شهدنا بعمق فكره وأصالة علمه وطلاقة لسانه ورواء بيانه. لقد مضيتَ أيها الفقيد العزيز هادئا إلى رحاب الخالدين ولا أحسبك ودعت الحياة إلا راضيا بعد أن قدمت لوطنك أجل الأعمال ونشّأت

أجيالا من أبنائك وأتباعك وحوارييك يترسمون خطاك ويـسيرونّ علـى نهجك ويواصلون رسالتك الخالدة.

لعمرى لئـن خَطَفَتْك المنايا وَوَارتك تحت ظلام الحفـر
فما زلتَ فى كل نفس تعيـش عبـيرًا زكَـا وضياءً غمر

رحمك الله رحمة واسعة وأنزلك منازل الصديقين والشهداء، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الدكتور محمود توفيق حفناوى (*)

كان الفقيد العظيم الأستاذ الدكتور محمود توفيق حفناوى رائدًا بارزًا من رواد الحركة العلمية فى مصر، أبلى أحسن البلاء فى ميدان العلوم الزراعية، وأدى لوطنه أجلّ الأعمال، وأنشأ جيلا بل أجيالا من العلماء والزراعيين تفخر بهم مصر والعالم العربى.

عرفت الفقيد العظيم قرابة عشرين عاما ولكن معرفتى به توطدت وازدادت آصرة المودة والصداقة بيننا عاما بعد عام، وكان حينذاك قد أوصانى بابنه خيرا، والذى كان فى مستهل حياته طالبا بكلية العلوم يدرس علوم الحياة، ثم تخصص بعد ذلك فى دراسة علم الحشرات، وكان لى بمثابة الابن الروحى تعهدته بالرعاية العلمية والتشجيع المتصل لما لمسته فيه من مخايل الذكاء وصفاء الذهن والقريحة الوقادة، وكأنه

(*) من كلمة ألقيت فى حفل تأبينه يوم الأربعاء ٢٨ من ذى القعدة سنة ١٣٩٧هـ، الموافق ٩ من نوفمبر سنة ١٩٧٧م. مجلة المجمع، العدد (٤٠).

صورة مصغرة من والده العظيم، وحصل ذلك النابغة على درجة البكالوريوس بمرتبة الشرف الأولى، ثم تابع دراسته العليا معى، فحصل على درجة الماجستير ثم درجة الدكتوراه فى زمن قياسى، دليلا على نبوغه وتفوقه. ولا يمكن أن أصف فى كلمات كيف كان والده يتابع فى فرحة غامرة فلذة كبده وهو يدرج فى مدارج الرقى مرحلة إثر مرحلة، وكان يسألنى دائما عن مدى تقدمه كلما التقينا فى رحاب هذا المجمع، وكان يقول لى: إن ابنى توفيق هو الوحيد بين أبنائى الذى سلك الطريق العلمى والأكاديمى نفسه الذى مضيت فيه فى مستهل حياتى. وكان دائم الدعاء له بالتوفيق والسداد. ولم أره قلقا تنتابه الهواجس كما رأيته حين شد ابنه الرحال إلى نيروبى فى كينيا للعمل بالمركز الدولى لبحوث الحشرات وهو مركز يختار الصفوة الممتازة من شباب الباحثين النابغين، للقيام بالبحوث العلمية فيه؛ لم أره قلقا كما رأيته فى تلك الأيام كأنه كان يقرأ صحف الغيب ويتوجس من شىء يخبئه القدر، وهو الذى امتحنه ربه قبل ذلك بسنوات، حين فقد وحيدته وحبيبته فى كارثة من كوارث الطيران، فكانت نائبة كبرى من نوائب الدهر هدت من كيانه، وعصفت بكل أركانه.

وكان القدر امتحن هذا الشيخ المكلوم مرة أخرى منذ سنة وبضعة أشهر حين فقد قرة عينه، ولده النابغة الدكتور توفيق بعيدا عن الوطن فى نيروبى، فى حادثة أليمة من حوادث السيارات، وهو الذى رحل إليها بغية الاستزادة من العلم والمعرفة — ويعلم الله كم أخذتنا الحيرة ونحن

نفكر مع أسرته الكريمة كيف ننقل خبر هذه الفاجعة الأليمة إلى الفقيد، وقلوبنا واجفة، ونحن نعلم شدة وقعها عليه كما نعلم كم كان هذا الابن أثيرًا لديه، بل كان أملَه المرتقب وأمنيتَه المبتغاة.

ولا أكون مبالغا إذا قلت : إن هذه النازلة التى نزلت بالفقيد قد عجلت بمنيته؛ فقد حطمت كيانه وقوضت بنيانه وأفقدته الرغبة فى الحياة وكان يردد بين الآن والآخر فى هذا المكان ونحن نتابع عملنا بالمجمع أنه برم بالحياة وسئمها، بعد الذى نزل به من ملمات ولم أكن أدرى وأنا أشد على يده قبيل وفاته أنى أودعه الوداع الأخير وأن هذه الروح الزكية الطاهرة ستمضى إلى بارئها بعد قليل لتصبح فى ذمة التاريخ ذكرى.

جرت عادة الدنيا بكل الذى نرى   إذا لم يكن يومًا عن الخطب مبعد
فصبرا وتسليما لكل ملمة   وليس لها صرف لما تتعود

ولد الفقيد فى الحادى والثلاثين من شهر مارس عام ١٨٩٤م وتلقى أول تعليمه فى الكُتّاب شأن الكثيرين فى ذلك الزمان، ثم التحق بمدرسة الناصرية ليتلقى تعليمه الابتدائى، ثم بالمدرسة السعيدية ليتابع دراسته فى المرحلة الثانوية، وفى كلتا المرحلتين كان شديد الإقبال على درسه جادا فى عمله يزينه عقل راجح ورزانة بادية وكان متفوقا على أقرانه، ثم التحق بعد ذلك بمدرسة الزراعة العليا، ساقه إليها ميل طبيعى نحو العلوم الزراعة، وتابع دراسته فى جد ومثابرة ومضى يرقى من سنة إلى أخرى لافتًا إليه الأنظار لنبوغه وتفوقه حتى حصل على دبلوم

الزراعة العليا عام ١٩١٧م، وكان ترتيبه الأول بين زملائه من الخريجين فى ذلك العام. وبعد تخرجه عين بوزارة الزراعة، وقضى بها أربع سنوات بالوظائف الفنية بمصلحة البساتين إلى أن أوفد فى بعثة علمية إلى جامعة كمبردج بإنجلترا عام ١٩٢١م وهناك برزت مواهبه وتفتقت قريحته، وخلال السنوات الثلاث التى قضاها بتلك الجامعة العريقة بهر أساتذته بتحصيله، وسعة اطلاعه وخلقه، وحصل فى النهاية على درجة تريبيوس فى العلوم البيولوچية بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٢٤م، وهو العربى الوحيد الذى حصل على هذه المرتبة من هذه الجامعة على أرجح الأقوال.

وقد كتب أحد أساتذته بجامعة كمبردج يقول عنه : "كان طالبا ممتازا متمكنا أعظم تمكن من مادته، ذلك إلى جانب ما يملكه من قدرة وسعة تفكير يبلغان أعلى المستويات ".

وعاد الفقيد بعد ذلك إلى الوطن فعين عام ١٩٢٤م مدرسا للمواد البيولوچية والوراثية بمدرسة الزراعة العليا، ثم كبيرًا للأخصائيين بوزارة الزراعة (مصلحة البساتين) عام ١٩٢٦م، وفى العام التالى عُيِّن أستاذًا مساعدًا لعلم النبات بكلية العلوم بالجامعة. وفى عام ١٩٣٠م اختير لكفاءته البارزة ناظرًا لمدرسة الزراعة العليا، ولم تكن سنُّه قد جاوزت السادسة والثلاثين بعد، وعندما انتظمت هذه المدرسة فى عقد الكليات الجامعية عام ١٩٣٥م اختير الفقيد عميدا لها فكان بذلك أول عميد

لكلية الزراعة بجامعة القاهرة، ولم تمض سنوات أربع حتى سعت إليه الوزارة فعين وزيرًا للزراعة ، وفى عام ١٩٤٤م عاد إلى وزارة الزراعة مستشارا فنيا لها، ثم أهَّلَتْه مكانته العلمية الدولية وذيوع صيته كعالم زراعى من الطراز الأول إلى اختياره بعد ذلك مديرا إقليميا لمنظمة الأغذية والزراعة التابعة لهيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٦م، وظل فى هذا المنصب الكبير أحد عشر عاما يشغله بجدارة واقتدار.

تمرس الفقيد بالبحث العلمى والزراعى سنين طويلة، وأبلى فيه بلاء حسنا ونشر الكثير من البحوث القيمة؛ طرق فى بعضها آفاقا جديدة لم يسبقه إليها أحد فى مصر، وكان رائدًا فى أكثر من مجال من مجالات العلوم الزراعية، ويمكن القول دون مجاوزة للحقيقة إن أول بحوث علمية زراعية أجريت فى مصر بيد المصريين قد أجراها الفقيد؛ إذ لم ينشر أو يكتب قبله فى علوم الزراعة إلا مشاهدات أو مقالات أساسها الخبرة وليس العلم والبحث العلمى المدعم بالأرقام، وقد نشر أول بحوثه منذ نحو ستين عاما ولم يمض على تخرجه إلا مدة وجيزة مما يدل على تأصل روح العلم والبحث العلمى فيه.

وبنظرة فاحصة لهذه البحوث يتبين أن الفقيد كان يضع يده على الموضوعات الزراعية البكر، وتناولها بالدراسة الجادة والتمحيص الدقيق وشق فيها دروبا جديدة للباحثين من بعده؛ فبحثه عن الفلورا المصرية الذى نشر فى عام ١٩٢٢م هو أول ما كتبه مصرى لتعريف النباتات

المصرية، وقد تبعه الكثيرون من الباحثين فى الفلورا المصرية التى لم يكن قد كتب عنها من قبل إلا قليل من الأجانب الزائرين، أمثال " دليل" إبان الحملة الفرنسية ثم " شوينفورت" ، و"سترا سبيرجر" منذ عشرات السنين، وقد تبع الفقيد الكثيرون فى تعريف النباتات المصرية مثل "أوليفر"، و "تاكهولم"، و"دارز"، و"حسيب" وغيرهم.

كما أن استنباط الفقيد لنوع جديد من اللوبيا المنيعة على مرض الصدأ وهو أخطر الآفات التى كانت تقضى على المحصول فى بلادنا كان أول استنباط لمحصول فى مصر منيع لا تصبيه الأمراض، ذى صفات خاصة مطلوبة. وقد مضى الباحثون إثر هذا فى استنباط محاصيل عدة لها صفة المناعة فاستنبطت أنواع القمح المنيعة على الصدأ وأصناف القطن المبكرة التفتح وغير ذلك مما درّ على البلاد فوائد جمة، ووفر ملايين الجنيهات كانت تذهب هباء كل عام ضحية أمراض النبات.

وفى مجال التعليم ــ تعليم العلوم الزراعية خاصة ــ كان الفقيد معلما ورائدا ومجددا من الطراز الأول فقد خص مدرسة الزراعة العليا بعنايته البالغة عندما ولى أمرها وعمادتها سنة ١٩٣٠م، وبذل جهودا متصلة خلال سنين عدة لتطوير برامج الدراسة بها وأحوالها، وكانت الدراسة بهذا المعهد تكاد أن تكون مقصورة على المواد العلمية الزراعية والتطبيقية التى اكتسبت بالخبرة والتجربة وعلى القليل من العلوم

البيولوچية الأصلية لذلك لم يجد الفقيد بدا من تغيير هذا الوضع بأكملـه وأدخل من المواد والموضوعات ما هو ضرورى لتفهم العلوم الزراعيـة وإرسائها على أسس علمية رصينة وحديثـة ومـن بـين هـذه المـواد والمقررات العلمية التى أدخلها الفقيد فى الدراسة لأول مرة، أو المـواد التى عمل على تطويرها: مادة الأراضى والمخصبات، وكيمياء التغذيـة والكيمياء الحيوية والوراثة وتربيـة الحيـوان والنحالـة والـصناعات الزراعية، وإنشاء وتنسيق الحدائق والنباتات الزهرية وتصنيف النبـات، كما أنشا عددا من الأقسام الجديدة لهذه المواد وبـذلك تحولـت مدرسـة الزراعة العليا إلى كلية زراعة حديثة تجرى البحـوث العاليـة وتأخـذ بأسباب العلوم الحديثة ، ولها من المقومات ما تواكـب بـه مقتـضيات العصر وتؤدى رسالتها نحو المجتمع على خير وجه.

كما عنى الفقيد بتنشئة جيل قوى من العلمـاء فـى شـتى العلـوم الزراعية بالتنمية الذاتية من ناحية وبإرسال البحوث إلى أوربا وأمريكـا للتخصص فى العلوم الزراعية المختلفة، وبذلك أنشأ قاعدة علمية راسخة وسدَّ نقصا كبيرا فى بيئة التدريس والباحثين المؤهلين. وما من أستاذ من الأساتذة المرموقين بالكليات الزراعية أو فى معاهد البحوث أو الزراعيين البارزين فى مختلف القطاعات إلا تتلمذ على الفقيد. وقد أسـهم هـؤلاء بقسط كبير فى النهوض بالتعليم الزراعى وبالبحوث العلمية الهادفة نحـو تدعيم ثروتنا الزراعية واقتصادنا القومى، وقد بلغ الكثيرون منهم مكـان الصدارة بين العلماء والوزراء، وشغلوا مناصبهم بجدارة فائقة.

كما أن الفقيد هو أول من أنشأ قسم الدراسات العليا لدرجتى الماجستير والدكتوراه بكلية الزراعة بجامعة القاهرة، وقد تخرج فيه الكثيرون من المتخصصين فى مصر والبلاد العربية.

وعندما تولى الدكتور توفيق حفناوى وزارة الزراعة منذ ثمانية وثلاثين عاما أخذ يسوس أمورها بحنكة بالغة، ودراية كبيرة، وقام بأعمال مجيدة وإنجازات رائعة، كان لها أحسن الأثر فى تنمية ثروتنا الزراعية والحفاظ عليها. ويجدر بى فى هذا المقام أن أذكر بعضا منها :

فقد لاحظ تدهور سلالات المحاصيل الزراعية، خاصة القطن، ووجد أن سبب ذلك هو زراعة السلالات المختلفة متجاورة ولذلك قسَّم الجمهورية إلى مناطق، وخصَّ كل منطقة بصنف من أصناف القطن يزدهر نموه فيها؛ وصدر تبعا لذلك قانون بتحديد مناطق زراعة أصناف القطن وذلك تفاديا لتدهوره وحفاظا على السلالات نقية دون خلط ميكانيكى أو تلقيح نباتى.

كما عمل الفقيد على تحسين صفات الحيوانات المصرية من حيث كمية الإدرار والدسم واللحم، وخاصة فى الأبقار والجاموس، وذلك بتربية سلالات تحمل هذه الصفات؛ كما شجع البحوث لاستنباط أنواع من المحاصيل منيعة على الإصابة بالأمراض. وكان الفقيد من أوائل المفكرين فى زراعة الفاكهة فى الأرض الرملية فى مصر وإخراج هذه الأفكار إلى حيز التنفيذ، بإنشائه مزارع أنشاص والجبل الأصفر

وغيرها، مما أضاف قدرا كبيرا إلى إنتاج الفاكهة وخاصة الحمضيات.

كما درس الفقيد ما نحتاجه من المحصول الخشبى ووجَّه الأنظار إلى سد النقص من الأخشاب المحلية؛ فسن قانون الأشجار الخشبية مما أفاد البلاد فائدة كبيرة، وشجع البحوث لانتخاب الأصناف الصالحة للتصنيع. وكذلك استقدم الفقيد الكثير من النباتات الاقتصادية والتى لم تكن معروفة فى مصر إبان رحلته الشهيرة إلى إندونيسيا وسيلان عام ١٩٣٣م، وكتب فى ذلك مع بعض معاونيه تقريرا قيما نشر عام ١٩٣٥م. وقد ذيله ببيانات مستفيضة بأسماء النباتات التى استقدمها من هذه البلاد النائية من بلاد الشرق الأقصى، وقد أحصيت منها بضع مئات بين شجر وبذور، وقد كتب عن كل نوع وصفا موجزا للنبات ، تضمن فائدته والهدف من استقدامه واسمه باللغة اللاتينية، والتقرير مرجع علمى يعتد به عن نباتات هذه البقاع، وقد أفادت مصر منه فائدة علمية وعملية.

وكان الفقيد من أوائل من نادوا باستخدام المياه الجوفية فى ريّ الحياض ريا صيفيا لاستكمال استغلالها فى زراعة محاصيل صيفية، بالإضافة إلى المحاصيل الشتوية التى تنتجها بالرى الحوضى.

إنّ المجتمع الدولى قد قدّر الفقيد حق قدره لخبراته الزراعية الواسعة وعمله الغزير فانتُخب عام ١٩٤٦م مديرا للمركز الإقليمى لدول الشرق الأوسط التابع لمنظمة الأغذية والزراعة، وهى إحدى المنظمات

الدولية لهيئة الأمم المتحدة، وظل يشغل هذا المنصب أحد عشر عاما طاف خلالها ببلاد الشرق الأوسط، وأجرى دراسات رائدة عن نظمها الزراعية، ويسر لها الكثير من أمورها؛ وسرعان ما انضمت هذه البلاد إلى المنظمة الدولية وحصلت بجهوده على خدمة الأخصائيين لها ، وقد فتح الباب على مصراعيه للعلماء والمتخصصين للعمل فى هذه البلاد واكتساب الخبرات بها، وإفادتها فى الوقت نفسه من تجاربهم وخبراتهم. كما جعل الفقيد مدينة القاهرة مقرا للمركز الإقليمى للمنظمة الدولية، مما أتاح لها أن تكون الإشعاع الزراعى لمنظمة الشرق الأوسط.

وإبان عمل الفقيد فى هذا المركز الدولى للأغذية والزراعة كان مما يشغل باله الزيادة المطردة فى عدد السكان، مع ضيق الرقعة الزراعية فى مصر؛ فاتجه اهتمامه إلى موضوع تنظيم النسل كأحد الوسائل التى تساعد فى حل هذه المشكلة، مستهدفا تحقيق مستوى معيشى مناسب لأفراد الشعب، وكتب فى ذلك كثيرا، كما ألقى محاضرة فى هذا الموضوع بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بدعوة منها فى الثانى من فبراير عام ١٩٥١ عنوانها "هل الإصلاح الاجتماعى يحتاج إلى تنظيم النسل فى مصر؟" وقد نشرت هذه المحاضرة فى كتيب قيم استعرض فيه المحاضر زيادة النسل فى العالم، والإنتاج العالمى من الغذاء وكفايته ثم تناول الموقف فى مصر والإنتاج المحلى والرقعة الزراعية وكفاية المحصول، وبعد ذلك عالج الموضوع اقتصاديا واجتماعيا وركز على ضرورة تنظيم النسل، واقترح الحلول العملية المناسبة لذلك.

لقد شرف الفقيد الكريم بعضوية هذا المجمع الموقر – مجمع الخالدين – عام ١٩٦٢م وقد استقبله فى ذلك الحين رائد عظيم من رواد الأدب والشعر هو المغفور له الأستاذ عزيز أباظة، ويطيب لى أن أنقل هنا سطورا من كلمته الرائعة فى وصف الفقيد؛ إذ قال : "إنه رجل أسنى الله حظه من قوة الحجة ومن سداد المنطق، يلقى بحجته الفاصلة هادئا كأنما هى حجة داحضة، ويصدع بمنطقه المستحصد مخافتا، ويظفر بالدليل من أقرب سبيل ، ثم يدفع به إلى صميم مستقره دون ما انشغال بالحواشى أو تحف بالفضول كل ذلك فى غير تظاهر أو دعوى ".

ثم بعد ذلك قال مخاطبا الفقيد: " إن المجمع حين آثرك فضمك إليه كان على بينة من أنه يشد أزره منك برجل لغة ونحو وبلاغه وأدب، وكان على بينة أيضا ، وذلك على خلاف ما استقر فى أذهان العامة، من أن هذه المجامع ليست مقصورة على خلفاء الأصمعى وأبى عبيدة وسيبويه، ولكنها تقوم على جهود هؤلاء تظاهرها وتظافرها جهود العلماء فى ألوان العلوم كافة. ومن أجل ذلك لن يشق عليك المجمع ولن يكلفك أن تبسط له علمك ديابيج الجاحظ وعبد القاهر، ولكنه مقتضيك أن تحيل معارفك إلى معان واضحة، وذلك هو أسلوب العلماء ".

ومنذ ذلك التاريخ وطوال خمسة عشر عاما إلى أن وافاه الأجل المحتوم ظل الفقيد العزيز يعمل فى لجان المجمع وجلساته ومؤتمراته فى همة لا تعرف الكلل، وقلما تخلف يوما عن اجتماعات لجنة علوم الأحياء

والزراعة، التى كان فيها الركن الركين والرأى الصائب والفكر السديد وخاصة فى مصطلحات النبات والزراعة، لخبرته الواسعة وعلمه الغزير فى هذا المجال، وكنا نستعجل لقاء الأربعاء لنسعد بالاستماع إليه والإنصات له فقد كان رحمه الله حلو المعشر كريم الصحبة، نبيلا بكل معنى الكلمة، عالما بكل معنى العلم.

وقد قامت لجنة علوم الأحياء والزراعة التى شرفنا بصحبته فيها – قامت بفضل جهوده وتوجيهاته بإنجاز نحو عشرة آلاف مصطلح فى علوم الحيوان والنبات والوراثة والزراعة، أضيف إلى هذا ما كان يحول للجنة من أسماء النبات والحيوان التى ترد بالمعاجم اللغوية التى يصدرها المجمع كالمعجم الوسيط والمعجم الكبير.

وكان رحمه الله دائم البحث فى القرآن الكريم لتحقيق أسماء النباتات الواردة فيه ويحاول معرفة مدلولها فى العلم الحديث كما كان كثير الرجوع إلى دوائر المعارف وأعمال المستشرقين للاستزادة من المعرفة فى العلوم البيولوچية وتقصي الحقائق العلمية... وجمع طوال حياته مكتبة عامرة بالكتب والمراجع العلمية والمعاجم اللغوية ، ومنها أمهات الكتب القديمة فى علوم النبات والزراعة، وقد تفضل رحمه الله بإهداء بعض هذه الكتب إلى مكتبة المجمع، كما زخرت مكتبة الفقيد بكتب أخرى كثيرة فى مختلف العلوم والآداب والفنون، فقد كان قارئا مستوعبا ممتازا، وكان يطرق فى حديثه معنا أبوابا كثيرة من المعارف الإنسانية.

ومنذ نحو أربع سنوات كتب كتابا عن "مصر والعرب عبر التاريخ"، ضمنه لمحات تاريخية وبيولوجية، وكان يعتقد أن التاريخ كان فى أول أمره سردا لفتوحات الملوك ومغامرات القواد، ثم أخذ المؤرخون يفسرون التاريخ بالنظريات الاقتصادية وهو اتجاه صحيح، ولكن هناك عوامل كثيرة أثرت فى التاريخ، وغيرت من اتجاهاته فهو يقول : يعرف الذين درسوا بإعجاب معارك الإسكندر ونابليون وجنكزخان أن البعوضة أو البرغوث أو القمل بما نقلته من أمراض مميتة من أوبئة فتكت وقتلت من الناس والمحاربين أضعاف ما قتله هؤلاء القواد العظام مجتمعين، وغيرت مجرى الحروب وبالتالى مجرى التاريخ.

وبالكتاب عرض لما كان للمصريين من فضل فى ابتكار التحليل النفسى والعلاج النفسانى، قبل ظهور فرويد بمئات السنين، كما تناول الكتاب موضوع اختلاط المصريين بالعرب ونتائج هذا التهجين، وبالكتاب لمحات تاريخية أخرى غاية فى الطرافة تعكس اهتمامات الفقيد بمختلف المعارف الإنسانية.

وقبل أن تدركه المنية بنحو عامين ناقش الفقيد معنا فى لجنة علوم الأحياء والزراعة فكرة هو صاحبها، وهى أن طلابنا فى المعاهد والجامعات فى حاجة ماسة إلى معجم بيولوچى وسيط على غرار معاجم بنجوين، يتداولونه ويستعملون منه مصطلحات صحيحة أقرها المجمع فى علوم الأحياء والزراعة. ولما عرضت هذه الفكرة ــ فكرة إنشاء معجم

من هذا النوع – على مكتب المجمع وافق عليها، وقد بدأ العمل لتحقيقها فعلا وتأمل اللجنة أن يتم إنجاز هذا المشروع الذى اقترحه الفقيد فى وقت ليس ببعيد(*).

ويجدر بى أن أشير هنا فى هذا المقام إلى أن اهتمام الفقيد بترجمة المصطلحات العلمية وتعريبها ووضع المقابلات الصحيحة لها باللغة العربية يرجع إلى أمد بعيد، فمنذ أكثر من خمسين سنة عندما عاد الفقيد من البعثة عام ١٩٢٤م وبعد تغيير الدراسة من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية فى مدرسة الزراعة العليا قام بترجمة المصطلحات العلمية الإنجليزية ونقلها إلى العربية، وألف كتابين فى علم الحيوان وفى علم النبات باللغة العربية؛ فكان رحمه الله من أوائل من كتب عن هذه العلوم باللغة العربية فى معاهدنا العلمية.

وقد امتد نشاط الفقيد إلى بعض الهيئات والجمعيات العلمية فى مصر؛ فكان عضوا بالأكاديمية المصرية للعلوم ورئيسا لها، وعضوا بالمجمع المصرى للثقافة العلمية، كما انتخب رئيسا للجمعية المصرية لعلم الحشرات عام ١٩٤٠م، وقد ظل فى رئاسته للجمعية قرابة عشرين عاما، وكان كذلك من الرعيل الأول الذى أسس أول مجلس للبحوث العلمية فى مطلع الثلاثينيات، والذى تحول بعد ذلك إلى المركز القومى

(*) تم بعد ذلك إنجاز هذا المعجم بجزأيه.

للبحوث، أكبر قلعة للبحث العلمى فى مصر فى الوقت الحاضـــر، كمـــا اشترك فى الكثير من المؤتمرات العلمية المحلية والدولية، وأســـهم فيهـــا بعلمه وخبرته.

وهكذا كان الفقيد ممن أرسوا قواعد النهضة العلمية فى مصر وسار بها شوطا بعيدا نحو التقدم، كما كان له دور كبير فى النهوض بثروتنـــا النباتية، وجهود رائعة مذكورة فى الميدان الزراعى فى مصر بالفـــضل والسبق والريادة فهو أبو الزراعيين بحق وعميدهم وإمامهم.

إذا كان سجل أعمال الراحل الكريم زاخرا هكذا بهـــذه الـــصفحات الناصعة الوضاءة، وإذا كان تاريخ الزراعة فى مصر حين يكتب سيكون الفقيد من معالمه الشاخصة ودعائمه الراسخة، فإنه أيضا كـــان ذا خلـــق عظيم. كان طيب القلب دمث الطبع، رفيع النفس رقيق الحاشـــية عـــف اللسان، سمحا فى قولـــه وعمله، سمحا فى لقائه وحديثـــه، ســـمحا فـــى الشدائد؛ امتحن فى فلذة كبده فصبر وامتثل لقـــضاء الله ، امـــتحن حـــين عصفت به المقادير واستُولى على أرضه التى فلحها وأصلحها وســـواها وأنفق عليها كل ماله وجل معاشه فصبر، وامتثل لما خبأه له القدر وكان شديد الإيمان بالله وبما قسم له.

أستاذى الفقيد العظيم:

لقد مضيتَ هادئا إلى الرفيق الأعلى كما كنتَ هادئا فى حياتك؛ ولا أحسبك ودعت الحياة إلا راضيا ، بعد أن قدمت لوطنك جلائل الأعمال، ونشَّأْتَ أجيالا من أتباعك وحوارِيِّيك يترسمون خطاك ويسيرون على نهجك ويواصلون رسالتك الخالدة، ولن ننسى أيها الراحل العزيز أنك كنت لنا فى هذا المحراب إشعاعا وإشراقا، نتحلق حولك ونستمتع بطلاوة حديثك، وعمق فكرك وأصالة علمك ورجاحة عقلك.

رحمك الله رحمة واسعة، وأنزلك منازل الأطهار والأبرار.

الدكتور سليمان حزين (*)

فقدت مصر والمجتمع العلمي والثقافي قمة من قممنا العلمية الشامخة ورائدًا من رواد ذلك الجيل الأشم - جيلِ العمالقة الذى أسهم فى بناء النهضة العلمية والثقافية فى مصر ودفع حركتَها خطواتٍ فسيحةً إلى الأمام على مدى خمسة وستين عامًا من حياته العلمية التى زخرت بأروعِ الإنجازات وأجلّ الأعمال، أداها بهمة منقطعة النظير حتى آخر يوم فى حياته - بذل الكثير من عصارة فكره وعلمه لتنشئة جيل بل أجيال من شباب العلماء ينتشرون فى كل رجًا من الأرجاء. وستظل بحوثُه ودراساتُه ومقالاتُه التى ربت على الخمسمائة فى مجالات العلم والثقافة شاهدًا على عمق فكره وسعة أفقه ورجاحةِ عقله كتبها بلغة عربيةٍ وأجنبيةٍ يملك ناصيتَها دبَّجَها ببراعة فى مُكنة واقتدار - كان فى ذلك كله نسيجَ وحدِه بين العلماء ورواد الثقافة المعاصرين لا فى مصر وحدها بل

(*) من كلمة ألقيت فى حفل تأبينه فى يوم الاثنين ٧ من ذى الحجة سنة ١٤٢٠هـ، الموافق ١٣ من مارس سنة ٢٠٠٠م مجلة المجمع، العدد (٩٢).

فى الوطن العربى قاطبةً. إنه العالم الموسوعى المغفوُر له – بـــإذن الله – الأستاذ الدكتور سليمان حزين عميدُ الثقافة العربية وإمامُ الجغرافيين فى مصر وشيخُهم المعلى فى الوطن العربى.

عرفت الفقيدَ العظيمَ منذ ثلاثة وستين عامًا ســـنة ســـت وثلاثـــين وتسعمائة وألف (١٩٣٦م) – كان قد عاد منذ قليل من بعثتِه بإنجلترا بعد حصوله على درجة الدكتوراه من جامعة مانشستر عام ألـــف وتـــسعمائة وخمسة وثلاثين (١٩٣٥م) – كان شابا فى السابعة والعشرين من عمـــره متوقد الذكاء يتدفق نشاطًا وحيوية حضر إلينا فى كلية العلوم لنشارك معا فى رحلة إلى اليمن كنا نعد العدةَ لها ، وكان ــ رحمه الله ــ قد حـــصل على منحةٍ من جامعة القاهرة للسفر إلـــى الـــيمن لدراســـة تضاريـــسها وصخورِها ولإثبات نظريةٍ كان قد توصل إليها إبـــان دراســـته لدرجـــة الدكتوراه، وكان هدفُنا نحن من هذه الرحلة التى استمرت سبعةَ أشهر هو دراسةَ الفونة الحشريةِ باليمن واستجلاءَ نظريـــةٍ عـــن هجـــرة الجـــراد الصحراوى الذى يغير على مصر والأقطار العربية من هـــذه المنـــاطق النائية.

تعددت اللقاءات مع الفقيد قبيلَ الرحلة وبعدها وكنا متقاربين فـــى السن وازدادت آصرة المودة بيننا عندما عملنا معا فى هذا المجمع العريق نسوس أمورَه معًا قرابةَ أربعين عامًا حتى قبيل رحيلِه وانتقالِه إلى جوار ربه مع الصديّقين والشهداء، وقد عرفت خلال هذه السنوات جوانبَ مـــن

شخصيتِه الفذةِ والخَيّرة وعلى فكرِه الثاقب وبصيرتِه النافذة وما حباه الله من نفحة من علمه وقبسٍ من نوره رفعاه إلى مصاف الرواد والمفكــرين العظام وعلماء مصر الأعلام.

مولده ونشأته:

وُلد – رحمه الله – فى الرابع والعشرين من شهر مايو عام ألــف وتسعمائة وتسعة (١٩٠٩م) على ضفاف النيل فى مدينة وادى حلفا حيــث كان والدهُ يعمل فى حقل التعليم، ولم يلبــث الأبُ أن عــاد إلــى قريتــهِ (الوفائية) مسقطِ رأسه فى محافَظةِ البحيرة ومعه الصبىُّ سليمان لينشأ فى ريف مصر يتفيأ ظلالَه ويعيش بين مروجه الخضراء ويتــنفس عطــرَه وأريــجَه – ثم يلتحقُ بكُتَّاب القرية ويحفظُ على يد الشيخ عبد الله شــيحة ما تيسر من القرآن الكريم ويتعلمُ مبادئ علم الحــساب وقواعــدَ اللغــة العربية، وكان اتجاهُ الأسرة وقد لمست فى ابنها النجابةَ وبدت عليه مخايلُ الذكاء أن يسلك طريقَ الأزهر ليكون بين علمائه فى قابل الأيام – ولكــن الفتى آثر التعليمَ العام فيلتحقُ بالمدرسة الابتدائية وتتفتحُ ملكاتُه ويحــصلُ على الشهادة الابتدائية بتفوق ثم يمضى إلى مدرسة طنطا الثانوية ليلتقــى بأساتذةٍ فى اللغة علماء، بينهم الشيخُ محمد هاشم عطيــة والــشيخُ أحمــد خاطر فيزدادُ شغفًا بلغة القرآن ويُقبلُ على آدابها شعرًا ونثرًا ليحفظَ منه الكثيرَ ويحاولُ فى هذه السن الباكرة أن يكون شاعرًا – ولكنــه انــصرف إلى دراسته وحصل على شهادة البكالوريا عام خمسة وعشرين وتسعمائة وألف (١٩٢٥م)، وكانت الجامعةُ المصريةُ فــى صورتــها الجديــدة

(الحكومية) قد أنشئت وفتحت كليةُ الآداب بها بابَ القبولِ لأول دفعة من الطلاب فيعزفون عنها فمستقبلُ خريجها مجهول، ولكن سليمان يكون ثانَى اثنين يغامران بالالتحاق بها فقد تحركت فيه روحُ الشاعر القديم التى تتطلع دائمًا إلى ما وراء الأفق وتَبعه بعد ذلك فئةٌ أخرى من الطلاب.

حياته العلمية بالجامعة وريادته للثقافة العربية:

يتابع الفقيدُ حياتَه العلمية بكلية الآداب بجامعة القاهرة فى قسمين من أقسامها هما قسم الجغرافيا (والعلوم السياسية)، وقسم الاجتماع (والدراسة الفلسفية) وأتم دراستَه بالقسمين فى آن واحد وحصل على ليسانس الآداب فى الجغرافيا فى يوليه ١٩٢٩م وليسانس الآداب فى الاجتماع فى سبتمبر من نفس العام وكلاهما بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، و فى أثناء دراستِه كان كثيرَ التردد على قسم اللغة العربية – اللغةِ التى يعشقها – وتنشأ بينه وبين عميدِ الأدب العَربى مودةٌ ويصبح من مريديه والمقربين إليه. وبعد تخرجه توفده جامعة القاهرة فى بعثةٍ علميةٍ إلى إنجلترا فى يولية ١٩٣٠م حيث حصل على درجة الماجستير من جامعة ليفربول عام ١٩٣٣م وعلى درجة الدكتوراه من جامعة مانشستر عام ١٩٣٥م. ومن هذه الجامعة حصل على جائزة ومنحة لانجتون لدراسات ما بعد الدكتوراه. وكان المصرى الوحيدَ الذى يحصل على هذه الجائزةِ والمنحة المتميزةِ وقدْرُها (١٠٠٠) ألفُ جنيهٍ إسترلينى سنويًّا لمدة ثلاث سنوات.

واستمرت دراستُه فى البعثة العلمية خمسةَ أعوام ونصف العـــام فى جامعات إنجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وتوطدت صلاتُه العلميةُ مع عدد من العلماء فى هذه الجامعات.

وما إن عاد رحمه الله إلى أرض الوطن حتى عين مدرسًا بكليـة الآداب بجامعة القاهرة، وكان كالعهد به طلقَ اللسان والبيـان وطـرازًا فريدًا فى الدرس والتدريس – وحين أنشئت جامعةُ الإسكندرية وقع عليـه الاختيارُ لإنشاء قسم الجغرافيا بها وكان أولَ رئيسٍ لـه، وبعـد ثـلاث سنوات فى عام ١٩٥٠م يعين مديرًا عامًّا ثم وكيلَ وزارة للثقافة بـوزارة المعارف فينهضُ بإدارتها نهضةً شاملة ويوطدُ علاقات مـصر الثقافيـة بالبلاد العربية والعالم الخارجى بفضل ما عُرف عنه من سـعةِ الأفـق وعمقٍ فى الفكر وسدادٍ فى الرأى.

ويكونُ من حظ التعليم الجامعى أن يعودُ الدكتور حزين إلى ميدانه مرةً أخرى حين يُعهد إليه بإنشاء جامعة أسيوط ويعينُ مديرًا لهـا عـام ١٩٥٥م وظل بها عشَر سنوات متصلةٍ ينميها ويطورُها بعـد أن بـدأت الدراسةُ بها عام ١٩٥٦م حتى استقرت وتبوأت مكانتَها بـين زميلتيهـا بالقاهرة والإسكندرية حاملةً مشعلَ العلم والثقافة فى صعيد مصر.

حين يؤرَّخُ للتعليم الجامعى وللثقافة العربيـة فـسيكون الـدكتورُ حزين من قممها الشامخة ومعالمها البارزة فقد تعددت أعمالُه الإنـشائيةُ

العلميةُ والثقافيةُ الرائدة على الصعيدين القومى والدولى فقد أنشأ المركـــزَ الثقا فى المصرى فى بريطانيا وكان أولَ مديرٍ له عام ١٩٤٣م بلندن، كما شارك فى الدراسات الخاصة بإنشاء هيئة اليونسكو والتى عقدت فى لنــدن وباريس عام ١٩٤٤م ثم إنــشاءِ المركــز المــصرى للثقافــة العربيــة والإسلامية بمدريد عام ١٩٥٠م و فى عام ١٩٤٧م كان مؤسسًا مــشاركًا لكل من متحفِ الحضارةِ المصرى بالقاهرة ومعهدِ الدراسات الــسودانية (حاليًّا معهد الدراسات الإفريقية) بجامعة القاهرة.

كما قام الدكتور حزين على شؤون التعاونِ الثقافى بــين مــصر والدول العربية و فى مقدمتها المملكةُ العربيةُ السعودية والكويتُ، وله دورٌ تاريخى فى بناء الثقافةِ العربيةِ. وفى عام ١٩٦٥م يختارُ وزيرًا للثقافــة فيسوس أمورَها فى مكنة واقتدار ويضفى عليها الكثير من خبرتِه الواسعة.

ولا يكاد الدكتور حزين يتركُ الوزارة حتى تسعى إليه هيئةُ الأمم عرفانًا بفضله وغزير علمه فتسند إليه إدارة المركز الديموغرافى بالقاهرة (١٩٦٨ – ١٩٨٠م) وهو المركزٌ المتخصصٌ فــى بحــوث ودراســات السكان فى دول إفريقيا والشرق الأوسط فنهض بالأمانة على خير وجــه وأبلى فيه أحسن البلاء على مدى سنين عددا.

نشاطه فى الجمعيات والهيئات العلمية:

وقد امتد نشاط الدكتور حزين إلى العديد من الهيئات والجمعيات العلمية التى سعدت برئاسته مثل المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية (١٩٥٤م) والاتحاد الأفروأسيوى للجغرافيين (١٩٥٦م) والاتحاد الجغرا فى العربى (١٩٦٢م) واللجنة الدائمة للشؤون الاجتماعية بجامعة الدول العربية لمدة (٢٠) عشرين عامًا متصلة (١٩٥٦ – ١٩٧٦م) أو سعدت بعضويته مثل مجمع البحوث الإسلامية مند إنشائه (١٩٦١م) والمجلس الأعلى للثقافة.

وجدير بالذكر أن الدكتور حزين تبرع بمكتبته للجمعية الجغرافية أقدم الجمعيات العلمية فى مصر (١٨٧٥م) بعد المجمع العلمى المصرى ورأسها سنوات طويلةً ونهض برسالتها العلمية والثقافية حتى غدت صرحا شامخًا للدراسات والبحوث الجغرافية.

كما رأس المجمعَ العلمىَّ المصرىَّ أقدم المجامع العلمية فى الشرق الأوسط والمنطقة العربية (١٧٩٨م) وامتدت رئاستُه لهذا الصرح العلمى العريق (٣٥) خمسةً وثلاثين عامًا حتى يوم رحيله، وقد عمل رحمه الله على رفعته وتطويره وتحسين مبناه وتجديد مرافقه وتوثيق مكتبته الضخمة بالحاسب الآلى وأضفى عليه من شخصيتهِ الفذةِ المعطاءة وعلمِه الغزير وثقافتهِ الواسعة ما جعله اليومَ درةً لامعة بين المجامع والجمعيات العلمية والثقافية فى مصر ينشر نورَ العلم ويعلى منارَه منذ نشأته

حتى اليوم وذلك بفضل جهوده وجهود أعضائه من علماء مصر الأعلام.

وهناك هيئتان كبيرتان كان فيهما – رحمه الله – قطبا وفارسَ ميدان هما مجمعُ اللغة العربية والمجالسُ القومية المتخصصة - ففى مجمع الخالدين كان مقررًا للجنة مصطلحات الجغرافيا ومقررًا للجنة التربية وعلم النفس وقد أشرف فيهما على دراسةِ الآلاف من المصطلحات ووضعِ المقابلات العربيةِ لها وشروحِها - وتجلت قدرتُه فى هذا المجال فى صوغِ المصطلح العلمى صوغًا دقيقًا ساعده فى ذلك حصيلتُه الفائقة من اللغات العربية والإنجليزيةِ والفرنسية.

و فى المجالس القومية كان مقررَ المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى منذ نشأته عام ١٩٧٤م ورئيسًا لشعبة الثقافة بالمجلس القومى للثقافة وقد أدى فيهما أجلَّ الخِدمات بعلمه وريادته وترك بصماتٍ واضحةً ومؤثرةً فى تأصيلِ وتطويرِ التوجيه العلمى الإستراتيجى فى مصر، وكان يقودُ كافَّة أعمالِ تلك النخبةِ المتميزةِ من علماء مصر وأساتذتها أعضاء المجلس وشُعبِه المختلفة.

بحوثه ومؤلفاته ومدرسته العلمية:

وقد أثرى الدكتور حزين المكتبةَ العلمية بالعديد من المؤلفات التى زادت على مائةِ مؤلفٍ علمى باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية منشورةً فى العديد من المجلات والدوريات والمؤتمرات العلمية الدولية فى

مصر والخارج والتى بلغت نحو مائةِ مؤتمر، ودلت هذه البحوث والمؤلفات على المدى الذى ذهب إليه ـ رحمه الله ـ فى خدمة العلم وطلابه وقدم من خلالها ربطًا فريدًا بين الدراسات الجغرافية الطبيعية والدراساتِ الجغرافية البشرية وحقق بأسلوبه هذا تكاملا علميًّا وبروزًا حضاريًّا وخدماتٍ مثلى للدارسين – وهو صاحبُ مدرسةٍ فى البحوث والدراسات الجغرافية بدأ نشرُها منذ عام ١٩٣٦م وعلى مدى ٦٠ عامًا هذا عدا المئات من الأحاديث والمقالات والمحاضرات التى نشرها أو ألقاها وأثرى بها حياتَنا الفكرية وعالج فيها الكثيرَ من مشكلاتنا القومية وقضايانا العلمية والاجتماعية والثقافية، عالجها بحكمته البالغة وفكره المستنير.

ومن أبرز مؤلفاته:

١- نشأةُ الحضارة فى مصر (١٩٣٩م).

٢- مكانة مصر فى حضارات عصر ما قبل التاريخ (١٩٤١م) وهو مؤلف ضخم يقع فى ٥٠٠ صفحة ويعد من كتب العيون بالنسبة للباحثين والدارسين وكان لهذا الكتاب أثرُهُ الواضحُ فى أن يحتل صاحبُه مكانتَه البارزةَ بين علماء ما قبل التاريخ، وكان الفقيد قد ضمّن هذا المؤلفَ ما توصل إليه من نتائج عندما قام بحفائرِ للكشف عن آثار ما قبل التاريخ فى الفيوم (١٩٣٧- ١٩٣٩م).

٣- بحثٌ عن تطورات المناخ فى شبه جزيرة سيناء.

٤- بحثٌ عن نهر النيل وتطوره الفيزيوغرافى – ذلك النهر الخالد الذى

عشقه وكتب عنه الكثير وعن أثره فى الحضارة المصرية.

٥- مؤلفٌ عن حضارة مصر - أرض الكنانة ويقع فى ٣٢٧ صفحة (١٩٩١م).

٦- مؤلف عن أرض العروبة : رؤيةٌ تاريخيةٌ فى الزمان والمكان ويقع فى ٤٠٢ صفحة (١٩٩٣م).

٧- ومؤلفٌ آخر ضخم عن مستقبل الثقافةِ فى مصر العربية ويقع فى ٥٣٢ صفحة (١٩٩٤م).

هذا عدا العديد من مؤلفات وبحوث أخرى جغرافيةٍ وتاريخيةٍ لها قيمتُها العلميةُ البالغة، أورد منها ٢٧ مؤلفًا فى سيرتِه الذاتية العطرة.

ولبحوثه وإنجازاته الرائدة ومكانته العلمية البارزة نال العديدَ من الجوائز أبرزُها جائزةُ الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية عام ١٩٧١م وعلى أوسمةٍ من مصر والأردن وسوريا والعراق وفرنسا إذ تجاوز فى آثاره ونظرياته الجديدة نطاقَ وطنِه فنال تقديرَ الهيئات العلمية العالمية وارتفع بعلمه إلى مصاف العلماء الأفذاذ.

إذا كانت حياةُ الراحل الكريم المغفورِ له الأستاذِ الدكتور سليمان حزين عميدِ الجغرافيين والثقافة العربية حافلةً هكذا بصفحاتٍ ناصعةٍ وضّاءةٍ تعكس أعمالَه ومنجزاتِه العلميةَ الباهرة فإنه أيضًا كان على خلق عظيم. كان طيبَ القلب دمثَ الطبع رفيعَ النفس رقيقَ الحاشية سمحًا فى قوله وعمله سمحًا فى لقائه

وحديثِه كان خيّرًا وصالحًا وكريمًا يتمسك بالـدين وذا ثقافةٍ إسلامية واسعة.

أيها الراحل الكريم:

لقد مضيت هادئًا إلى الرفيق الأعلى ولا أحسبك إلا راضيا بعد أن قدمت لوطنك أجلَّ الأعمال ونشّأت أجيالا من أبنائك وحوارييك سوف يترسمون خطاك ويسيرون على نهجك ويواصلون رسالتك الخالدة. ولن ننسى أنك فى هذا المحراب كنت إشعاعًا وإشراقًا يتحلق حولك كوكبة من تلاميذك وزملائك يسعدون بطلاوة حديثِك وعمقِ فكرِك وثقافتك الواسعة. ويطيب لى فى هذا المقام قول شاعر كريم فى راحل عظيم وأقول :

أرحلت حقًّا عن مجالس علمنا — كلا لذلك لن أقول وداعًا

كيف الوداعُ وأنت باق بيننا — علمًا أصيلا قد بَنَيْتَ قلاعًا

كنت الحديثَ العذبَ فى أعماقنا — نهفو إليه نمتع الأسماعا

قد مجدوا فيك الأصالة والنهى — وخلائقًا علويةً وطباعا

وعزيمةً جبارةً وزكانةً — لماحة وتوقدا لماعا

رحمك الله أيها الراحل العظيم رحمةً واسعة وطيب ثراك ورضى عنك وأرضاك، فقد كنت فى الحياة نورًا يهدى الناس سواء السبيل، ستظل فى الممات ذكرى تنفع المؤمنين.

الدكتور عبد العظيم حفنى صابر (*)

نحن اليوم أمام ذكرى عالم من علماء المجمع الأعلام ودعته مصر منذ أيام ذلكم هو المغفُور له الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفنى صابر رائدُ العلوم الصيدلية فى مصر والعالمِ العربى - مضى إلى الرفيق الأعلى بعد أن أبلى فى حياته الدنيا أحسن البلاء وأدى لوطنه وللعلم والمجمع والجامعة أجلَّ الأعمال والمنجزات على مدى نيف وستين عاما بذل خلالها الكثير من عصارةِ فكره وعلمِه ليثرى معارفنا عن علوم الصيدلة وعن النباتات الطبية والعقاقير، وأخذ بيد الطلائع من شباب علمائنا لتنشئة أجيال منهم تفخر بهم مصرُ اليوم وتزهو - وحين يؤرَّخ لعلوم الصيدلة فى مصر فسيكون الدكتور حفنى صابر من معالمها البارزة ورموزها الشاخصة - ولاشك أنه كان بين معاصريه من علماء الصيدلة أرسخَهم قدما وأعمقهم أثرا وأغزرهم معرفة وعلمًا.

(*) من كلمة ألقيت فى حفل تأبينه يوم الاثنين٣ من المحرم سنة ١٤٢٠هـ، الموافق ١٩ من أبريل سنة ١٩٩٩م. مجلة المجمع، العدد (٨٩).

عرفت الفقيدَ العزيز منذ نحو خمسين عاما حين كان رئيسا للاتحاد العام لطلاب جامعة فؤاد الأول وكنتُ رئيساً للجنة العلاقات الخارجية بالاتحاد ورئيسا لاتحاد كلية العلوم بالجامعة - وقد أدت طبيعة العمل المشترك بالجامعة إلى توثيق آصرة المودة بيننا وازداد رباطنا فى رحاب الجمعيات والمؤتمرات العلمية وفى هذا المحراب على مدى سنوات عديدة كان خلالها مثلا يحتذى فى العطاء والخلق الرفيع والقدوة الصالحة.

ولد الفقيدُ فى إحدى قرى مركز دكرنس بمحافظة الدقهلية فى السابع عشر من يناير عام ١٩٠٨م ، وفى كتّاب القرية تعلم القراءة والكتابة وحفظ جزأين من القرآن الكريم ثم تابع دراستَه الابتدائيةَ بمدرسة محمد على بالقاهرة، وبعد أن أنهى هذه المرحلةَ التحق بالمدرسة الخديوية وحصل على شهادة إتمام الدراسة الثانوية عام ١٩٢٥م وكانت جامعة فؤاد الأول قد فتحت أبوابها فى ذلك العام لاستقبال الطلاب بعد تطويرها فبادر الفقيد بالالتحاق بكلية العلوم بالدراسة الإعدادية لكلية الطب لمدة عام ينتقل بعدها إلى كلية الطب لدراسة علوم الصيدلة ولم تكن لعلوم الصيدلة كلية مستقلة كما هو الحال الآن، وقد تابع دراسته بشغف كبير يعكس رغبته المبكرة فى دراسة هذا العلم وحصل على درجة البكالوريوس فى الصيدلة والكيمياء الصيدلية عام ١٩٢٩م أوفد بعدها فى بعثة علمية إلى جامعة لندن ليتابع دراسته العالية ويحصل على درجة دكتوراه الفلسفة فى العقاقير ليعود بعد ذلك مدرسا بقسم العقاقير

بكلية الصيدلة بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) عام ١٩٣٤م، وكان قبل إيفاده فى البعثة معيدا بهذا القسم.

بحوثه العلمية:

وما إن انتظم فى سلك أعضاء هيئة التدريس بالكلية حتى بدأ نشاطاً ملاحظاً فى البحوث العلمية فى علم العقاقير والنباتات الطبية حتى غدا فى نهاية المطاف أكبرَ حجةٍ علمية فى هذا المجال فى مصر والوطن العربى وبلغ عددُ هذه البحوث أكثر من مئة وعشرين بحثا. وقد تناولت هذه البحوث دراسات هادفةً كميةً وتحليلية لبعض العقاقير والنباتات الطبية فى مصر شملت تركيبها الكيميائى وتأثيرها الطبى والفارماكولوچى بالإضافة إلى دراسة الألكاليدات فى بعض هذه النباتات كالداتورا وغيرِها، ومنها بحوث لها قيمتها العلمية والتطبيقية العالية.

ومن مؤلفاته الأخرى:

١- كتاب بالإنجليزية عن دراسة العقاقير - يعد مرجعًا علميا هاما فى هذا المجال.
٢- كتاب باللغة العربية عن الغذاء والدواء فى القرآن الكريم بالاشتراك مع زميل، وأصدره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
٣- كتاب بالعربية عن تاريخ الصيدلة بالاشتراك مع زميلين، وأصدرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

٤- قاموس عربى إنجليزى وإنجليزى عربى للمصطلحات والألفاظ التى درست فى دستور الأدوية المصرى.
٥- دراسة عن النباتات الطبية العربية وما يجب نحوها عام (١٩٧٠م).
٦- العقاقير عند العرب (١٩٧٦م).
٧- النباتات الطبية والعوامل المؤثرة فى إنتاج العقاقير (١٩٦٩م).
٨- تاريخ الصيدلة فى مصر، بالإنجليزية (١٩٧٢م).
٩- تعليم العلوم الصيدلية فى مصر ولمحة تاريخية عنه (١٩٧٢م).

مدرسته العلمية وأعماله الإنشائية:

أنشأ الفقيد مدرسةً علميةً متميزة أشرف فيها على ٢٣ رسالة لدرجتى الماجستير والدكتوراه فى علم العقاقير والنباتات الطبية وتخرج على يديه المئات من المشتغلين بعلوم الصيدلة والعقاقير منهم اليوم أساتذة وعلماء كبار بالجامعات ومراكز البحوث منهم الأستاذ الدكتور جمال مهران الخبير بلجنة الكيمياء والصيدلة بالمجمع (*). وكان من طلبة الفقيد أيضًا المغفورُ لـه الأستاذ الدكتور سعد الدين كراوية الخبير بالمجمع فى اللجنة نفسها.

وقد عنى الفقيد بقسم العقاقير - الذى كان يرأسه - عناية بالغة واهتم بتطويره ونموه حتى غدا أهم الأقسام فى هذا الفرع بالجامعات

(*) ألقى الدكتور جمال مهران كلمة فى رثاء الفقيد الدكتور عبد العظيم حفنى صابر بالمجمع فى ذلك اليوم بمناسبة حفل تأبينه.

المصرية من حيث برامج الدراسة فيه ومكانتُه العالمية وعلماؤه الأعلام.
ومن بين إنجازاته إنشاء حديقة للنباتات الطبية بكلية الصيدلة شملت ٣٠٠ نوع منها مصنفةً ومعرفةً.

ـ وجدير بالذكر أن الفقيدَ الكريمَ قضى فى رحاب الجامعة أكثر من (٦٠) ستين عاما شغل خلالها مناصب مختلفةً فى السلّم الوظيفى لهيئة التدريس بالجامعة تدرج فيها حتى عين أستاذاً لعلم العقاقير بكلية الصيدلة - جامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقا) عام ١٩٤٩م ثم عميدا للكلية نفسها عام ١٩٥٦م واستمر يشغل العمادةَ عشرَ سنوات متتالية ثم أستاذًا متفرغًا حتى قبيل وفاته وانتقاله إلى الرفيق الأعلى.

نشاطه فى أكاديمية البحث العلمى والتكنولوچيا :

كان للفقيد نشاطٌ مرموقٌ بأكاديمية البحث العلمى حيث عمل مشرفا على تنفيذ البرنامج القومى للنباتات الطبية فى الخطة الخمسية الأولى والخطة الخمسية الثانية (١٩٨٢-١٩٩٢م) - مع زميله العالم الكبير الأستاذ الدكتور شفيق بلبع ، كما كان عضوا بالمجلس القومى لبحوث العلوم الأساسية بالأكاديمية وكذلك عضوا باللجنة القومية لتاريخ وفلسفة العلوم ومقررا للجنة لبضع سنوات بالأكاديمية.

نشاطه بالجمعيات العلمية وباتحاد الطلاب:

كان الفقيدُ منذ حياتِه المبكرة توّاقا للعمل العام، فبعد تخرجه بشهور كان أحدَ الأعضاء المؤسسين للجمعية الصيدلية المصرية عام

١٩٣٠م التى كان من أهدافها العملُ على النهــوض بـــالعلوم والبحــوث الصيدلية ونشر الثقافة العلمية فى هذا المجال وتشجيع العمل على إقامـــة الصناعات الصيدلية والدوائية - كما كان من أهــدافها الارتفـــاعُ بمهنـــة الصيدلة ، وقصَر الاشتغال بها على المؤهلين جامعيا، كما اشـــترك فـــى تأسيس الجمعية التعاونية لإنتاج وتوريد الأدوية والتى كان الهــدفُ مـــن تأسيسها هو كسر الاحتكار الأجنبى، وقد شغل الفقيد منصبَ أولِ أمـــينٍ عامٍّ لهذه الجمعية.

وكان أيضا عضوًا فى الجمعية النباتية المصرية وجمعية العقاقير الأمريكية وفى الجمعية العربية لأبحاث النباتات الطبيـــة وفـــى المجمـــع العلمى المصرى وفى الأكاديمية المصرية للعلوم.

وامتد نشاطُ الفقيد إلى مجالات جامعية أخرى فقــد اشـــترك فـــى تأسيس اتحاد طلاب الصيدلة، وقد انضم هذا الاتحادُ إلى الاتحـــاد العـــام لطلاب الجامعة وانتخب الدكتور عبد العظيم حفنى صابر رئيساً للاتحـــاد العام لطلاب جامعة فؤاد الأول وكان للاتحاد نشاطٌ ثقـــافى ورياضـــى واجتماعى كبير فى الداخل والخارج – كما انتخب رئيسًا لنادى أعـــضاء هيئة التدريس بالجامعة وقد قام بخِدْمات وأعمالٍ جليلةٍ للاتحاد والأعضاء على مدى سنوات عديدة.

المؤتمرات الصيدلية المحلية والدولية:

شارك الفقيد فى جميع المؤتمرات الصيدلية التى عقدت فى مصر ، كما شارك فى المؤتمرات الدولية والعربية الآتية :

١- مؤتمرات اتحاد الصيادلة العرب، فى الأعوام ٧٠ و٧٢ و٧٤ و١٩٧٦م...إلخ.

٢- المؤتمر الدولى للصيدلة المنعقد فى فيينا عام ١٩٨١م.

٣- المؤتمر الدولى السادس عشر للاتحاد الدولى لتاريخ وفلسفة العلوم – بوخارست – بولندا ١٩٨١م.

٤- المؤتمرات الصيدلية السنوية فى بريطانيا ١٩٣٢م – ١٩٣٤م.

نشاطه وأعماله بمجمع اللغة العربية:

وفى هذا المحراب فى مجمع اللغة العربية كان للفقيد نشاطٌ علمى ولغوى مرموق استمر أكثر من (٤٥) خمسة وأربعين عامًا؛ فقد اختير خبيرا للجنة الأحياء والزراعة عام ١٩٤٨م واختير خبيرا للجنة الكيمياء والصيدلة عام ١٩٦٧م ثم عين عضوا بمجمع الخالدين عام ١٩٨٥م وكان خلال هذه السنوات مثلا يحتذى فى العطاء والفكر المستنير والخبرة الواسعة ، وقد أنجز مع زملائه آلاف المصطلحات العلمية فى اللجنتين – كما اشترك فى الإشراف على إصدار معجم مصطلحات علوم الأحياء والزراعة ومعجم الكيمياء والصيدلة.

وقام بتمثيل المجمع فى ندوة تعريب مصطلحات علم الكيمياء التى أقامتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى عمان بالأردن عـــام ١٩٨٢م.

وفى يوم استقباله عضوًا جديدًا بالمجمع قال عنـــه المغفـــور لـــــه الأستاذ الدكتور حامد جوهر: " إنه ليسعد كثيرا بانضمام أعضاء جـــدد إلى المجمع يحملون معنا الأمانة ويحملون الشعلة ويشتركون معنـــا فـــى خدمة لغة القرآن الكريم ، ولكن سعادتى اليوم مضاعفة إذ أقدم لكم أخـــا عزيزا وصديقا قديما هو الأستاذ الدكتور عبد العظيم حفنى صـــابر، أول عضو يمثل العلوم الصيدلية فى المجمع ، والدكتور صابر لـــيس غريبـــا على المجمع فهو أقدم الخبراء بالمجمع منذ عام ١٩٤٨م".

مظاهر التقدير العلمى للفقيد فى الداخل والخارج :

١- نال الميدالية الذهبية لأحسن البحوث التى ألقيت فى مـــؤتمر اتحـــاد الصيادلة العرب، بدمشق عام ١٩٧٠م.

٢- نال الميدالية الذهبية من جمعية الصيدلة المصرية عام ١٩٧١م.

٣- منح وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٧٣م تقديرا لجهوده الممتازة فى إصدار دستور الأدوية المصرية.

٤- منح وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٠م.

٥- اختير مرتين رئيسا للجنة الدائمة لدستور الأدوية المصرى.

٦- اختير مشرفا على المشروع القـومى للنهـوض بالنباتـات الطبيـة وزراعتها فى مصر.

٧- اختير رئيسا فخريا مدى الحياة للجمعية العربيـة لبحـوث النباتـات الطبية.

٨- انتخب عضوا بمجمع اللغة العربية ، مجمع الخالدين عام ١٩٨٥م.

٩- نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم لعام ١٩٨٥م.

إذا كانت حياةُ الفقيد حـافلةً هكـذا بالخـصـوبـة والعطـاء وبالمنجزات العلمية البارزة حتى غدا رائد العلوم الصيدلية فـى مـصر والعالم العربى وشيخَ علمائها فإنه كذلك كان على خُلُقٍ عظـيم ، كـان هادئَ الطبع رقيقَ الحاشية جمَّ التواضع عفَّ اللسان، طيب الخلق وحلـوَ الشمائل والسجايا وكان صالحاً وتقيا.

تغمدك الله أيها الراحلُ الكريم بواسع رحمته

وأنزلك منازل الأطهار والأبرار.

الدكتور أبو شادى الروبى (*)

الدكتور أبو شادى الروبى عَلَمٌ من أعلام الطب فى مصر أسهم فى بناء النهضة العلمية والطبية والثقافية ودفع حركتها خطوات فسيحة إلى الأمام.

عمل جاهدًا طوال قرابة نصف قرن ينشر نور العلم ويُعلى مناره، ويأخذ بيد الطلائع من شباب علمائنا وأطبائنا فى رحاب الجامعة والمؤسسات الطبية والعلمية الأخرى، ويُعنى بتنشئة أجيال منهم يعلمهم ويدربهم لتتَّقِد فيهم جذوة العلم والعرفان. وقد مضى طوال حياته يحقق هذا الهدف ويوليه عنايته البالغة.

عرفتُ الفقيد العزيز قرابة ثلاثين عامًا فى رحاب الجامعة، وفى الجمعيات العلمية والثقافية، وفى هذا المحراب حين توثقت آصرة المحبة

(*) من كلمة ألقيت فى حفل تأبينه يوم الاثنين ٢٩ من شعبان سنة ١٤١٨هـ الموافق ٢٩ من ديسمبر سنة ١٩٩٧م. مجلة المجمع، العدد (٨٤).

والمودة بيننا، وكان خلال هذه السنوات مثلاً يحتذى فى العطاء والوفاء والعمل المثمر البناء.

ولد الفقيد العزيز فى الخامس من شهر مارس عام ١٩٢٥م فى حىّ القلعة بين مساجده وآثاره الإسلامية والعربية، فنشأ نشأة طيبة تمسك فيها بأهداب الدين وفضائله، عاش فى بيت علمٍ وأدبٍ وكرم فى المَحْتِد. فقد كان جده المرحوم محمد أبو شادى المحامى ممن رافقوا سعد زغلول فى حياته السياسية – والفقيد ابنٌ وحيدٌ تكبره ثلاث شقيقات وقد سُمى أبا شادى تيمنًا باسم خاله الدكتور أحمد زكى أبو شادى عميد كلية الطب بجامعة الإسكندرية – وهو الأديب الشاعر الطبيب الشهير مؤسس مدرسة أبولو مع الدكتور إبراهيم ناجى.

التحق الفقيد بمدرسة الحلمية الابتدائية وما إن أتم دراسته بها حتى مضى إلى مدرسة الحلمية الثانوية ومدرسة بمباقادن الثانوية، وهنا تفجرت ملكاته وتبدَّى ذكاؤه اللماح، وولعه الشديد باللغة العربية الذى بدأ فى سن مبكرة، وكذلك تفوقه فى اللغة الإنجليزية، فحصل على جائزة الثقافة العامة فى اللغة الإنجليزية وهو فى الرابعة عشرة من عمره، ثم على جائزة الأدب التوجيهى فى اللغة العربية لطلبة التوجيهية (الثانوية العامة) عام ١٩٤١م، وكانت حول مسابقة فى قراءة عشرة كتب لأدباء معاصرين منها "الأيام" لطه حسين ، و"المنتخبات" للطفى السيد، و"وحى الرسالة" للزيات ، و" فيض الخاطر" لأحمد أمين ، و" تحرير المرأة "

لقاسم أمين ، و"أهل الكهف" لتوفيق الحكيم ، و"ديوان إسماعيل صبرى". وقد امتحنه فى التوجيهية المرحوم الدكتور طه حسين والمرحوم الأستاذ على الجارم، واستمر ولعه باللغة العربية حتى اليوم وكذلك نهمه الشديد فى القراءة فى شتى فروع المعرفة من طب وعلم وثقافة وفلسفة وموسيقى وتاريخ ولغة.

وبعد أن أنهى الدكتور الروبى دراسته الثانوية بتفوق، حيث كان خامس التوجيهية عام ١٩٤١م التحق بكلية العلوم بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) ونال درجة بكالوريوس العلوم فى الكيمياء والأحياء عام ١٩٤٦م، ثم انتقل إلى كلية الطب وتخرج فيها عام ١٩٥٠م وحصل على درجة البكالوريوس فى الطب والجراحة، ثم واصل دراسته العالية فحصل على دبلوم طب المناطق الحارة عام ١٩٥٢م، ثم على دبلوم الأمراض الباطنة عام ١٩٥٣م، ثم حصل على درجة الدكتوراه فى طب المناطق الحارة عام ١٩٥٥م، عين بعدها مدرسًا بكلية الطب عام ١٩٥٦م ومضى فى مدارج الرقى أستاذًا مساعدًا فأستاذًا ورئيسًا لقسم الأمراض المتوطنة ولمجلس أقسام الباطنة بكلية طب جامعة القاهرة وذلك حتى عام ١٩٨٥م، ولما بلغ السن القانونية (الستين) أصبح أستاذًا متفرغًا عام ١٩٨٦م وظل يشغل هذا المنصب حتى لقى وجه ربه.

وإبّان حياته الجامعية سافر فى عدة بعثات ومهمات علمية للدراسة، واكتساب الخبرة العلمية، وبصفة خاصة فى أمراض الجهاز الهضمى

حتى غدا من رُوّاده وأساطينه فى مصر والعالم العربــى. ففــى عــامى ١٩٥٩م وَ ١٩٦٠م توفر على دراسات أمراض الجهاز الهــضمى فــى بريطانيا ، ودرس النظائر المشعة عام ١٩٦٤م بالقاهرة وعلوم المناعــة عام ١٩٦٦م ببيروت ، ومناظير الألياف الزجاجية الضوئية فى طوكيــو عام ١٩٦٩م، والوسائل الحديثة فى تشخيص وعلاج أمــراض الجهــاز الهضمى ببرستول بإنجلترا عام ١٩٨٣م ، كما شارك فى المئــات مــن المؤتمرات والندوات، ومجموعات العمل العلمية العالمية.

وقد ساعد ذلك فى إغناء معارفه الطبية العلميــة والعمليــة، فأنــشأ مدرسة يعتد بها فى طب المناطق الحارة، وأشرف على العديد من طلاب الدراسات العليا لدرجتى الماجستير والدكتوراه فى هذا المجــال، وعمــل على تدريب الكثيرين منهم. وكان للدكتور الروبى نشاط بحثى كبير، فقد نشر ثمانين (٨٠) بحثًا علميًّا فى مجالات الطب الباطني، وبخاصة فــى أمراض المناطق الحارة والحُمَّيَات، وأمراض الجهاز الهضمى والكبد.

وقد ألَّف الدكتور الروبى عددًا من الكتب فى الطب وتاريخه، كتبها بلغة عربية اتَّسمت بالسلاسة والوضوح والمكنة والاقتدار، منهــا كتــاب عن طب المناطق الحارة والأمراض المعدية ، وكتاب عن الكبد والمرارة والبنكرياس وأمراضها وعلاجها والوقاية منها ، وكتــاب عــن الجهــاز الهضمى وأمراضه والوقاية منها – وعــن تاريــخ الطــب نشر كتــاب " الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب "، وكتاب "محاضــرات

فى تاريخ الطب العربى" ويضم إحدى عشرة محاضرة منها "الأرجـوزة فى الطب لابن سينا"، والتراث الطبى عند العرب" و "الطـب الروحـانى للرازى" و "ابن النفيس فيلسوفاً". كما اشترك فى مؤلف كبير عن تـاريخ الطب فى مصر ضمن "موسوعة تاريخ الحركة العلمية فى مصر" التـى أصدرتها أكاديمية البحث العلمى، ومن فرط ولعه بتـاريخ الطـب عنـد العرب فإنه كما يقول عنه أستاذنا الدكتور حسن إبراهيم عنـدما اسـتقبله عضوًا بالمجمع : يكاد يحفظ كتاب القانون فى الطب لابن سينا عن ظهر قلب"، وشارك أيضًا فى تحقيق "الكليات" فى الطب لابن رشد – كما كتب العديد من المقالات والدراسات منها "الطب عند المسلمين" فى موسـوعة الحضارة الإسلامية، "نحو طب متكامل" ، و"مستقبل الإنسان"، و"ابن رشد طبيبًا"، و"حركة الترجمة وتعريب الطب" وغيرها. وكذلك أعـد مقـررًا شاملاً عن تاريخ الطب قام بتدريسه سنين عـدة لطلبـة كليـات الطـب بجامعات القاهرة وأسيوط وقناة السويس.

ومن إنجازاته البارزة إنشاء وحدة مناظير وفحوص الجهاز الهضمى والكبد بكلية الطب بجامعة القاهرة ومستشفى قصر العينى، وعمل علـى تطويرها وإدارتها وهى أكبر وحدة من نوعها فى منطقة الشرق الأوسط، تفْحَصُ أكثر من عشرة آلاف مريض سنويًا، وقـد درس فيهـا مئـات الأطباء من مصر والبلاد العربية الإفريقية، وهو أول من أدخل منـاظير الجهاز الهضمى فى مصر، وكان أول من اشترى منظارًا للجامعة علـى نفقته الخاصة، وأهداه للكلية والقسم، ورفض أن يكون العمـل بالمنظـار

وسيلة للكسب فى عيادته الخاصة وكان ذلك فيما أعتقد انطلاقًا من نفس أبيِّة شماء، تموج بفيض من نوازع القناعة والخير.

إذا كان الدكتور الروبى ــ طيب الله ثراه ــ قد بلغ شأوًا بعيدًا فى ميدان الطب ، وتألق بين أقرانه المعاصرين حتى غدا من أغزرهم علمًا وأعمقهم أثرا، ومن أرفعهم منزلة وقدرًا، فإن نشاطه وفكره امتدًا إلى آفاق رحبة من المعارف الإنسانية، من أدب وثقافة وفلسفة وفن ولغة وتراث علمى عربى – كان شغفه بالأدب كبيرًا، فهو يقول عن نفسه: "كانت اهتماماتى متعددة، وكان لى نزوع مبكر إلى الأدب، واشتغلت بالكتابة زمنًا حتى كدت أن أترك دراسة الطب لأعمل بالصحافة" (وكان قد مارسها محررًا بالقطعة بدار أخبار اليوم لعدة سنوات). ويستطرد قائلا: "كان عزائى فى تلك الفترة القلقة من حياتى كلمة قرأتها لأديب روسيا العظيم (شيخوف) وكان أيضًا طبيبًا ممارسًا قبل أن يكون أديبًا وجمع بين المهنتين سنوات أفادت فيها كل واحدة من الأخرى وكان (شيخوف) يقول فى ذلك: "الطب زوجتى والأدب معشوقتى عندما أملُّ إحداها أقضى الليلة مع الأخرى". وهكذا عشت أيامى وليالى موزع الولاء والعشق بين الاثنين وشيئًا فشيئًا تعددت المعشوقات، تطرق الأدب إلى الفن وتطلع العلم إلى الفلسفة. واليوم تأتى اللغة وعاء كل فكر ومفتاح كل قول تطالبه هى الأخرى بنصيبها، بل بأن تكون لها الخطوة الأولى". وكانت هذه كلمات منه يوم استقباله عضوًا بمجمع الخالدين.

ومن اللافت للنظر حقًّا أنه كان ــ رحمــه الله ــ شــديد الاهتمــام بالفلسفة ومناهجها وكان رأيه أن قراءة الفلسفة بالنــسبة لـــه أصــعب وأعمق من قراءة كتب وبحوث الطب، وكان من أكثر مــا حبَّبــه فــى الفلسفة من كتب (ويل ديورانت) : كتابه " قــصة الفلــسفة "، وكتــاب " الابتهاج بالفلسفة "، و"المجتمع المنفتح وأعداؤه"، حيث تعلم منها طريقــة البحث والمنهج العلمى فى حرية النقــد والإبــداع وحريــة التخمينــات والتقنيات.

وفى محاضراته الرائعة عن "فلسفة العلم قديمًا وحديثًا"، التى ألقاهــا بالجمعية المصرية لتاريخ وفلسفة العلوم، ونشرت فى كتاب استعرض فى شمولية تاريخية باهرة قال: "العلم ما قبل أرسطو، والمنهج الاستقرائى – الاستنباطى الأرسطى – ثم تحفظات على أرسطو فى القرن السابع عشر، ثم طبيعة المعرفة العلمية بين الشك واليقين فى القرن الثامن عشر – ثــم منهج البحث العلمى، المنهج الفرضى الاستنباطى فى مواجهــة المــذهب الاستقرائى فى القرن التاسع عشر – ثم يناقش آراء (كارل بوبر) وأفكاره فى إعادة صياغة المنهج الفرضى – الاستنباطى فى مواجهــة المــذهب الاستقرائى فى مطالع القرن العشرين –" وفى خاتمة كتابــه اســتعرض آراء بعض فلاسفة العلم والمنطق "كيف ينمو العلم ويتقدم".

وقبل وفاته نشر رائعته الأخيرة "من منطق الفلاســفة إلــى منطــق الأطباء"، وكانت هى أيضًا محاضرة ضافية ألقاها بالجمعيــة المــصرية

لتاريخ وفلسفة العلوم عام ١٩٩٢م وفيها تبدَّى عمق فكره وقراءاته الواسعة فى فلسفة العلم وعلوم المنطق – وقد شملت محاضرته عرضًا شائقًا عن منطق الفلاسفة ومنطق الرياضيين، ثم منطق العلماء، وأخيرًا منطق الأطباء الذى قال فيه: "إن المنطق يقوم بدور أساسى فى الطب علمًا وعملا أولا على المستوى النظري، أى فى بناء النظريات ومدى صحتها. وثانيًا على المستوى العلمى كما فى البحوث الطبية وإجراء التجارب. وثالثا على المستوى الأخلاقى، وهو موضوع حساس وشائك يرتبط بالقيم والمعنويات، ويمتد من الدين إلى السياسة مرورًا بعلوم التاريخ والاجتماع والاقتصاد، إلا أن أهم مجال لدور المنطق فى الاستعمال اليومى للأطباء الممارسين هو دوره فى التشخيص. وسأكتفى بهذه الكلمات عن ميول الفقيد الفلسفية، التى ذكرها أيضًا وحللها فى مكنة واقتدار أستاذنا الجليل الدكتور شوقى ضيف. وكتب عنها كذلك بجلاء زميلنا الأستاذ الدكتور كمال دسوقى بصحيفة الأهرام الغراء، وتكلم عنها الأستاذ الدكتور عبد الحافظ حلمى فى كلمته فى حفل تأبين الفقيد فى لجنة الثقافة العلمية منذ أيام.

كان الدكتور أبو شادى الروبى أيضًا فارسًا فى ميدان الثقافة العلمية أبلى فيها أحسن البلاء وعمل على نشرها بآرائه وأفكاره وكتبه ورسائله ومحاضراته فى مختلف الهيئات والجمعيات. ولعل أهم إنجاز عملى فى هذا المجال إسهامه الفعال فى إنشاء لجنة الثقافة العلمية فى المجلس الأعلى للثقافة، وكانت له فيها صولات وجولات فى نشرها وتأصيلها

وترسيخها بين جمهرة الشباب والمتعلمين، من منطلق واعٍ مستنير يرى فى الثقافة العلمية أداة ودعوة للإنسان مؤداها أن يعيش عصره بمشكلاته وأحداثه العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وأن يكون له منها رأى وموقف. وأن ينفتح على آفاق رحبة من العلم والمعارف الإنسانية، وأن يلم بفنونه وتراثه وأمجاده، وأن يجعل من الأسلوب العلمى والتفكير العلمى المنهاج والنبراس. والأمل كبير أن يواصل القائمون على هذا الصرح الثقافى رسالته ويترسَّموا خطاه، وأن يرعوا " منتدى أصدقاء الثقافة العلمية " الذى أنشأه وتبنّاه.

كان الفقيد أيضًا ذا ولع شديد بالموسيقى؛ ملكت عليه كل جوانحه منذ سنٍّ مبكرة، فالتحق بمعهد شولتز للموسيقى وهو طالب صغير ليتعلم العزف على الكمان، وقد واصل دراسته لهذا الفن الرفيع حتى برع فيه – وقد تأثر كذلك بالموسيقى الكلاسيكية الروسية لاحتوائها على أنغام من الشرق، مثل كلاسيكية كورساكوف "شهرزاد"، ومعزوفة "مغامرات عنترة"، وقد دفعه هذا إلى السفر إلى روسيا وزيارة الجمهوريات الإسلامية لمعرفة تأثير الشرق فى روائع الموسيقى الكلاسيكية الروسية – ومن الطريف أن من أوائل مقالاته فى الصحافة وهو طالب كانت عن الموسيقار تشيكوفسكي، واستعار عنوانها من مقولته الشهيرة " لولا الموسيقى لَجُننتُ "، وكان تعليق الموسيقار محمد عبد الوهاب أن قراءة هذه المقالة يعطيه الإحساس بأنه يستمع إلى لحن موسيقى جميل.

وإذا كان الفن الرفيع قد ملك عليه جوانحه ووجدانه فقد ملكت اللغة العربية عليه كذلك عقله وجنانه فى سن مبكرة أيضًا، وقد ألمحت إلى ذلك فى مطلع حديثى عندما فاز بجائزة الأدب فى اللغة العربية ولمَّا يبلغ الرابعة عشرة. وعندما شُغل بعد ذلك بالكتابة الصحفية وبالقراءة الواسعة فى كتب الأدب والثقافة وفى المتون، وفى تأليف العديد من الكتب باللغة العربية – كانت هذه الخلفية سبيله إلى مجمع الخالدين عندما رشحه المغفور له الدكتور محمد كامل حسين عضو المجمع خبيرًا بلجنة الطب عام ١٩٧٢م ثم انتخب عضوًا بالمجمع عام ١٩٨٧م، وظل خلال هذه السنوات الطوال يسهم بجهود بارزة فى إنجاز الآلاف من المصطلحات الطبية، وفى إصدار معجم كبير فى هذا المجال وكذلك فى مصطلحات الموسيقى وألفاظ الحضارة كان له باع طويل.

ومع هذا العالم الموسوعى والطبيب الأديب المتعدد المواهب والثقافات لم يكن غريبًا أن يفوز بعدة جوائز منها جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الطبية عام ١٩٩٣م، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٥م ، وجائزة الجمعية المصرية للجهاز الهضمى فى استخدام المناظير عام ١٩٧٤م، ودرع نقابة الأطباء، والميدالية الذهبية من وزارة الصحة عام ١٩٨٦م، وذلك عدا الجائزتين فى اللغتين العربية والإنجليزية اللتين فاز بهما فى مقتبل عمره.

كما أفسحت له مختلف الهيئات والجمعيات والمجامع العلمية

والطبية مكانا لعضويته بها أو رئاسته لها، وهى تربو على الثلاثين عددًا سأذكر بعضًا منها على سبيل المثال:

عضويته بمجمع الخالدين، والمجالس القومية المتخصصة، والمجمع العلمى المصري، ومجلس البحوث الطبية بأكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا، ومعهد طب المناطق الحارة، ومعهد تيودور بلهارس، والهيئة العليا للأدوية. كما كان نائبًا لرئيس المجمع المصرى للثقافة العلمية، وللجمعية المصرية للكبد، وعضوًا باللجنة القومية، والجمعية المصرية لتاريخ وفلسفة العلوم، ومستشارًا لهيئات دولية، وممثلا لمصر فى هيئة الصحة العالمية وغيرها.

إذا كان سجل الراحل الكريم زاخرًا هكذا بهذه الصفحات الناصعة الوضاءة التى تعكس أعماله وإنجازاته الباهرة ، وإذا كان تاريخ الطب والعلم والثقافة فى مصر حين يُكتب سيكون الفقيد من معالمه الشامخة ودعائمه الراسخة، فإنه أيضًا كان على خلق عظيم. كان طيِّب القلب، دمث الطبع، حلو الشمائل والسجايا، رفيع النفس، رقيق الحاشية،جم التواضع، عف اللسان، سمحًا فى قوله وعمله، سمحًا فى لقائه وحديثه، سمحًا فى أخذه ورده، كان خيِّرًا وكريمًا مع مرضاه، عطوفًا ودودًا، خدومًا إلى أبعد الحدود.

أيها الراحل الكريم :

لقد مضيتَ فجأة إلى رحاب الخالدين ويعلم الله كم تفطَّــرت عليــك قلوب وسالت عليك دموع، مضيتَ بعد أن قدمتَ لوطنك أجلَّ الأعمــال، ونشَّأتَ أجيالاً من أبنائك وحوارِيِّيك، سوف يترسَّمون خطاك، ويــسيرون على نهجك ويواصلون رسالتك الخالدة ، ولن ننسى أنك كنت لنا فى هذا المحراب إشعاعًا وإشراقًا، نستمتع بطلاوة حديثك وعمق فكرك وأصــالة علمك ورجاحة عقلك.

أيها الراحل العظيم:

قد مجدوا فيك الأصـــالة والنهى وخـــلائقًا علــوية وطبـــاعا
وعزيمة جبـــارة وزكانـــــة لماحـــة وتوقـــدًا لماعـــا
وأزحت عنا عبء كل وجيعـــة تأســو الجراح تضمد الأوجاعا

رحمك الله أيها الزميل العزيز رحمة واسعة
وأسكنك فسيح جناته مع الصديقين والشهداء.

الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح (*)

عالم من علماء مصر البارزين فى العلوم الهندسية أسهمَ فى بناء النهضة العلمية والتعليمية فى مصر، وله فى حياتنا الجامعية إنجازات يعتد بها ستظل شاخصة تشهد بعلمه وخبرته الواسعة..

ولد الزميل فى العشرين من شهر يونيه عام ١٩١٩م فى مدينة بنها وتعلم فى مدارسها فى مراحل حياته المبكرة، وبعد ذلك تَبيَّنْت فى مراحل تالية اتجاهاتُه الفنية والهندسية فتابع دراسته فى هذا المجال وحصل على دبلوم فى الهندسة الميكانيكية عام ١٩٤٠م ثم على البكالوريوس فى الهندسة عام ١٩٥٤م من جامعة عين شمس، وبعد ذلك سافر فى إجازة دراسية إلى الولايات المتحدة الأمريكية على نفقته الخاصة ليتابع دراسته العالية لمدة أربع سنوات حصل خلالها على درجة الماجستير فى الهندسة الميكانيكية من جامعة وين بدترويت

(*) من كلمة ألقيت فى حفل استقباله عضوًا بالمجمع يوم الأربعاء ٢٥ من رمضان سنة ١٤٠٨هـ، الموافق ١١ من مايو سنة ١٩٨٨م. مجلة المجمع، العدد (٦٥).

ثم على درجة الدكتوراه فى هذا التخصص من جامعة متشيجان آن أربر عام ١٩٦٠م، وقد حصل على هذه الدرجة فى سنتين وثلاثة شهور وهو زمن قياسى للحصول على درجة الدكتوراه لم يحدث فى تاريخ هذه الجامعة حتى الآن.

وكان إبان دراسته قد لفت إليه أنظار أساتذته لنبوغه وتفوقه؛ وتجدر الإشارة إلى أنه بعد مناقشته فى رسالته للدكتوراه اتصل به معهد العلوم والتكنولوچيا بالجامعة وعهد إليه بالإسهام فى إنتاج وحدة تسخين بالقوس الكهربائى لدرجات حرارة تزيد على (٤٠٠٠°م) أربعة آلاف درجة مئوية، وكان هذا إنجازًا علميًّا كبيرًا له قيمته التطبيقية فى الصناعة شأنه فى ذلك شأن الاختراع الذى توصل إليه زميلنا ببحوثه الرائدة لتحسين محركات الديزل، وقد سجل الاختراع باسمه وبرقم معين بواشنجطن فى السادس عشر من فبراير عام ١٩٦٢م، وبعد ذلك تابع بحوثه فى أثناء مهمة علمية أُوفِدَ فيها إلى كلية الطيرانيات بكرانفيلد بإنجلترا عام ١٩٦٣م.

وبعد عودته من دراساته بالخارج ولخبرته السابقة فى التعليم الفنى بوزارة التعليم عين عميدا لكلية التكنولوچيا والتربية ثم وكيلا للبعثة التعليمية فى بون بألمانيا الغربية فعميدا لكلية التكنولوچيا مرة ثانية فوكيلا لوزارة التعليم العالى فرئيسا لجامعة حلوان فى عام ١٩٧٥م حتى ١٩٧٩م وهى الجامعة التى أنشأها ورعاها وثبت أقدامها وهو يعمل الآن أستاذًا متفرغًا بكلية الهندسة والتكنولوچيا بهذه الجامعة

وهو اليوم على مشارف السبعين من عمره.

وقد حفلت حياته بالكثير من الإنجازات العلمية والهندسية والثقافية؛ ففى مجال البحث العلمى له بحوث رائدة فى موضوع الاحتراق ومحركات الديزل وتصميم غرف الاحتراق وتأثير الأجسام غير الانسيابية على دوران الهواء وغير ذلك من بحوث فى الهندسة المكيانيكية. ومن بين دراساته الهامة دراسة عن " استراتيجية التعليم الفنى فى العالم العربى (١٩٧٢م)، دراسة عن الجامعة التكنولوچية (١٩٧٥م) ويراها ضرورة لتطور المجتمعات، دراسة عن التطور الاقتصادى وعلاقته بالتعليم الفنى والهندسى نظرة حديثة (مؤتمر المعلمين العرب الأول ، بغداد ١٩٧٥م) ، دراسة عن العلاقة بين التنمية الصناعية والتعليم الهندسى والفنى دمشق (١٩٧٨م)، دراسة عن السياسة التكنولوچية وقضية الاختيار (١٩٨٤م) وغير ذلك من الدراسات الهادفة.

وللدكتور عبد الرازق مدرسة علمية رائدة فى مجال تخصصه أشرف فيها ولا يزال يشرف على عدد من طلاب الدراسات العليا فى جامعات القاهرة وعين شمس وحلوان، وقد حصل بعض هؤلاء على درجتى الماجستير والدكتوراه. وقد كان للبحوث التى أجريت نتائج علمية وتطبيقية على جانب كبير من الأهمية الاقتصادية والهندسية مثل رفع كفاءة المحركات وازدياد سرعتها وكذلك خفض درجة حرارة العادم ونسبة غاز أول أكسيد الكربون السام من المحركات وغير ذلك من النتائج المهمة.

وقد امتد النشاط العلمى والفكرى للدكتور عبد الرازق إلى ساحة المجالس القومية المتخصصة وغيرها من الهيئات العلمية والثقافية التى يشرف بعضويتها وتشرف به، فقد أعد للمجلس القومى للتعليم والبحث العلمى فى شعبه عن التعليم الجامعى والبحث العلمى والتعليم العام عدة موضوعات كانت قمة فى الأداء والاستقصاء من بينها " دور العلم والعلماء فى صنع القرار " (يناير ١٩٨٥م) ، " دور البحث العلمى فى إنتاج الطاقة واستخدامها " (مايو ١٩٨٥م)، " الارتقاء التكنولوچى وإدارة الموارد"، "نحو سياسة مستقبلية للتعليم "، وذلك بالإضافة إلى مشاركته الفعالة بالرأى الحر المستنير والبصيرة النافذة فى كل ما تصدى له المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى من مشكلات علمية وتعليمية وقضايا قومية على مدى سنوات طوال.

ونشاط الزميل فى مجال التأليف والترجمة والمراجعة نشاط مقدور، فقد نقل إلى اللغة العربية كتابا عن الديناميكا الحرارية(١٩٦٨م)، وله مؤلف قيم عن ترشيد الطاقة (١٩٨٥م)، وراجع عددا من الكتب المترجمة إلى العربية منها التفاضل والتكامل، الحرارة والديناميكا الحرارية الكلاسيكية، تحليل المتجهات، طرق الحسابات للمشتغلين بالصناعة وغيرها؛ كما قام بالإشراف العلمى والمراجعة على المعجم الموحد الشامل للمصطلحات الفنية للهندسة والتكنولوچيا والعلوم الذى أصدرته مؤسسة الكويت للتقدم العلمى عام ١٩٨٦م، وأشرف كذلك إشرافا علميا على قاموس مصطلحات الكومبيوتر، الذى أصدرته مؤسسة

الأهرام للترجمة العلمية والنشر عام ١٩٨٧م، كما أسهم فى هذا المجال إبان عضويته خبيرا فى لجنة مصطلحات العلوم الهندسية بمجمع اللغة العربية مع المغفور له إمام العلماء والمهندسين الأستاذ الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش طيب الله ثراه، وسيواصل زميلنا عطاءه السخى فى هذه اللجنة وغيرها إن شاء الله عضوًا بمجمع الخالدين.

ومنذ الستينيات شارك الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح فى الكثير من المؤتمرات والاجتماعات العلمية العربية والدولية؛ فمنها فى بغداد مؤتمر المهندسين العرب (١٩٦٤م) ومؤتمر "التربيون العرب" (١٩٧٥م) وفى الكويت مؤتمر هجرة العلماء العرب (١٩٧٥م) وفى الجزائر مؤتمر استراتيجيات التكنولوچيا (١٩٧٩م). كما شارك فى مؤتمرات اتحاد الجامعات العربية (١٩٧٦– ١٩٧٩م) وكذلك فى مؤتمر للتخطيط بتشيكوسلوفاكيا، ومؤتمر تدريس العلوم الإنسانية للمشتغلين بالعلوم الهندسية برومانيا (١٩٧٢م)، ومؤتمر التكنولوچيا المناسبة فى سان سلفادور (١٩٧٨، ١٩٨٠م) ومؤتمر رؤساء الجامعات بكوستاريكا (١٩٨٠م) ومؤتمر تحسين التعليم الجامعى بدبلن بأيرلندا (١٩٨٣م)، كما حضر اجتماعات خبراء اليونسكو فى باريس لدراسة التعليم الفنى العالى (١٩٧٧م) ولإعداد المهندسين (١٩٧٨م)، وذلك بالإضافة إلى مؤتمرات أخرى عقدت بمصر والخارج فى مجال الهندسة الميكانيكية. كما قام بزيارات علمية إلى الاتحاد السوفيتى وأستراليا ومعظم البلاد الأوربية والأمريكية والعربية لدراسة

نظم التعليم الفنى أو لعقد اتفاقيات ثقافية أو أستاذًا زائرًا فى بعض الجامعات.

وزميلنا عضو بعدة جمعيات وهيئات علمية وثقافية فى الداخل والخارج منها عضويته فى نقابة المهندسين منذ عام ١٩٦٤م وفى مجلسها الأعلى وكان أمينا عاما ووكيلا لها لبضع سنوات وهو عضو بالأكاديمية المصرية للعلوم وبالمجمع العلمى المصرى وبجمعية المهندسين المصرية منذ عام ١٩٦١م وجمعية المهندسين الميكانيكيين الأمريكية وبالجمعية الدولية للاحتراق وبمجالس أكاديمية البحث العلمى والتكنولوچيا، كما أنه عضو بالمجلس القومى للتعليم والبحث العلمى وبشعبة الصناعة بالمجلس القومى للإنتاج وله فى كل هذه الجمعيات والهيئات نشاط كبير يتسم بسداد الرأى وسعة الأفق.

ونظرا لمكانته العلمية المرموقة وإنجازاته الكبيرة فى مجال العلوم الهندسية على الصعيدين القومى والدولى ولجهوده المتصلة التى استمرت أكثر من ثلاثين عاما فى الارتقاء بالتعليم الفنى وتطويره فى مصر ولأعماله الإنشائية التى توَّجَها بإنشاء جامعة حلوان التى شرفت برئاسته بضع سنوات أرسى خلالها قواعدها ونهض بها نهضة كبيرة فقد نال جائزة الدولة التقديرية فى العلوم عام ١٩٨٤م(*)،

(*) وكذلك جائزة مبارك فى العلوم التكنولوچية المتقدمة لعام ٢٠٠٣م.

ومنحته الدولة وسام الجمهورية من الطبقة الأولى عام ١٩٧٩م، ووسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٨٥م.

هذه لمحة عن حياة هذا العالم الجليل الدكتور عبد الرازق عبد الفتاح عضو مجمع الخالدين وهى حياة حافلة بالعطاء والعمل المثمر البناء.

الدكتور أحمد مدحت إسلام (*)

عالم من علمائنا الأعلام برز على الصعيدين القـومى والـدولى ورائد من رواد علوم الكيمياء، لـه فى حياتنا العلمية والجامعية إنجازات يعتد بها.

ولد الدكتور أحمد مدحت إسلام فى عام ١٩٢٤م بالقاهرة وتعلـم فى مدارسها، وبعد أن أتم دراسته الابتدائية والثانوية، التى شـملت فـى المرحلة الأولى ثلاث سنوات بمدرسة البومبرسى الفرنسية فـى شـبرا، مضى إلى الجامعة والتحق بكلية العلوم بجامعة القـاهرة عـام ١٩٤٢م، حيث أهّله مجموعه للحصول على نصف مجانية فى العام الأول، ثم على مجانية كاملة طوال سنوات دراسته الأخرى لامتيازه وتفرده . وقد نـال الدكتور إسلام درجة البكالوريوس فى العلوم، فـى الكيميـاء، الدرجـة

(*) من كلمة ألقيت فى حفل استقباله عضوًا بالمجمع يوم الأربعاء ١٩ من ربيـع الآخـر سـنة ١٤١١ هـ، الموافق ٧ من نوفمبر سنة ١٩٩٠م مجلة المجمع، العدد (٧٥).

الخاصة مع مرتبة الشرف عام ١٩٤٦م، وعمل عقب تخرجه فى شركة " شل للبترول" ، وبعد ثلاثة أشهر عين معيدًا بقسم الكيمياء بجامعة القاهرة، حيث تابع دراسته العليا لدرجة الماجستير فى الكيمياء العضوية فى موضوع " كيمياء التفاعلات الضوئية"، تحت إشراف عالمين كبيرين هما: المرحوم الأستاذ الدكتور أحمد مصطفى، والعالم الألمانى شورلز، وحصل على هذه الدرجة عام ١٩٥١م. وفى تلك السنة نفسها سافر إلى إنجلترا فى بعثة علمية رشح لها من جامعة محمد على (جامعة أسيوط حاليا) للحصول على درجة الدكتوراه، وقد حصل عليها فى "الكيمياء العضوية التحليلية" من جامعة جلاسجو عام ١٩٥٤م . وقد عين بعد عودته من الخارج مدرسًا بجامعة عين شمس، وحين بدأت الدراسة بجامعة أسيوط عام ١٩٥٧م نقل إليها حيث شارك مع زملائه فى إنشاء الأقسام العلمية بالجامعة وتوفير التجهيزات المعملية بها، وفى عام ١٩٥٩م ، عين أستاذًا مساعدًا بها، ثم جذبته جامعة الأزهر عند إنشائها فرحل إليها عام ١٩٦٤م أستاذًا بكلية الهندسة، ثم رئيسًا لقسم الكيمياء بها ثم وكيلاً للكلية، وقد كان من أوائل أعضاء هيئة التدريس، الذين شاركوا فى إنشاء الأقسام العلمية ، بكليات الطب والهندسة والزراعة بجامعة الأزهر، وفى عام ١٩٧٠م عين الدكتور إسلام عميدًا لكلية العلوم بجامعة الأزهر، وكان أول عميد لها، واستمر فى هذا المنصب ست سنوات، وكانت له فيها إنجازات تعتد بها تعكس أفقه الواسع وبصيرته النافذة، وقد قام خلال خدمته الطويلة، التى بلغت ثمانية وثلاثين عامًا عضوًا بهيئة التدريس بجامعات القاهرة وعين شمس وأسيوط والأزهر، بإنشاء مدرسة

علمية رائدة تعد من أكبر المدارس العلمية فى علوم الكيمياء فى مصر، حيث أشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه، وبلغ عدد الطلاب الذين حصلوا على هاتين الدرجتين ـ الماجستير والدكتوراه ـ تحت إشرافه، أكثر من مئتين من الطلاب، يشغل الكثير منهم الآن مراكز هامة فى الدولة، ومنهم أساتذة حاليون بالجامعات، ومنهم قيادات بالقوات المسلحة. وجدير بالذكر أن إحدى رسائل الدكتوراه التى شارك فى الإشراف عليها كانت فى مجال الحرب الكيماوية، لأكاديمية ناصر للعلوم العسكرية ، بالإضافة إلى أعمال أخرى هامة فى هذا المجال. وقد بلغ عدد البحوث العلمية التى قام بنشرها ما يزيد على مئة بحث فى مجال الكيمياء العضوية التخليقية وبعض تطبيقاتها، ونشرت هذه البحوث فى المجلات العلمية المتخصصة فى أوربا وأمريكا .

وإبان حياته العلمية الثرية امتد نشاط الدكتور إسلام إلى آفاق رحبة من العلم التطبيقى، حيث عمل خبيرا لشركة النصر للكيماويات الدوائية بالمؤسسة المصرية العامة للأدوية، وشارك فى الأعمال الإنشائية التى كانت تجرى بها فى أوائل الستينيات، وبخاصة فى إنشاء معامل للبحوث والرقابة الدوائية بها. وفى مرحلة تالية عمل مستشارًا للبحوث لهذه الشركة وبرز جهده الخلاق مستحدثًا طريقة صناعية جديدة لتحضير مشتق الفيناMليون الذى يساعد على سيولة الدم ، وقد أشرف على تحضير ربع طن منها، كما حصل مع آخرين على براءة اختراع لطريقة اقتصادية لتصنيع حمض الستريك.

وفى مجال التأليف والترجمة والنشر ضرب سهمًا فى هذا المجال، وله أكثر من جهد مشكور أَغنَى به المكتبة العلمية والثقافية العربية، ففى علوم الكيمياء شارك فى تأليف عدة كتب منهـا: الكيميـاء الـصناعية، والكيمياء الطبيعية، والكيمياء غير العـضوية، وأسـس علـم الكيميـاء، والكيمياء المعملية .

وقد أعيد طبع هذه الكتب عدة مرات ومازالت شائعة الاسـتعمال، لا فى مصر وحدها بل فى كثير من البلاد العربية الأخرى، وهـى مـن مطبوعات دار المعارف. ومن بين مؤلفاته أيضا كتاب باللغة الإنجليزيـة فى الكيمياء العملية. وقد امتد نشاطه كذلك فى مجال تطبيق العلوم، ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية وألَّف عدة كتب منها " الكيمياء عند العـرب" (دار المعارف) بيَّن فيه فضل بعض العلماء الأفذاذ مثل: جابر بن حيان، وأبى بكر الرازى على علوم الكيمياء، ودورهما التاريخى فـى إرسـاء القاعدة العلمية والمنهج العلمى والتقنية للتجارب العلمية، وكتاب " رسالة كوكب"، (دار الفكر العربى) يتناول فيه أخطار الاستخدام غيـر الرشـيد للعلم، وكتاب " الفن عند الكيمياء" (عالم المعرفة) يشرح فيـه اسـتخدام الجزيئات الكيميائية فى نقل المعلومات فى أجسام الكائنات الحية، وكتاب "هل نحن وحدنا فى هذا الكون" (الأهرام) يتناول فيه الطـرق الممكنـة للاتصال بين الحضارات فى هذا الكون الرحب، وكتاب "التلوث مـشكلة العصر" (عالم المعرفة) يتناول مشكلات تلوث الهواء والمـاء، وارتفـاع درجة حرارة سطح الأرض، ومـشكلة ثقـب الأوزون، والتلـوث فـى

المبيدات والمخصبات ونفايات البترول وغيرها، وكتاب "علماء العرب والمسلمين"، بتكليف من مجمع البحوث الإسلامية، يتناول فيه الأعمال العلمية لنحو خمسين عالمًا من علماء العرب والمسلمين في مجالات الفلسفة والفيزيقا، والكيمياء، والرياضيات، وغيرها من فروع العلم، وبالإضافة إلى ذلك ترجم الدكتور إسلام بعض الكتب العلمية من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية لمؤسسة الأهرام منها، كتاب " أسس الكيمياء العضوية" ألف صفحة، وكتاب "ميكانيكا التفاعلات العضوية" ثلاثمائة صفحة، وهما من المراجع العلمية في هذا المجال.

أما جهوده في مجمع اللغة العربية فهي كثيرة حقا، امتدت قرابة عشرين عامًا، عمل خلالها خبيرًا له وزنه وباعه الطويل في لجنة الكيمياء والصيدلة، ولجنة النفط . وشارك في إنجاز عدة آلاف من المصطلحات العلمية ونقلها مع شروحها إلى اللغة العربية، مقرونا بالبحث الدءوب عن أدق المقابلات العربية لها، كما شارك في إنجازات معجم الكيمياء والصيدلة الذى أصدره المجمع في السنوات الأخيرة تقديرًا لمكانته العلمية.

وقد انتخب الدكتور أحمد مدحت إسلام عضوًا بالجمعية الكيميائية البريطانية والأكاديمية المصرية للعلوم، وبالجمعية الكيميائية المصرية، وبالمجمع العلمي المصرى، كما أنه عضو بمجلس البحوث الأساسية بأكاديمية البحث العلمي والتكنولوچيا، وكان له دور بارز في تأسيس

نادى هيئة التدريس، بجامعة الأزهر، وعمل أمينًا له كما أن لــه نــشاطًا رياضيًّا كبيرًا فى نادى الشمس، وقد عمل وكيلا له طوال عشر سـنوات يهتم فيه بمختلف النواحى الرياضية والثقافية، وجدير بالذكر أن للــدكتور إسلام ولعا شديدًا بالموسيقى، ولعل نشأته الأولى فى شبرا، حين كانــت تزخر فى العشرينيات بالحدائق يتنسم عطرها وأريجهــا فــى روحاتــه وغدواته، قد أرهفت حسه ووجدانه، فى ذلك لم يكن غريبا، بعد أن شــب عن الطوق ـ أن يعشق الموسيقى فيصبح بعد سنوات عازفًــا مجيــدا؛ وما زلت أذكر عزفه الذى كان يأخذ بمجامع القلوب بكلية العلوم، أيام أن كان طالبًا بها ومازال يحتفظ بين مكتبته العلمية والثقافية بمجموعة مــن أعمال أهم العازفين والمسائرة العالية.

هذه لمحة عن حياة هذا العالم الجليل الذى نستقبله اليوم، ونفسح له مكانًا ومكانة فى هذا المحراب زميلاً وعضوا بمجمــع اللغــة العربيــة، مجمع الخالدين.

الدكتور عبد العزيز صالح (*)

عندما حان وقت الترشيح لعضوية المجمع من بين علماء مـــصر البارزين لمع فى ذهنى اسم عالم جليل برز فى علوم الآثـــار والتـــاريخ القديم وأبلى فيهما أحسن البلاء حتى غدا بين العلماء المعاصرين له فـــى هذا المجال أرسخهم قدما وأعمقهم أثرا وأعلاهم منزلة وقدرا، وهو العالم الموسوعى الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح، العميد السابق لكلية الآثار بجامعة القاهرة الذى نستقبله اليوم عضوا بمجمع الخالدين.

ولد الزميل الدكتور عبد العزيز صالح فى الثالث عشر من مـــايو عام ١٩٢١م ونشأ بحى الخليفة بالقاهرة، ذلك الحى الشعبى القديم الـــذى قامت فيه آثار إسلامية كثيرة متميزة تقدمتها مـــساجد ومـــشاهد بعـــض السيدات من عترة الرسول الكريم ومنهن ســـكينة، ورقيـــة، وعائـــشة،

(*) من كلمة ألقيت فى حفل استقباله عضوًا بالمجمع يوم الأربعاء ٨ من جمادى الآخـــرة ســـنة ١٤١٣هـــ، الموافق ٢ من ديسمبر سنة ١٩٩٢م، مجلة المجمع، العدد (٧٧).

ونفيسة، وبعض آثار شخصيات أخرى مثل صلاح الدين وشجرة الدر وقايتباى وشيخون والسلطان حسن وكثير مما من شأنه أن يزكى فى النفوس روح التدين وعبق التاريخ وحب الفنون الإسلامية.

وبعد أن حفظ ما تيسر من سور القرآن الكريم فى كُتّاب الحى ومدرسته الأولية بدأ تلميذنا دراسته النظامية فى مدرسة بنباقادن الابتدائية، وكانت هى وسميّتها بنباقادن الثانوية ضمن خمس مدارس تتبع الخاصة الملكية وتحرص على تميز مستوى الدراسة فيها ، كما تنمى الاستعدادات الشخصية لتلاميذها – ونظرا لتفوقه الأدبى واللغوى فقد كوفئ تلميذنا حينذاك بعدة مؤلفات وجوائز.

وفى دراسته الجامعية تخرج فى قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ثم أكمل دراسته فى علم المصريات القديمة فى المعهد العالى للآثار بالجامعة نفسها – وتزامنت بعض دراساته لعلم المصريات القديمة مع دراسة أخرى لدبلوم التربية والعمل لبضع سنوات مدرسا فى التعليم العام، ونشر أولى مقالاته فى عام ١٩٥٠م بعنوان " آثار شارع المعز لدين الله "، حيث شبه هذا الشارع بسجل مفتوح سطرت على صفحاته عن يمين وعن شمال معالم مجد قديم جمع بين مطالب الدنيا ومطالب الدين وشهد بروعة الفن الإنشائى والزخرفى المصرى فى عصوره الإسلامية المتعاقبة – وتوالت بعد ذلك بحوثه ومقالاته منذ تعيينه مدرسًا مساعدًا بكلية الآداب بجامعة القاهرة فى عام ١٩٥٣م، ثم أتم رسالته

للدكتوراه عن "التربية والتعليم فى مصر القديمة " وأجيزت بتفوق فى يونيه عام ١٩٥٦م؛ وقد نشرها باسمه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى عام ١٩٦٦م، وكانت هى الرسالة الأولى الموسعة فى ميدانها العلمى بمصر والخارج بعد أن كان أغلب ما يستشهد به فى تاريخ التربية والتعليم فى العالم القديم يستقى عادة من تراث الإغريق والرومان والصين دون مصر وحضارتها التليدة إلا فى مقالات قصيرة متفرقة.

أصدر الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح (٤٦) ستة وأربعين كتابًا وبحثًا علميًّا منشورًا فى مصر والخارج باللغتين العربية والإنجليزية فى مجالات التاريخ والتربية والتعليم واللغات والآداب والعقائد والفنون فى الحضارة المصرية والحضارات الشرقية القديمة.

وقد اتسمت هذه الدراسات بأمانة الأداء والصدق العلمى وعمق التحليل واتساع الأفق، كما عبَّرت عن مدرسة فكرية مصرية متميزة تنفذ إلى روح الحضارة المصرية القديمة وتكشف عن حقيقة جوهرها فيما تبحث فيه من تاريخها وخصائص عقائدها ولغتها وآدابها وفنونها مع عقد المقارنات الموضوعية بينها وبين واقع الحياة الفعلية فى البيئات والمجتمعات المصرية والشرقية استهدافا لما يربط بين حاضرها وماضيها.

وقد صَوَّبت هذه الدراسات ذات المنهج العلمى الواضح المتكامل عديدًا من المفاهيم الأجنبية عن الحضارة المصرية القديمة وخرجت بنظريات وآراء جديدة موثقة عدلت بها بعض المسلمات التقليدية فى ميدانها، كما قدمت بعض الحلول للمشكلات التاريخية المتعلقة بها.

والكشوف الأثرية العلمية التى أجراها الأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح ذات أهمية بالغة فقد كان له دوره فى الكشف عام ١٩٥٥م عن برديات مصرية بمنطقة تونة الجبل بالمنيا تضمنت نصوصا ديموطية تضيف الجديد عن نظم المعاملات فى القانون المصرى القديم، كما كشف فى هضبة الجيزة منذ عام ١٩٧٠م عن آثار حى سكنى صناعى لقطاع من الطبقة العاملة المتصلة بمعبد شعائر الهرم الثالث. وقد تضمن هذا الكشف مصنعا لبردى يعتبر فريدا فى نوعه كما عبرت بقايا مساكن هذا الحى عن المستوى الاقتصادى والحرفى لأصحابها خلال القرن ٢٣ قبل الميلاد.

ومنذ عام ١٩٧٦م توالت بحوثه ودراساته العملية للكشف عن المعالم الحضارية الرئيسية لمدينة أونو القديمة (أى هليوبوليس وعين شمس) أولى المراكز الكبرى للفكر والثقافة الجامعة فى العالم القديم، وكشف منها حتى الآن عن بقايا ١٤٠ وحدة سكنية وإدارية وصناعية لقطاع من الطبقة الوسطى الدينية والمدنية خلال القرنين ١٢-١١ قبل الميلاد، كما كشف عن بقايا ثلاثة معابد وحصن ملكى من عصر

الرعامسة، وكان لذلك كله صدى علمى كبيـر فـى الأوسـاط الأثريـة العالمية.

وتجاوز العطاء العلمى للدكتور صالح نطاق الحضارة المـصرية القديمة فأصدر دراسات موسعة عن تاريخ وحـضارة العـراق وعـن الحضارات العربية القديمة فى شبه الجزيرة العربية بـشمالها وجنوبهـا وبخاصة فيما يتعلق بحياتها الاجتماعية والصلات اللغوية والثقافية بـين مصر القديمة وبينها ــ كما ألقى الضوء عن وجود تـأثيرات معماريـة وفنية مصرية قديمة واضحة فى بعض المنـشآت المعماريـة للحيـانيين والأنباط القدماء فى مدائن صالح بشمال الحجاز منذ القرن الخامس قبـل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادى وذلك مما أرجع العلاقات الحضارية بين مصر وبينها إلى ما قبل بداية العصور الإسلامية بنحو ألف ومـائتى عام وهو أمر له أهميته البالغة.

وللأستاذ الدكتور عبد العزيز صالح نشاط كبير فى الكثيـر مـن الهيئات الأدبية والفكرية والثقافية على الصعيدين القومى والعربى وعلى الساحة الدولية، فهو عضو بالمجلس القومى للثقافة وعضو فـى شُـعَبِ التعليم الجامعى والثقافة والعلوم الإنسانية والتراث الحضارى والأثـرى بالمجالس القومية المتخصصة وعضو بالمجمع العلمى المصرى ونائـب رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ورئيس شـعبة البرديـات المصرية القديمة فى مركز الدراسات البرديـة بجامعـة عـين شـمس، وعضو لجنة الموسوعة الأفريقية للأعلام باليونـسكو، وعـضو اللجنـة

التأسيسية للمؤتمرات الدولية لعلم المصريات، كما أنه عضو فى جمعيات بريطانية وكندية وألمانية عالمية متخصصة فى الآثار وتاريخ الحضارة، وقد حاضر وشارك فى عدة ندوات ومؤتمرات عقدت فى كمبردج ببريطانيا وجرينوبل بفرنسا وبرلين وتوبنجن ومونستر وميونيخ بألمانيا ومكسيكوسيتى بالمكسيك وتورنتو بكندا، بالإضافة إلى بلاد عربية عديدة وبخاصة المملكة العربية السعودية التى رأس فيها أيضا قسم التاريخ بجامعتى الملك عبد العزيز والملك سعود.

وقد عمل الأستاذ الدكتور صالح مقررا للجنة مشروع معجم مصطلحات الآثار فى التعليم العالى بمكتب تنسيق التعريب بالرباط عام ١٩٨٦م، كما كتب مجموعة من البحوث المتخصصة فى قاموس القرآن الكريم الذى تنجزه حاليا[١] مؤسسة التقدم العلمى بالكويت.

وتكريمًا له وتقديرا لمكانته العلمية فقد خصصت هيئة لآثار المصرية العدد الخاص بعام ١٩٨٦م فى مجلة حولياتها الأثرية ليصدر باسمه. وقد نال جائزة الدولة التشجيعية لعام ١٩٦٢م ثم كرمته الدولة أيضا بنيل جائزة الدولة التقديرية لعام ١٩٨٦م.

هذه لمحة عن حياة هذا العالم الموسوعى

عضو مجمع اللغة العربية، مجمع الخالدين.

---

(١) أى فى سنة ١٩٩٢م، وقت إلقاء الكلمة.

الدكتور أحمد مستجير مصطفى (*)

منذ عدة سنوات كان يشغل مقعد العلوم الزراعية بالمجمع عالم من جيل العمالقة هو المغفور له الأستاذ الدكتور محمود توفيق حفناوى. ومنذ رحيله ظل هذا المقعد شاغرًا لمدة طويلة إلى أن اختير الأستاذ الدكتور أحمد مستجير مصطفى عميد كلية الزراعة بجامعة القاهرة ليشغل هذا المقعد عن جدارة..

وغنى عن البيان أن الدكتور أحمد مستجير عالم من صفوة علمائنا برز فى مجال العلوم الزراعية وسطع نجمه فى السنوات الأخيرة من كثرة ما ألَّف وترجم فى علوم الوراثة وفروعها المستحدثة وكذلك فى الأدب والشعر.

(*) من كلمة ألقيت فى حفل استقباله عضوًا بالمجمع يوم الأربعاء ١٩ من رجب سنة ١٤١٥هـ، الموافق ٢١ من ديسمبر سنة ١٩٩٤م مجلة المجمع، العدد (٧٨).

ولد زميلنا فى الأول من ديسمبر عام ١٩٣٤م فى قرية الصلاحات التابعة لمركز دكرنس بمحافظة الدقهلية، نشأ فى بيت من بيوت العلم والأدب، وكان والده مدرسا للغة العربية وبالبيت مكتبة غنية بالكتب الأدبية والدينية أقبل عليها مع إخوته السبعة وهم فى الطفولة والشباب الباكر بشغف ملحوظ بالقراءة، وقد رسخت هذه الرغبة فى القراءة والاستزادة من المعرفة فى ذهنه ووجدانه فى مراحل حياته بعد ذلك.

قضى الدكتور مستجير طفولته بهذه القرية بين مروجها الخضراء وظلالها الوارفة وعطرها وأريجها وكانت لهذه الطبيعة الخلابة انعكاساتها عليه فأحبها وعشقها، وظلت هذه الأحاسيس تنمو معه أيضا فى صباه وشبابه جنبا إلى جنب مع عشقه للقراءة – وما إن أتم دراسته الابتدائية بمدرسة المطرية ودراسته الثانوية بتفوق بمدرسة الملك الكامل الثانوية بالمنصورة حتى التحق بكلية الزراعة بجامعة القاهرة وكأنه بدراسته فى هذه الكلية قد استجاب تلقائيا لما كان قد احتشد فى خلفيته الأولى واختزنه فى وجدانه من حب لتلك البيئة النباتية فى قريته التى نشأ فيها وأحبها وعاش بين ظلالها ومروجها.

وبعد تخرجه فى كلية الزراعة عام ١٩٥٤م وكان ترتيبه الخامس على الدفعة عمل خبيرا زراعيا بوزارة العدل ثم حصل على منحة بالمركز القومى للبحوث لحصوله على تقدير جيد جدًّا فى درجة البكالوريوس. وقد تابع دراسته العالية بالمركز لدرجة الماجستير فى

تربية الحيوان، وبعد حصوله على هذه الدرجة سافر عام ١٩٦٠م إلــى بريطانيا ليلتحق بمعهد الوراثة بجامعة إدنبره باسكتلندا وحصل أولا على دبلوم وراثة الحيوان عام ١٩٦١م بدرجة الامتياز لأول مرة فى تــاريخ المعهد ثم حصل على درجة دكتوراه الفلسفة عام ١٩٦٣م ــ وبعد عودته إلى الوطن عين مدرسا ثم أستاذًا مساعدًا ثم أستاذاً لعلم الوراثة وتربيــة الحيوان عام ١٩٧٤م بكلية الزراعة بجامعة القاهرة؛ وبعد ذلــك انتخــب عميدا للكلية عام ١٩٨٦م، ولا يزال يشغل هذا المنصبَ حتى الآن (*) بعد إعادة انتخابه للمرة الثالثة.

وقد حفلت حياته العلمية التى امتدت أربعين عاما بنــشاط كبيــر وإنجازات رائدة، فقد أنشأ مدرسة علمية يعتد بها فى مجال علوم الوراثة وتربية الحيوان ونشر أكثر من أربعين بحثا بالمجلات المصرية والعالمية تناولت دراسة وراثة الصفات المرتبطة بــالجنس والانتخــاب العــائلى والتحسين الوراثى فى الحيوان، وأهمية التلقيح الاصطناعى وقيمته فــى رفع إنتاج اللبن واللحم فى مصر وإمكان اســتخدام الهندســة الوراثيــة والتكنولوچيا الحيوية فى مجال الإنتاج النباتى والحيــوانى فــى مــصر، وغير ذلك من البحوث العلمية والتطبيقية التى تخدم الاقتصاد القومى.

وقد حصل الدكتور مستجير بهذا الإنتاج العلمى المرمــوق علــى جائزة الدولة التشجيعية فى العلوم الزراعية عام ١٩٧٤م وعلــى وســام

(*) فى سنة ١٩٩٤م، وقت إلقاء هذه الكلمة.

العلوم والفنون من الطبقة الأولى، كما حصل على جائزة أفضل كتاب علمى مترجم عام ١٩٩٣م.

بالإضافة إلى بحوثه العلمية فى مجال تخصصه فقد لفت الدكتور مستجير إليه الأنظار لثقافته العلمية والأدبية وجهوده الفائقة فى التأليف والترجمة ونقله إلى اللغة العربية كتبا هامة فى العلم والأدب والفلسفة. وقد بلغت جملة كتبه المؤلفة والمترجمة (٣١) واحدًا وثلاثين كتابًا منها أربعة كتب مؤلفة فى التحسين الوراثى للحيوان، و(٢٠) عشرون كتابا مترجما فى العلوم والفلسفة، و(٧) سبعةُ كتب فى الأدب منها خمسة كتب مؤلفة واثنان مترجمان.

ويقول الدكتور مستجير إنه شغف بالترجمة إلى العربية منذ تخرجه فى الجامعة؛ وأول كتاب نقله إلى العربية لمؤلفه سوليفان كان عن فلسفة العلم، وقد تأثر بما جاء فيه إلى حد كبير — ومن بين كتبه الأخرى المترجمة قصة الكم المثيرة (١٩٦٩م)، المشاكلُ الفلسفية للعلوم النووية (١٩٧١م)، صراعُ العلم والمجتمع (١٩٧٤م)، الربيع الصامت (١٩٧٤م)، صناعة الحياة (١٩٨٥م)، التطور الحضارى للإنسان (١٩٨٧م)، طبيعة الحياة (١٩٨٨م)، هندسة الحياة (١٩٩٠م)، الهندسةُ الوراثية للجميع (١٩٩٠م)، ثقبُ الأوزون (١٩٩١م)، البيئة وقضاياها(١٩٩١م)، الانقراض الكبير (١٩٩٢م)، الفيزياء والفلسفة (١٩٩٣م)، التاريخ العاصف لعلم وراثة الإنسان (١٩٩٣م)، الهندسة

الوراثية وأمراض الإنسان(١٩٩٤م)، ومن بين الكتب التى ألفها الدكتور مستجير فى الأدب: فى بحور الشعر ـ الأدلة الرقمية لبحور الشعر العربى (١٩٨٠م)، مدخل رياضى فى عروض الشعر العربى (١٩٨٧م)، عزف ناىٍ قديم (١٩٨٠م)، أحاديث الاثنين (١٩٩٠م)، هذا عدا المقالات العديدة التى نشرت فى مجلتى " إبداع "، " الشعر" عن الصياغة الرياضية لعروض الشعر العربى، ومن يقرأ هذه الكتب المتنوعة يلحظ فيها عمق الفكر وسلاسة اللغة ووضوح المعنى ورصانة الأسلوب.

ويقول الدكتور مستجير أيضا إنه كان يكتب الزجل ويحفظ الكثير منه وهو بعدُ تلميذ فى المدرسة الابتدائية، ثم بدأ يكتب الشعر إبان دراسته الجامعية وظل يكتب لمجرد الترويح عن الانفعالات حتى سن الخامسة والثلاثين ونشر بعض ما كتب من الشعر فى ديوانين صغيرين هما "عزف ناى قديم "، "هل ترجع أسراب البط"، ثم استطرد يقول: قبل أن أنشر الديوان الأول ـ وكنت قد أصبحت عضوا فى اتحاد الكتاب ـ رأيت أن أعرف إن كانت ثمة أخطاء عروضية فقمت بدراسة العروض فلم أجد فيما كتبته أية أخطاء عروضية وبذلك قمت بنشر الديوان ـ ثم يقول:" كنت أقوم بتدريس البرمجة للكمبيوتر لطلبة الدراسات العليا بالكلية ـ وفى محاضرة كنت ألقيها قلت إن الكمبيوتر لا شك يستطيع أن يعرف إن كان البيت مكسورا أم لا وبدأت حينئذ دراسةً حاولت فيها إخضاع البحور للأرقام وكللت الدراسة بالنجاح ونشرت كتيبا فى الموضوع عنوانه " فى بحور الشعر: الأدلة الرقمية لبحور الشعر

العربى" ـ بعد أن عرضتُ هذا الكتيب على المرحوم الأستاذ الكبير على النجدى ناصف عضو هذا المجمع الموقر أصرَّ على أن يكتب له مقدمة ـ وبعد ذلك قمت بتطوير الفكرة لتظهر فى كتاب (١٦٦ صفحة) عام ١٩٨٨م عنوانه "مدخلٌ رياضى إلى عروض الشعر العربى".

وللدكتور مستجير أيضا نشاط ملحوظ فى عدة جمعيات ولجان علمية وأدبية منها عضويته بالجمعية المصرية لعلوم الإنتاج الحيوانى، الجمعية المصرية لعلوم الوراثة، الجمعية المصرية للنقد الأدبى، اتحاد الكتاب، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، لجنة المعجم العربى الزراعى (الإنتاج الحيوانى)، لجنة الكتب والموسوعات بأكاديمية البحث العلمى، لجنة الثقافة العلمية بالمجلس الأعلى للثقافة.

هذه لمحة عن حياة علمية وثقافية بالغة الثراء لعالم موسوعى جليل هو الأستاذ الدكتور أحمد مستجير عميدُ كلية الزراعة بجامعة القاهرة ورائد من رواد علوم الوراثة فى مصر الذى نستقبله اليوم عضوا بمجمع الخالدين والذى يبدأ عامه الحادى والستين بعد بضعة أيام.

وإنى على يقين أنه بعلمه وخبرته ومكانته سيكون خير عون للمجمع ليمضى بقيادته الرشيدة وعلمائه الأعلام فى مسيرته الرائدة نحو إعلاء شأن اللغة العربية ودفعها إلى آفاق رحبة من التطور لتواكب الإيقاع السريع الذى نشهده اليوم فى ثورة المعلومات

وفى تقدم العلم والمعرفة.

وفى ختام كلمتى أرجو الله أن يوفقه فيما هو مقدم عليه من مهام ومن أعمال مجمعية يضيف بها إلى سجل أعماله وإنجازاتـــه العظيمـــة، ومنجزاته الرائدة.

***



الدكتور شفيق إبراهيم بلبع (*)

الأستاذ الدكتور شفيق بلبع عالم من علماء الصفوة والرواد في العلوم الصيدلية في مصر والعالم العربي، أكسب بعلمه وخبرته الوسعة في هذا المجال مكانة علمية عالمية.

ولد زميلنا الأستاذ الدكتور شفيق بلبع في الثالث عشر من شهر فبراير عام ١٩٢٠م بمدينة دمنهور. وفي ضيعة والده ومزارعه الواسعة عاش طفولته بين مروجها ونباتاتها الخضراء وظلالها الوارفة، وكانت لهذه الطبيعة الخلابة انعكاساتها عليه فأحبها وعشق نباتها وعطرها وأريجها، وظلت هذه الأحاسيس تنمو معه في صباه وشبابه فما إن أتم دراسته الابتدائية والثانوية في مدارس دمنهور عام ١٩٣٨م حتى مضى إلى كلية الزراعة بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا). وبعد أربع سنوات

(*) من كلمة ألقيت في حفل استقباله عضوًا بالمجمع يوم الاثنين ١٤ من شعبان سنة ١٤٢٠هـ، الموافق ٢٢ من نوفمبر سنة ١٩٩٩م مجلة المجمع، العدد (٨٨).

أى عام ١٩٤٢م حصل على درجة البكالوريوس فى العلـوم الزراعيـة واتجه بعد ذلك إلى زراعة النباتات الطبيـة والعطريـة وإنتاجهـا فـى المزارع التى يمتلكها والده، إلا أنه واجه بعض المشكلات الفنية فى هذا المجال فاتجه إلى كلية الصيدلة بجامعة القاهرة وتقدم للحـصول علـى دبلوم فى النباتات الطبية والعطرية، لكن نصحه بعـض أسـاتذة الكليـة بالدراسة للحصول على درجة البكالوريوس فى العلوم الصيدلية.

وفى كلية الصيدلة تفوق الدكتور بلبع فى دراسته على أقرانه بمـا رسخ فى خلفيته من علوم ومعارف تلقاها إبان دراسته بكليـة الزراعـة ويتصل بعضها ـــ وبخاصة علومُ النبات والكيمياء ـــ بالعلوم الـصيدلية؛ ووجد ضالته فى النباتات الطبية والعطرية وعلم العقاقير فـشغف بهمـا وتخصص فيهما بعد ذلك فى دراسته العليا بعد حـصوله علـى درجـة البكالوريوس فى العلوم الصيدلية عـام ١٩٤٦م، وقـد كـان لدراسـته الجامعية المزدوجة وحـصوله علـى درجتـى بكـالوريوس الزراعـة وبكالوريوس الصيدلة مزايا كثيرة وفوائدُ جمة، كان لها تـأثير إيجـابى واضح على مسيرته العلمية والأكاديمية ـــ وقد تابع الدكتور بلبع دراسته العليا فحصل على درجة الماجستير فى علم العقاقير عام ١٩٥٠م، سافر بعدها فى بعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية للدراسة بجامعة فلوريـدا، وحصل منها على درجة دكتوراه الفلسفة فى علم العقاقير عام ١٩٥٣م.

وبعد عودته انضم إلى هيئة التدريس بكليـة الـصيدلة بجامعـة

القاهرة مدرسا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذ كرسى كيمياء العقاقير عام ١٩٦٤م، فرئيسًا لقسم العقاقير، فعميدًا لكلية الصيدلة عام ١٩٦٦م لست سنوات متصلة، عين بعدها أمينًا عامًّا للمجلس الأعلى للجامعات حتى عام ١٩٧٨م حين اختير رئيسا لجامعة المنصورة. وفى عام ١٩٨٠م بلغ عامه الستين فعين أستاذًا متفرغًا بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة حتى الآن(*)، وفى ذاك الآن أيضًا عين الدكتور بلبع وكيلا لمجلس الشورى — وفى جميع هذه المناصب التى تقلدها تميز الدكتور بلبع بسعة الأفق والعمل البناء والفكر الثاقب والبصيرة النافذة والتحلى بمكارم الأخلاق.

وقد حفلت حياته العلمية التى امتدت أكثر من خمسين عامًا حتى اليوم بنشاط علمى كبير وإنجازات وأعمال إنشائية بارزة فى مجال تخصصه، فله ما يزيد على (١٦٠) مئة وستين بحثًا علميًّا فى مجال العقاقير والنباتات الطبية نشرت فى أكبر المجالات العلمية المتخصصة المصرية والعالمية تناولت فصل المكونات الفعالة من بعض النباتات فى صورة نقية بغرض استخدامها فى العلاج، واستحداث طرق جديدة ودقيقة مبتكرة لتقييم المكونات الفعالة فى عدد من النباتات الطبية والعطرية وقد أدخل الدكتور بلبع زراعة أكثر من خمسة وعشرين نوعًا من النباتات الطبية والعطرية فى مصر لأول مرة استجلبها من الخارج وتأقلمت فى البيئة المصرية — كما شملت دراسته وبحوثه ما يزيد على (٨٠) ثمانين

(*) فى عام ١٩٩٩م وقت إلقاء هذه الكلمة.

نوعًا من النباتات الطبية والعطرية التى تنمو بريًّا فى مصر؛ وقد ركز اهتمامه على النباتات ذات الفائدة الاقتصادية مثل السكران المصرى وحشيشة الليمون والبلادونا والداتورة وحلفا البر والخلة والشطة والنعناع وزيوت الموالح والسبيرثروم والبلانتاجو وغيرها، وقد قام بدراسة التركيب الكيميائى لبعض المكونات الفعالة ومعرفة خواصها الفيزيقية بهدف استخدامها فى العلاج.

وللدكتور بلبع مدرسة علمية رائدة فى كلية الصيدلة بجامعة القاهرة تخرج فيها العديد من تلاميذه الذين يشغلون الآن وظائف الأساتذة بالجامعات والباحثين والعاملين فى المؤسسات الصيدلية ومصانع الأدوية ومراكز البحوث فى مجال العقاقير والنباتات الطبية ذات الأهمية الاقتصادية، وحصل العديد من طلبته على درجتى الماجستير والدكتوراه تحت إشرافه.

ومن أعماله الإنشائية البارزة:

- إسهامه فى إنشاء أول محطة تجارب نموذجية للنباتات الطبية والعطرية فى مصر والوطن العربى مجهزة تجهيزًا متميزًا لإجراء الدراسات والبحوث العلمية والحقلية فى هذا المجال.
- كما أسهم فى إنشاء معشبة للنباتات الطبية والعطرية لضم الأنواع المختلفة التى تنمو فى مصر بريًّا أو التى جرى إدخالُها وزراعتها وأقلمتُها فى مصر.

ـ أشرف على إنشاء قسم العقاقير والنباتات الطبية فى شعبة الصيدلة بكلية الطب بجامعة المنصورة، وهو الذى أنشأ هذه الشعبة عام ١٩٦٦م، وأشرف على تطويرها حتى أصبحت كليةً للصيدلة قائمةً بذاتها بهذه الجامعة.

ـ كما أشرف على إنشاء شعبة للصيدلة وتجهيزها وإقامة قسم للعقاقير والنباتات الطبية بجامعة الأزهر.

ـ وأسهم كذلك فى إقامة نظام يكفل تبادل المعلومات عن النباتات الطبية والعطرية وبذورها مع محطات ومراكز بحثية تعمل فى هذا المجال فى بلاد مختلفة من العالم.

الكتب والمؤلفات العلمية:

وللدكتور بلبع عدد من الكتب بين التأليف والترجمة منها:

١- **مكونات النباتات الطبية،** (٦٤٥) صفحة باللغة الإنجليزية، وهو أول كتاب من نوعه على المستوى المحلى والعالمى، وقد طلبت دار النشر الأمريكية جون وايلى أن تقوم بإصدار طبعة منه ونشر الكتاب فى مصر بمطبعة دار الشعب للطباعة والنشر.

٢-**كيمياء العقاقير**، باللغة الإنجليزية. الناشر: دار الشعب للطباعة والنشر.

٣- **النباتات الطبية والعطرية،** باللغة العربية. الناشر: الجهاز المركزى للكتب الجامعية.

٤- **التعليم الجامعى وسوق العمل فى مصر** (بالاشتراك) ٥٦٠ صفحة

إصدار المعهد الدولى لتخطيط التعليم التابع لمنظمة اليونسكو بباريس.

٥- **تاريخ العلوم الصيدلية** (بالاشتراك)، باللغة العربية. إصدار أكاديمية البحث العلمى والتكنولوچيا.

٦- **شارك فى ترجمة كتابين عالميين** فى علم العقاقير النظرى والعملى تأليف: ت. واليس، الأستاذ بجامعة لندن.

مظاهر التقدير العلمى فى الداخل والخارج:

ولمكانته العلمية البارزة وبحوثه العلمية والتطبيقية الرائدة نال الأستاذ الدكتور شفيق بلبع جائزة الدولة التقديرية فى العلوم عام ١٩٨٢م، وحصل على وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣م، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٧٨م، وعلى الميدالية الذهبية لأحسن بحث فى العقاقير عام ١٩٧٢م من اتحاد الصيادلة العربى، وعلى جائزة نيوكومب التذكارية لأحسن بحث فى العقاقير على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٤م.

وامتد نشاط الدكتور بلبع وخبرته العلمية الواسعة على الساحة القومية فاختير مستشارًا ورئيسًا وعضوًا فى عدد كبير من الهيئات العلمية والمجالس العليا والجمعيات واللجان القومية ومنها:

ـ عضو المجلس القومى للتعليم والبحث العلمى، ومقرر شعبة التعليم

الجامعى بالمجالس القومية المتخصصة.

- رئيس الأكاديمية المصرية للعلوم.
- مستشار مركز الأبحاث والرقابة الدوائية.
- مستشار النباتات الطبية والعطرية لوزارة الزراعة.
- عضو المجلس الأعلى لقطاع الدواء.
- نائب رئيس مجلس البحوث الطبية بأكاديمية البحث العلمى.
- رئيس اللجنة التنفيذية للبعثات.
- رئيس اللجنة الثقافية والتبادل الثقافى بالمجلس الأعلى للجامعات.
- عضو المجمع العلمى المصرى.
- عضو الجمعية الكيميائية الأمريكية الشرقية، والجمعية الأمريكية للنباتات الطبية والعقاقير، وعضو الاتحاد الدولى للصيدلة، والجمعية الأوربية للنباتات الطبية، والجمعية الصيدلية المصرية، والشعبة القومية للكيمياء البحتة والتطبيقية بأكاديمية البحث العلمى.

وهذا قدر يسير من كثير من الهيئات التى ينتمى إليها ويوجه نشاطه إليها، هذا فضلا عن أنه كان عميدًا لكلية الصيدلة بجامعة القاهرة، ورئيسًا لجامعة المنصورة، وأمينًا عامًّا للمجلس الأعلى للجامعات، ووكيلًا لمجلس الشورى. وقد اتسمت حياته العلمية التى امتدت أكثر من خمسين عامًا بالخصوبة والنماء والإنتاج العلمى الغزير والخبرة الواسعة، الأمر الذى هيأ له الريادة

فى مجـال تخصـصه وأسـبغ عليه مكانـةً علميـةً بـارزةً علـى الصعيدين القومى والعالمى.

هذا عرض مـوجز لحيـاةٍ علميـةٍ حافلـةٍ لعـالم جليـل هـو الأستاذ الدكتور شفيق بلبع الذى يسعد به المجمع عـضوًا جديـدًا بـين علمائه البارزين.

*** *** *** *** ***

رقم الإيداع ٧٤٢٥ / ٢٠٠٦